

رسائل ابن عربي

الكوكب الدري في
مناقب ذي النون المصري

(٣)



تحقيق وتقديم
سعيد عبد الفتاح

تحقيق وتقديم
سعيد عبد الفتاح

رسائل ابن عربي
الكوكب الدرّي في
مناقب ذي النون المصري



Arab Diffusion Company

رسائل ابن عربي

الكوكب الدرّي في
مناقب ذي النون المصري

تحقيق وتقديم
سعيد عبد الفتاح

المجلد الثالث



ص. ب. 113/5752 د. ب. 1103 2070
Email: arabdiffusion@hotmail.com
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى ٢٠٠٢

المحتويات

١٣	الإهداء
١٥	مقدمة المحقق
١٧	(١) الرحمت المنزلة عند ذكر الصالحين
٢٣	(٢) الحفظ الإلهي
٢٥	(٣) العدل وتناسب النفوس
٢٧	(٤) ابن عربي يوجه رسالة إلى الأدباء
٢٩	مؤلف الكتاب
٣٣	صاحب الكتاب ذو النون المصري
٣٥	ذو النون ومصادر ترجمته
٣٧	مؤلفات ذي النون
٤١	نسخة الكتاب المخطوطة
٤٣	منهج الكتاب
٤٥	منهج التحقيق
٤٧	نص كتاب الكوكب الدرّي في مناقب ذي النون المصري
٤٨	صور المخطوط
٥٣	مقدمة المؤلف
٥٨	باب في اسمه، ونسبه، وبلده، ونعته
٦١	باب فيما رويّا من فضله وكماله

- باب في وفاته ٦٣
- باب في سبب توبته، وبدء شأنه ٦٤
- باب في أنه كان من أهل الحديث ٦٧
- باب في ذكر محنته واجتماعه مع أمير المؤمنين المتوكل ومنصرفه من بغداد ٧٢
- باب في الفتوة ٧٤
- باب في ذكر نبذ من أحواله ٧٧
- باب في مناجاته وثنائه على الله تعالى ودعائه ٨٧
- باب في كراماته ٩٨
- باب في نبذ من كلامه فيما يتعلق بالطريقة ومفاريد أقواله ١٠٢
- باب العبادة والعبودة وما في معناهما ١٠٣
- ومن باب التوبة ١٠٤
- ومن باب المجاهدة وما في معناها ١٠٥
- ومن باب الزهد ١٠٥
- ومن باب الورع ١٠٨
- ومن باب التوكل ١٠٨
- ومن باب الثقة بالله تعالى ١٠٩
- ومن باب الجوع ١١٠
- ومن باب القناعة ١١٠
- ومن باب الصمت ١١٠
- ومن باب اليقين ١١٠
- ومن باب الصبر ١١١
- ومن باب الشكر ١١٢
- ومن باب التقوى ١١٣
- ومن باب الخوف ١١٣
- ومن باب الرجاء ١١٤
- ومن باب الإخلاص ١١٤
- ومن باب التواضع ١١٥
- ومن باب الجود ١١٦

١١٧	ومن باب الخلق
١١٨	ومن هذا الباب وليس من باب السخاء لمن نظر فيه
١١٩	ومن باب الرحمة
١١٩	ومن باب الفقر
١١٩	ومن باب الابتلاء
١٢٠	ومن باب قصر الأمل
١٢٠	ومن باب الذكر
١٢١	ومن باب الولاية
٢٢١	ومن باب الأخوة
١٢٢	ومن باب الإرادة
١٢٢	ومن باب الحلم
١٢٢	ومن باب الإسلام والإيمان
١٢٣	ومن باب قوله صلى الله عليه وسلم «أَلْطُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»
١٢٤	ومن باب الحياء
١٢٥	ومن باب الحب في الله والصحبة
١٢٥	ومن باب الصدق
١٢٦	ومن باب الأدب
١٢٦	ومن باب الفتوة
١٢٧	ومن باب التفرد والعزلة والخلوة
١٢٩	ومن باب العطف
١٢٩	ومن باب الحياة
١٢٩	ومن باب الغنى
١٢٩	ومن باب التسليم
١٣٠	ومن باب الرضا
١٣٠	ومن باب المراقبة
١٣٠	ومن باب الهيبة والأنس
١٣٢	ومن باب حسن الظن
١٣٣	ومن باب المحبة والود

١٣٣	وأما ما يتعلق بحزن الحجة
١٣٦	ومن باب الشوق
١٣٧	ومن باب السماع
١٣٧	ومن باب الوجود
١٣٧	ومن باب الكمال
١٣٧	ومن باب الحكم
١٤٣	ومن باب المعرفة والمعارف
١٥٠	ومن باب التوحيد
١٥٢	ومن باب العقل والعقل
١٥٢	ومن دلائل العقل والحمول
١٥٣	ومن باب التؤدة والإفضال
١٥٣	ومن باب مقام الشيوخ
١٥٣	ومن باب المكر مكر بالعامّة
١٥٥	ومن باب العشرات
١٥٦	ومن باب التصوف والصوفي
١٥٦	ومن باب ترتيب الأحوال والمقامات
١٥٨	ومن باب الموعظة والتذكر
١٦١	ومن باب الوصايا والنصائح
١٧٢	ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٧٤	ومن باب المكاتبات
١٧٦	ومن باب نعته لطائفه رضوان الله عليها
١٨٧	باب نعت قلوب العارفين
١٨٨	باب الحمد والثناء على الله تبارك وتعالى
١٩٠	باب في ذكر من لقي من العابدين المجتهدين
٢٠١	فصل
٢٠٧	فصل
٢١٤	فصل
٢٢٠	فصل

٢٣٠	باب جامع ومنه خاتمة الكتاب خبر نبوي
٢٣٠	دعوة عارف ممنون عليه
٢٣١	كتاب اعتراف
٢٣١	همة شريفة
٢٣١	معرفة كشفية بطريق السعادة
٢٣٢	علم عرفاني بطريق الشقاوة
٢٣٣	ضمان دلال وحسن ظن يبنى على صلاح يال
٢٣٤	أدب وعلم بمعرفة ذاتية وتسليم
٢٣٥	معارضة حال ومقام
٢٣٦	حال من لم يتخذ من دون الله وكياً
٢٣٦	شكر عارف ملك أزمة المواقف
٢٣٦	سؤال شاهد وحكمة عارف
٢٣٨	اعتراف وتسليم وإنصاف
٢٤٠	قرية مشهودة بحق
٢٤٢	توحيد معاملة تجمع بين فضله ومفاضله
٢٤٢	تحليل عرفاني ونعت مقدس
٢٤٣	مكاثبة عرفانية
٢٤٣	الحكمة المعشوقة
٢٤٤	جواب في التصوف
٢٤٤	ذو النون سيد الحكماء
٢٤٥	تحذير
٢٤٥	نصيحة ووصية
٢٤٥	نعت المحب الصادق
٢٤٥	عرفان
٢٤٦	كلمة الحضرة
٢٤٦	قوله في تعود البلاء
٢٤٦	تقاسم المعرفة
٢٤٦	طبقات الموحدين

٢٤٧ دليل محبة
٢٤٧ شعار أهل المعرفة
٢٤٧ تفصيل وتبيان
٢٤٧ ذكر العارفين وخدمتهم للمعرفة
٢٤٨ حكمة بالغة
٢٤٨ في الحياء
٢٤٨ منتهى المعرفة وكمالها
٢٤٨ أدب وتحذير
٢٤٨ اطلاع شريف
٢٤٨ شوق واشتياق
٢٤٨ حفظ إلهي بمعنى هو في الوقت على حال لا ترتضى
٢٤٩ همة عالية
٢٥٠ ظرف وأدب
٢٥٠ تنبيه وإيقاظ
٢٥٠ وصية ونصيحة
٢٥١ ذوق وعرفان
٢٥١ دلائل محبة ورجاء
٢٥١ متى يجاب الدعاء
٢٥٢ مواطن القلوب
٢٥٢ ذوق وشوق
٢٥٢ حكمة
٢٥٢ نعت عارف مع الله واقف
٢٥٣ كرامات الخواص
٢٥٤ صفة المحزون
٢٥٤ صفات المختصين
٢٥٤ شرح أعلام الفتح
٢٥٥ وصية ونصيحة
٢٥٥ ألا كل شيء ما خلا الله باطل

٢٥٥	عناية وأدب
٢٥٦	نعت أولياء الرحمن
٢٥٦	نعت المستهام
٢٥٨	تسامت الأرواح في عالم الانفتاح
٢٥٩	حكمة ومعرفة
٢٥٩	تذكرة مشاهد
٢٥٩	مكاتبة ناصح مشفق
٢٦٠	يقين صادق
٢٦٠	علم العاقل
٢٦٠	علماء هذه الأمة أنبياء بني إسرائيل
٢٦١	مناجاة نفسية
٢٦١	ظرف وتذكر
٢٦١	سؤال الصادق مؤثر
٢٦١	أنا وصدق المرید
٢٦٢	تناسب النفوس
٢٦٢	حال المحبة لله
٢٦٣	وصية ونصيحة
٢٦٣	جواب عارف بما ثم [....]
٢٦٤	موافقة المألوف
٢٦٤	نعت أهل الوقت وعدول ظريف
٢٦٤	تجريد كلي ومعرفة أديب
٢٦٥	وصية نصيحة وتذكير
٢٦٥	حال الخائفين الله ونعتهم
٢٦٦	ومن باب نعت أولياء الرحمن
٢٦٦	نور إلهي مفهم
	ما لا يضرب المحب الصادق استعماله إذا رقت حواشيه ولطف معناه ولطيفة
٢٦٨	العقل
٢٦٩	ولية عارفة محبة

٢٧١ فصل وهو في الحقيقة وصل

٢٧١ مقالة وتتميم وتكملة نعيم

**نصُّ كتاب الكوكب الدُّرِّي في
مناقب ذي النون المصري**

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقى إلا بالله

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي هَيَّم قلوب العارفين في أودية محبته، وأنطقهم خطباء بألسنة المعارف على منابر هدايته، فزَّع عن قلوبهم فأروه، ثم رَدَّهم إلى وجودهم فأبوه، فاخطفهم إليه منهم حين آثروه، وأشهدهم مشاهد للغيب فسارَّروه، فهم الضَّمُّ البُكْمُ الغمي الذين لا يرجعون إلى سواه، ولا يعقلون موجوداً إلا إِيَّاه.

هم الذين افتقروا إليه فأغناهم، وهربوا إليه فأواهم، ونزلوا عليه فأكرم نُزُلهم ومَثَواهم، تَحَقَّق وَدَّهم فاصطنعهم لنفسه واصطفاهم، وصافوه في سرائرهم فصافاهم. فسبحان من يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

والصلاة على سيد المحبين ورسول رب العالمين مخصوص من هذه المقامات بأَسْنَاهَا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله تسليماً كثيراً.

أما بعد

فإنه جاء في الآثار: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. وذلك أن ذكر الصالحين من ذكر الله تعالى، وهم الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ الله كما صحَّ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ^(١). فهم لا يذكرون إلا به، ولا يُضافون إلا إليه. إذ هم عبيد الاختصاص الذين عبدوا الله على الصدق والإخلاص، فأصبحوا لا يُعرفون إلا به، ولا يُقصَدون إلا من أجله، وهم الغياث للخلق، والقائمون بأمر الحق.

(١) أخذت رواه ابن ماجه في الزهد، (٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء، ٦/١ عن سعيد رضي الله عنه، وكذا رواية عن أسماء بنت يزيد.

كما قال ذو النون المصري:

مُرَادُونَ قَدْ خَضُوا وَضُفُّوا وَطُيِّبُوا فَعَاشُوا بِرُوحِ اللَّهِ فِي أَعْظَمِ الْقَدْرِ
وهو الذي يقول فيهم أيضاً:

رَجَالٌ أَطَاعُوا اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ فَمَا شَرُّوا اللَّذَاتِ جِنّاً مِنَ الدُّهْرِ
أَنَاسٌ عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْزَلَتْ فَظَلُّوا سُكُوناً فِي الْكُهُوفِ وَفِي الْقَفْرِ
يُرَاعُونَ نَجْمَ اللَّيْلِ لَا يَزُقِدُونَهُ فَبَاتُوا بِإِذْمَانِ الشَّهْجِدِ وَالضُّبْرِ

فأما الرحمة التي تنزل عند ذكرهم فهي مشهودة في المواطن تظهر آثارها على الظواهر، وهي تلك الرقة والانكسار الذي يجده الإنسان من نفسه عندما يقع ذكرهم، وتُسَرَّد أخبارهم، وتُنص أحوالهم مع الله من الانقطاع إليه، والأنس به، والتفرد معه؛ بخروجهم عن الأهل والأوطان، وملازمتهم السواحل والبراري والشعاب وبُطون الأودية والجبال والآكام، وعزوف أنفسهم الشريفة عن الدنيا وأبنائها. فتحن نفوس السامعين عند ذلك الذكر إلى ربها، وتجد حلاوة الانقطاع إليه عندها، ولذة التفرد به على بساط الأنس، فتدرف أعينهم بالبكاء، وترتاح قلوبهم إلى التجلي بتلك الأوصاف المقدسة الزهية؛ رغبة في نيل هذه الأحوال الشريفة، التي خصَّهم الله بها. وهذا كله من الرحمة المنزلة من الله تعالى، عند ذكرهم على القلوب، فمن نزلت الرحمة في ذكر المجلس على نفسه زالت عنه بزوال الذكر، ومن نزلت الرحمة على قلبه ثبتت واستقرت ولحق بهم، رضي الله عنهم.

نعم. وكان بين أيدينا في هذا الوقت كتاب سميناه: «أنس المنقطعين إلى الله تعالى»^(١). انتقيته لنفسني من كتب مترجمة مثل «حلية الأولياء»^(٢) لأبي نعيم الحافظ^(٣)، «وصفة

(١) لم يطلع بعد، ولا يزال مخطوطاً. انظر مؤلفات ابن عربي، د. عثمان يحيى ٩٧/٢٠٦.

(٢) كتاب حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، أحد الكتب الهامة والتي تُرجمت لخدمة الصالحين ابتداءً من أهل السنة وهم رجالها المعروفون وحتى عصر أبي نعيم سنة ٤٣٠ هـ وترجم أبو نعيم حوالي (٧٠٠) مئة مئة شيخ من المشايخ العظام، وولي من أولياء الله حشرنا الله معهم وفي زميرتهم مع حبسنا الأكرم ونبينا الأعظم سيدنا، سيد الخلق أجمعين قرّة عيني، وحبيب قلبي محمد بن عبد الله (دوام الصلاة والسلام عليه من الله الكريم وتسلماته).

(٣) يقع الكتاب في عشر مجلدات، تكرر الطبعة الأولى تصويراً وهي الوحيدة فيما نعلم التي يتم تصويرها وطبعها مرات. أبو نعيم الحافظ: هو الشيخ الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني رحمه الله ترك بصمة واضحة في التأليف وخاصة بكتابه حلية الأولياء، وله بعض الكتب منها: دلائل النبوة - معرفة الصحابة - صفة الجنة - الصفراء - الطب النبوي، وغيرها كثير توفي رضي الله عنه سنة ٤٣٠ هـ وكلها مطبوع. انظر ترجمته في: ابن كثير: البداية والنهاية، ٥٥/١٢، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٢٧٥/٣، ابن العباد: شذرات الذهب، ٢٤٥/٣، كحالة: معجم المؤلفين، ٢٨٢/١، د. محمد عيسى صالحة: المعجم الشامل للتراث المطبوع، ٢٥١/١٥. مقدمة كتاب حلية الأولياء، طعة دار الكتب العلمية بيروت، بروكلمان: تاريخ التراث العربي، (النسخة العربية) ترجمة د. محمود فهمي حجازي، ٥٩٥/٣.

الصفوة»^(١) لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي^(٢). وكتاب: «بهجة الأسرار ولوامع الأنوار»^(٣) لأبي الحسن علي بن جهضم الهمداني^(٤). وكتاب: «تهذيب الأسرار»^(٥) لأبي سعيد عبد الملك بن أبي عثمان النيسابوري^(٦)، وكتاب الرسالة لأبي القاسم القشيري^(٧)، وكتاب «مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار»^(٨) لتاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس^(٩).

(١) صفة الصفوة: لابن الجوزي مطبوع ومتداول.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشي، التميمي، البكري، البغدادي المعروف بابن الجوزي واعظ وقيي وحافظ من كبار الحفاظ ومشارك في أنواع من العلوم ولد ببغداد سنة ٥٢٠ هـ وتوفي بها ودفن بباب حرب سنة ٩٧٠ هـ. ترك عدداً كبيراً جداً من المؤلفات في كثير من أبواب العلوم منها: المغني في علوم القرآن، وجامع المسانيد، والمنظوم في تاريخ الأمم، وصفة الصفوة وغيرها كثير، ومن كتبه ما طبع عدة مرات.

(٣) انظر ترجمته في: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١٤/١٣١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٦/١٧٤، (ابن كثير: البداية والنهاية، ١٣/٢٨٨، كحالة: معجم المؤلفين، ٥/٥٧٥، البغدادي: هدية العارفين، ابن العماد: شذرات الذهب، ٤/٣٢٩).
(٤) بهجة الأسرار ولوامع الأنوار: لأبي الحسن علي بن جهضم الهمداني، وهو في مناقب السادة الأخيار من المشايخ الأبرار أولهم الشيخ عبد القادر الجيلاني وآخرهم الإمام أحمد بن حنبل. وقد طبع هذا الكتاب طبعات ومتداول وفيه أسرار كثيرة.

(٥) هو: أبو الحسن بن عبد الله بن جهضم، عاش بمكة وكان يعد كبير الصوفية بها، توفي سنة ٤١٤ هـ. له كتاب (بهجة الأسرار...) الذي تحدث عنه ابن عربي وهذا الكتاب له اسم آخر هو أخبار الصالحين وحكاياتهم. انظر ترجمته في: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٣/١٠٥٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢/١٦٦، ابن العماد: شذرات الذهب، ٣/٢٠٠، كحالة: معجم المؤلفين، ٧/١٣٤، سزكين: تاريخ التراث العربي، طبعة القاهرة، ٢/٥٠٥.

(٦) تهذيب الأسرار، لأبي سعيد عبد الملك بن أبي عثمان النيسابوري أحره كوشي. هذا الكتاب طبع مؤخراً بتحقيق الأستاذ بسام محمد بارود في السلسلة التي يصدرها المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٩٩٩، بالإمارات العربية المتحدة وهو كتاب قيم.

(٧) عبد الملك بن محمد بن إبراهيم بن يعقوب، أبو سعد بن أبي عثمان الواعظ النيسابوري، المعروف بالحركوشي. نسبة إلى خركوش توفي رحمه الله سنة ٤٠٧ هـ ترك عدداً من الكتب منها: تهذيب الأسرار، وكتاب البشارة والندوة، شرف المصطفى، (صلى الله عليه وسلم). انظر ترجمته في: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٣/١٠٦٦، ابن العماد: شذرات الذهب، ٣/١٨٤، الزركلي: الأعلام، ٤/٣١٠، كحالة: معجم المؤلفين، ٦/١٨٨، سزكين: تاريخ التراث العربي، ٢/٤٩٥، (طبعة القاهرة)، مقدمة الطبعة الأولى لكتاب تهذيب الأسرار طبعة المجمع الثقافي بتحقيق بسام محمد بارود.

(٨) (الرسالة القشيرية) تحدث فيها عن فضل التصوف وأهله وما اختصهم الله به من الأنوار والمجاهدات والتصفیات فتحدث أولاً عن مشايخهم وأقوالهم ثم جعل الجزء الأخير منها في الحديث عن الألفاظ التي تدور بين أهل الطائفة الصوفية مثل القبض والبسط، والصحو والمسكر، والمقام والحال وغير ذلك. انظر: الرسالة القشيرية، لأبي القاسم القشيري، طبعة الجبلي، القاهرة ١٩٥٩ م.

(٩) كتاب مناقب الأبرار، لابن خميس الموصل. نعهذه الآن للتحقيق ونرجو أن تنتهي منه قريباً - إن شاء الله عز وجل -.

هو: تاج الإسلام مجد الدين الحسين بن نصر بن محمد الكعبي بن خميس الموصل الجبلي. ولد في ٢٠ محرم ٤٦٠ هـ بالقرب من الموصل بقرية جهنة وتوفي رحمه الله في شهر ربيع الثاني سنة ٥٥٢ هـ. ترك مؤلفات منها هذا الكتاب تحدث فيه عن مشايخ السادة الصوفية ساء (مناقب الأبرار) قدم فيه حديثاً عن طبقات الصوفية للسلمي، ونرجو أن تنتهي منها قريباً إن شاء الله. انظر ترجمته في: بروكلمان: ٤/٣٣٨، كحالة: معجم المؤلفين، ٤/٦٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١/١٨٣.

وكتاب: «المنقطعين»^(١) لابن مغيث^(٢). وكتاب «الذخائر والأعلاق»^(٣) لابن سلام الشلبي^(٤). وغير ذلك مما شاهدته بنفسي، أو حدثني به شيخ من شيوخي عما شاهدته من أخبار الصالحين وحكاياتهم، ولم أر في الجماعة أكثر سياحة واجتماعاً بأولياء الله من ذي النون المصري، رضي الله عنه. فجزّدتُ منه هذا الكتاب وسميته:

«الكوكب الدرّي في مناقب ذي النون المصري»

وعدلت إليه من بين الجماعة لكثرة اجتماعاته بالصالحين من الرجال والنساء. ففي ذكرنا إياه ذكر جماعة كبيرة تُرجى بركتهم. وذكرت في هذا أكثر ما رويته من أخباره، رضي الله عنهم،

من اسمه، ونسبه، وبلده، ونعته، وتاريخ وفاته، وثقته، وفضله، وعلمه، وروايته الحديث، وسبب تربيته، ومحتته، وأمانته، وحاله، ومناجاته، وكراماته.

ثم:

ما رويناه من كلامه، ومفايد أقواله، في التوفيق والعبادة، والتوبة، والمجاهدة، والزهد، والورع، والتوكل، والثقة بالله، والجوع^(٥)، والقناعة، والصمت واليقين، والصبر، والشكر، والتقوى، والخوف، والرجاء، والإخلاص، والتواضع، والجلود، والبخل، والخلق، والرحمة، والفقر، وقصر الأمل، والذكر، والولاية، والأخوة، والإرادة، والحلم، والإسلام، والإيمان.

(١) كتاب المنقطعين، لابن مغيث.

هو كتاب فضائل المنقطعين إلى الله عز وجل، وهو كتاب هام من تأليف يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث أبو الوليد ابن الصفار المتوفى سنة ٤٢٩هـ، ولم أقف على طبعة لهذا الكتاب حتى الآن.

(٢) ابن مغيث هو ابن مغيث الصفار، صاحب فضائل المنقطعين إلى الله عز وجل، وتقدمت إشارة الكتاب أمّا المؤلف فهو: يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث، أبو الوليد المعروف بابن الصفار قاضي أندلس، كان شديد الميل للتصوف والصوفية في العبادة امتنع في أول مرة أمره بطلبوس وأعمالها، ثم صُرف عنها وولي الخطبة بجامع الزهراء، ثم صرف عن ذلك كله ولزم بيته إلى أن قلده الخليفة هشام بن محمد المرواني القضاء بقرطبة سنة ٤١٩هـ وبقي حتى مات سنة ٤٢٩هـ ترك عدداً من الكتب منها فضائل المنقطعين، فضائل المتهجدين، وغيرهما. انظر: ابن بشكوال: الصلاة، ٦٨٤/٢، ابن قنفذ القسطيني: كتاب الوفيات، ٢٣٨، تاريخ قضاء الأندلس، ٩٥، البغدادي: هدية العارفين، ٥٧٢/٢، كحالة: معجم المؤلفين، ٣٤٨/١٣، ابن العماد: شذرات الذهب، ٢٤٤/٣.

(٣) كتاب الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق، لأبي عبد الله سلام بن عبد الله الباهلي الإشبيلي المتوفى سنة ٥٤٤هـ.

انظر: حاجي خليفة كشف الظنون، ٨٢٢/١، بروكلمان، ١٢٩/٣ من الطبعة العربية. البغدادي: هدية العارفين، وبها خطأ في التاريخ، ٣٩٣/١.

(٤) الصحيح ما أثبت (الإشبيلي) -

(٥) في أصل الخلود (الجوع) ومستدركة على الهامش.

والإلفاظ^(١)، والحياء، والحب في الله، والصدق، والفتوة، والأدب، والصحة.

ثم ما زويناه من كلامه في:

التفرّد، والعزلة، والخلوة، والعطف، والحياء، والغنى، والتسليم، والرضا، والمراقبة، والهيبة، والأنس، وحسن الظن، والمحبة، والود، والشوق، والسماع، والوجود.

ثم ما زويناه من كلامه في:

الكمال، والحكم، والمعرفة، والتوحيد، والعقل، والتؤدة، والإفضال، ومقام الشيخوخة، والمكر، والتصوف، وترتيب الأحوال، والمواعظ، والتذكير، والنصائح، والوصايا، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومكاتباته، وتعبه أولياء الله، ومن لقي في سياحاته من العابدين والعبادات، وما جرى مجرى هذا الباب. على قدر ما أعطاه الوقت. واستعنت في ذلك كله بالله وتأييدت، ومن الله نطلب ونرغب للحاق بأهله وخاصته.

(١) (الإلفاظ) لزوم الشيء، والتأيرة عليه ومنها حديث النبي (صلى الله عليه وسلم):

«الظُّلُوفُ فِي الدُّعَاءِ بَيِّنَاتُ أَجَلَالٍ وَالْإِكْرَامُ أَيْ: الزُّمُوهَا هَذَا، وَاتَّبَعُوا عَلَيْهِ، وَكَثُرُوا مِنْ قَوْلِهِ، انْقَطَعَ (اللسان مادة لظط).

باب في اسمه، ونسبه، وبلده، ونعته

اسمه: اختلف الناس في اسمه.

ف قيل: اسمه، أبو الفيض بن أحمد.

ذكر ذلك عبد الله بن عطاء السجزي^(١) على ما ذكره أبو عبد الرحمن الشلّمي^(٢) في كتاب: «تاريخ الصوفية» له في باب «الذال» حديثاً بذلك محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي^(٣) بمدينة فاس سنة أربع وتسعين وخمسة مائة. قال:

ثنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصفهاني^(٤) قال: ثنا القاسم بن الفضل بن

(١) أبو عبد الله السجزي صاحب أبا حفص، وهو من كبار مشايخ خراسان وقضاةهم. كان يقول: «العبرة أن تجعل كل حاضر غائباً والفكرة أن تجعل كل غائب حاضراً». توفي رحمه الله في القرن الثالث الهجري. انظر ترجمته في: السلمي: طبقات الصوفية، ٢٥٤، أبو تميم: حلية الأولياء، ٣٥٠/١٠، الحامي: نفحات الأنس، ٣٧٩.

(٢) أبو عبد الرحمن الشلّمي هو: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي واشتهر بنسبه إلى سليم فهو حفيد الشيخ أبو عمرو اسماعيل بن لجيد الشلّمي. ولد أبو عبد الرحمن في العاشر من جمادى الآخرة سنة ٣٢٥ هـ، وتوفي رحمه الله سنة ٤١٢ هـ. له عدد كبير من كتب التصوف منها كتب الطبقات والتفسير، بلغت ثلاثين كتاباً. وعن كتابه تاريخ الصوفية، لم تنق له على مخطوطة ولا مطبوعة ويبدو أن هذا الكتاب قد فقد تماماً ضمن ما فقد من كتب السادة. انظر: ما قيل عنه وعن مؤلفاته في مقدمة كتابه طبقات الصوفية، بقلم نور الدين شريعة، الطبعة الأولى ١٩٨٦.

(٣) هو: محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي (أبو عبد الله) محدث، سمع من أبي الحسن بن حنين وغيره، ورحل إلى المشرق رحلة حافلة أقام فيها خمسة عشر عاماً ولقي نحواً من مائة شيخ منهم أبو طاهر السلفي. توفي رحمه الله بفاس سنة ٦٠٣ هـ.

انظر: كحالة: معجم المؤلفين، ١٤٠/١١، الكتاني: فهرس القهار، ٩٤/٢، ابن الأبار: تكملة الصلة، ٣٧٤، ٣٧٥. (أبو طاهر) عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السلفي الأصفهاني. المحدث والفقير والعلامة سمع بخاردين، وشهرورد قدم دمشق فأقام بها ثم استوطن أسكندرية وتوفي في الخامس من ربيع الآخر سنة ٥٧٨ هـ. ترك عدداً من المؤلفات الهامة: معجم السقوف: السلفيات في الحديث، معجم مشيخة بغداد، وهو كبير.

انظر: كحالة: معجم المؤلفين، ٧٥/٢، ابن العماد: شذرات الذهب، ٢٥٥/٤، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١٢٩٨/٤، ترجمه رحمه (١٠٨٢)، بروكلمان، ٦١٧/٣، الطبعة العربية بترجمة أ. د/محمود فهمي حجازي.

محمود الثقفي^(١) قال حدثنا أبو عبد الرحمن الشلمى بذلك، وحدثناه الحافظ السلفي إجازة. وقيل: هو ذو النون بن إبراهيم الإخميمي مولى لقريش. وكان أبوه «إبراهيم» توبياً. حدثنا بذلك إجازة أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني^(٢) القزويني قال: ثنا أبو الفرج عبد الوهاب بن شاه بن أحمد الشاذلي^(٣) الصوفي قال: ثنا أبو محمد عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن أبي بشر البحتري، ثنا أبو عبد الرحمن الشلمى قال: سمعت علي بن عمر الدارقطني^(٤) أخبرني الحسن بن أحمد بن علي الماذرائي^(٥) قال: قرأ علي أبو عمر الكندي^(٦) في كتابه «في أعيان الموالى»^(٧) فذكر فيه: ومنهم ذو النون بن إبراهيم. وذكر ذلك.

وقيل: اسمه، الفيض.

ويُلقَّب: ذو النون وكنيته: أبو الفيض.

- (١) القاسم بن الفضل بن محمود الثقفي: الأصمعي، محدث، حافظ، مسند، من أهل أصبهان، رحل إلى أصبهان والعراق وأجاز وسمع بها من الكبار. من آثاره: (الفتايات، الفوائد) كلاهما في الحديث. توفي رحمه الله سنة ٤٨٩ هـ. انظر: كحالة: معجم المؤلفين، ١١٠/٨، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٢٢٧/٤.
- (٢) أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني (أبو الخير) الواعظ ببغداد: توفي سنة ٥٩٠ هـ عن ثمان وسبعين سنة، فقه، مفسر، صوفي، واعظ، مشارك في أنواع من العلوم. له مؤلفات منها: التبيان في مسائل القرآن، خصائص السؤال، حقائق القدس. انظر: كحالة: معجم المؤلفين، ١٦٨/١، ابن العماد: شذرات الذهب، ٣٠٠/٤، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١٣٥٦/٤، السكي: طبقات الشافعية، ٣٥/٤.
- (٣) هو المسند أبو الفرج عبد الوهاب بن شاه بن أحمد الشاذلي، توفي رحمه الله سنة ٥٣٥ هـ مع المسند العلامة أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل «السي». انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١٢٨/٤.
- (٤) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي الدارقطني: الشافعي، أبو الحسن ولد في ذي القعدة سنة ٣٠٦ هـ وتوفي سنة ٣٨٥ هـ. ترك مؤلفات كثيرة منها: المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال، غريب اللغة، كتاب السنن، المعرفة بمذاهب الفقهاء. انظر ترجمته في كحالة: معجم المؤلفين، ١٥٧/٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ٣١٧/١١، الذهبي، ٩٩٧/٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١٧٢/٤، البغدادى: هدية العارفين، ٦٨٣/١.
- (٥) هو الحسن بن أحمد بن رستم؛ ويقال ابن أحمد بن علي، ويقال: أبو علي يعرف بابن زنبور الماذرائي، نسبة إلى ماذرايا، قرية فوق واسط من كتاب الدولة الطولونية. روى عنه الدارقطني، وولي حراج مصر، ثم عزل وأُخرج إلى دمشق ومات بها في شهر ذي الحجة سنة ٣١٧ هـ. انظر: ياقوت: معجم البلدان، ٣٥٤/٧، الشلمى: الطبقات، هامش ص ١٥.
- (٦) هو محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف بن نصر أبو عمرو الكندي النجفي. له مصنفات كثيرة في تاريخ مصر وأحوالها منها: ولاية مصر وقضايتها، وكان عارفاً بأحوال الناس ومسير الملوك، وتوفي سنة ٣٥٣ هـ وقيل بعد ذلك. انظر: الشلمى: طبقات الصوفية، هامش ص ١٥.
- (٧) كتاب أعيان الموالى، لم أقف عليه.

أنا بذلك محمد بن قاسم^(١)، والحاج أبو بكر بن علي ابن أخت أبي الربيع المقوفي
بمجلسه بالعكارين من إشبيلية، وكانت له رحلة قالاً: ثنا أحمد بن محمد بن الفضل، ثنا أبو
عبد الرحمن، أنباء عبد الواحد بن بكر الورثاني^(٢)، ثنا إبراهيم بن أبي حماد الأبهري، ثنا أبو
يعقوب يوسف بن أحمد البغدادي صاحب ذي النون قال:

ذو النون: كنيته.

واسمه: الفيض.

وذو النون: لقب له، وإنما الفيض: اسمه.

وقيل: اسمه؛ ثوبان بن إبراهيم.

وكان أبوه مولى لإسحاق بن محمد الأنصاري، وكان لأبيه أربعة بنين:

ذو النون، وذو الكفل، وعبد الباري، والهَمَيْسَع. ذكر ذلك أبو الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن محمد الجوزي في كتاب: «صفة الصفة».

قال أبو عبد الرحمن الشُّلَمي في كتاب «تاريخ الصوفية»: كانوا أربعة إخوة:

ذو النون، وذو الكفل، وعبد الخالق، وعبد الباري.

فقد يكون عبد الخالق يسمى أيضاً: الهَمَيْسَع. كما روينا أن ذا الكفل لقب، واسمه ميمون.

فهذا ما وصل إلينا من الخلاف في اسمه، وكان من قرية يُقال لها: إخميم^(٣) بصعيد مصر.
فنزل مصر.

قال الحافظ أبو نعيم^(٤) في نعتة:

كان ذو النون رجلاً نحيفاً، تعلوه حسرة. ليس بأبيض اللحية. ولا أعرف في هذا النعت
خلافاً بين الجماعة.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هو: أبو الفرج، عبد الواحد بن بكر، الورثاني، الصوفي. كتب الكثير، دخل جرجان سنة ٣٦٥ هـ وسمع وحلّت بها
بأخبار وأحاديث وحكايات، توفي بالحجاز سنة ٣٧٢ هـ.

انظر: تاريخ جرجان، ٢١١ للمهمي، السلمي: طبقات الصوفية، هامش ص ٧٢، مذكرين: تاريخ التراث العربي، ٢/
٤٨٥، طبعة القاهرة ١٩٧٩ م.

(٣) إخميم بلدة في صعيد مصر، عامرة بالخل والزروع على النيل الشرقي. من عجائبها الجبل الذي في غربها، من أسفل
إليه سمع صوتاً كخبر الماء، ولغواً شبيهاً بالكلام، ولم تعرف حقيقة ذلك. وبها البرابي التي هي من عجائب مصر،
وينسب إليها أبو الفيض ذو النون المصري بن إبراهيم الإخميمي. هكذا أورد القزويني في آثار البلاد وأخبار العباد،
١٣٩ - ١٤٠.

(٤) هو أحمد بن عبد الله صاحب حلية الأولياء، وتقدمت ترجمته منذ قليل.

باب فيما روينَا من فضله وكماله

[كان ذو النون، رحمه الله، مولعاً بطلب الأولياء والسياسة. وكان ذا علم، وورع. أديب وقته، له لسان في المعرفة وفي نعت الطائفة]^(١) فما روينَا من فضله وكماله ما حدثنا به أبو الحسين يحيى بن الصَّايغ الزاهد المحدث بنسبته سنة تسع وثمانين وخمسمائة، ولم تعلم له رحلة إلى بلاد الشرق أصلاً. وكان صاحب كرامات، وحدثني أنه اجتمع بالحافظ السلفي بالإسكندرية، وما ذكرت ذلك عنه حتى مات. فإنه أخبرني بذلك كالمستكتم، وهو يلتفت، رحمه الله، قال لي:

أخبرني السلفي قال: حدثني الثَّقفي قال: ثنا الثُّلُمي قال: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت محمد بن داود^(٢) يقول: سمعت ابن الجلاء^(٣) يقول: «لقيت ستمائة شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة، أحدهم ذو النون».

أخبرني من أثقه من أصحابنا أن شيخنا ابن الصَّايغ هذا قال: «ركبت معه البحر فعطشنا. فاغترف من البحر في وسط اللجة فسقاني ماءً أحلى من العسل. ومن كانت حالته هذه فقد يكرمه الله يطوي الأرض، وغير ذلك من خرق العوائد.

يَذُرُونَ مَا قُلْتُهُ فِي فَضْلِ ذِي الثُّونِ	اللُّوحَ وَالْقَلَمَ الْأَعْلَى مَعَ الثُّونِ
قَدْ كَانَ أَجْمَلَهُ الرَّحْمَنُ فِي الثُّونِ	جَرَى بِهِ الْقَلَمُ الْأَعْلَى فَفَضَّلَ مَا
فَسَارَى فِي الْأَمْرِ بَيْنَ الشَّدِّ وَاللِّينِ	جَرَتْ عَلَى الشُّنَّةِ الْبَيْضَاءُ سِيرَتُهُ
كَأَنَّمَا الشَّيْءُ بَيْنَ الْكَافِ وَالثُّونِ	إِذَا دَعَا اللَّهَ فِي شَيْءٍ يَعِزُّ لَهُ
نُورُ الْهَدَايَةِ وَالشُّرْفِيقِ وَالذُّبَنِ	لِلَّهِ فِي قَلْبِهِ نُورٌ تَوَلَّدَ مِنْ
بِهِ وَيَسْئُرُهَا مِنْ بَغْدٍ تَغْيِينِ	فَكَانَ يَكْشِفُ مَا تُخْفِي صَمَائِرُنَا
صَوَّبَ الْعَمَامَ بِأَزْوَاجِ الرِّجَالِ	سَقَى إِلَهَهُ ضَرْبِحاً أَتَتْ سَاكِئُهُ

(١) ما بين المعقوفين باب كامل بالخطوط. أخذ عنواناً كلمة [باب] هكذا فقط، فضممته مع العنوان التالي وهو الباب [فيما روينَا من فضله وكماله] واعتبرتهما باباً واحداً. وهذا للعلم.

(٢) محمد بن داود الرقي (أبو بكر) الديوري، أقام بالشام وعمر فوق مائة سنة. صاحب أبا عبد الله بن الجلاء وإليه كان ينتمي، وكان من أجل مشايخ وقته حالاً وأقدمهم صحة مات رحمه الله بعد سنة ٣٥٠هـ. كان يقول: علامة القرب الانقطاع عن كل شيء سوى الله تعالى. انظر ترجمته في الرسالة القشيرية، ٣٧، السلمي: طبقات الصوفية، ٤٤٨.

(٣) (ابن الجلاء) واسمه أحمد بن يحيى، أصله من بغداد، وكان من جلة مشايخ الشام. صاحب أبا يحيى بن الجلاء وأبا تراب النخعي، وذا النون المصري وغيرهم. وكان أستاذ محمد بن داود الرقي، توفي رحمه الله سنة ٣٠٦هـ.

انظر ترجمته في السلمي: طبقات الصوفية، ١٧٦، أبو نعيم: حلية الأولياء، ١٠/٣١٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/١٢٩، الجامي: نفحات الأنس، ٣٧٠.

لَكَ الشَّيَاحَةُ فِي الْكَوْنَيْنِ أَيْدِيكُمْ
 فَسَبَّحْتَ فِي الْعَالَمِ الْأَعْلَى بِهَمِّكُمْ
 فَكُنْتُ يُلْقَى إِلَيْكَ الْأَمْرُ مِنْ كُتُبٍ
 وَكُنْتُ تُلْقَى بِرِجَالِ اللَّهِ مُعْتَمِدًا
 فَسَبَّحْتَنِي دُورًا مِنْ جَوْهَرٍ نَطَقَتْ
 أَصْبَحْتَ وَارِثَ مُخْتَارٍ وَمُضْطَنِّعٍ
 سَرَا لَكَ الْأَمْرُ مِنْ مُلْكِ الْبَهَاءِ
 وَفِي الرُّقَارِفِ مِنْ تَنْزِيلِكُمْ أَنْزَرَ
 أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْعُلْيَاءِ سَارِيَةً
 فَاسْتَخْرَجَ الْمَاءَ مِنْكُمْ كُلَّ طَيِّبَةٍ
 دَرَزَتْ لَبُونُ مَوَاسِيكُمْ بِفَهْمِكُمْ
 وَجَاءَ مَضْرِبُ نَحْلِ الْوَحْيِ بِالْعَمَلِ
 وَأَنْكَرْتَكُمْ بِأَلَا مَرْجٍ وَلَا قَدَحٍ
 فَأَوْرَثْتُ طَرَبًا لَا يُغْثِرُهُ أَسَى
 جَمَعْتُ حِينَ أَرَدْتُ الْعِزَّ وَفِي
 فَلَمْ تَبْقَ مِنَ الْأَكْوَانِ سُمْرُكُمْ
 هَبَّتْ عَلَيْكُمْ بِرُؤَا كُلِّ طَيِّبَةٍ
 ظَفَرَتْ بِالْغَايَةِ الْقُضْوَى وَبِالنَّاقَةِ
 أَفْدِيكَ مِنْ يَدِي يَغْنُو لَكَ مَلِكُ
 سَأَلْتُكُمْ وَوُجُودُ الْحَقِّ مُعْتَمِدِي
 عَلَى مَكَائِنِكَ الرَّؤْفَى وَزَهَبَتْكَ
 فِي عَالَمِ الْقَلْبِ وَالْأَزْوَاجِ دَائِرَةً
 فَأَصْبَحَ الْقَلْبُ مَخْضُوعًا بِلُحْظَتِكُمْ
 هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيَاخُ الْقُرْبِ طَيِّبَةٌ
 يَرْجُو اتِّصَالًا عَلَى بُغْدٍ وَمُنْقَصَةٌ
 اللَّهُ أَكْبَرُ لَا أُنْبِغِي بِهِ بَدَلًا
 وَقَدْ سَأَلْتُ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا ذِكْرُكَ

بِهَا الْمُؤَيَّدُ عَنْ كَشْفٍ وَتَبْيِينٍ
 وَسَبَّحْتَ فِي الْعَالَمِ الشَّفَلِيِّ بِالطَّيْنِ
 عَلَى الثَّقَابِلِ وَالثَّقَالِي فِي الْحَيْنِ
 عَلَيْهِ وَالْوَقْتُ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْهُونِ
 بِهِ سَرَائِرُ أَهْلِ اللَّهِ مَكْنُونِ
 فِي عِلْمِهِ وَهُوَ عَنْكُمْ غَيْرَ مَحْزُونِ
 عَلَى نَجَبِ الْقَتَاءِ بِتَهْلِيلٍ وَتَأْمِينِ
 مِنْ عَيْنِ سِرِّ بِقَلْبِ الْحُرِّ مَذْفُونِ
 تَبَسَّحَ مَاءُ فُرَاتٍ غَيْرَ مَسْوُونِ
 وَطَيِّبَ بَيْنَ مَقْرُوضٍ وَمَسْنُونِ
 عِلْمُ الشَّلُوكِ قِمْنُهُ السُّرِّيُولِي
 الْأَضْفَى صَفَا وَدِّي وَيُتْرِي
 فِي مَجْلِسِ بِنْتِ الزُّرَّاجِينِ
 وَلَيْسَ يَعْقِبُهُ صَخْرٌ إِلَى حِينِ
 عَالَمِ الْأَهْوَاءِ مَا بَيْنَ يَرْمُوكَ وَصَقِينِ
 فِي قَبَبِكُمْ أَنْزَلَ لِلْحُرْدِ الْعَيْنِ
 تَجَرَّى بِهِ الرِّيحُ رِيحُ الْهَيْدِ وَالطَّيْنِ
 الْقَضَا وَرَثًا مِنَ الشُّمِّ الْعَرَانِينِ
 سِرُّ الْوُجُودِ وَشُلُطَانُ الْمَلَاطِينِ
 فِيهِ سَوَاكُ قَرِيحِ الْقَلْبِ مَحْزُونِ
 الْعُلْيَا وَمَخْضَرُكَ الْأَجْلَى ثَوَابِينِ
 لِلْحِفْظِ مِنْ نَفْثَةِ الْمَزْدِ الشَّيَاطِينِ
 مُؤَيَّدًا بِعِلْمٍ غَيْرِ مَفْشُونِ
 كَأَنَّمَا بُعِثْتُ مِنْ أَرْضِ ذَارِينِ
 بِمَا تَحَقَّقَ سِرِّي غَيْرَ مَقْنُونِ
 وَلَا بِخَاصَّةٍ أَهْلُ الْيَاسِينِ
 فِي سُورَةِ الثُّورِ وَالْأَعْلَى وَفِي الشَّيْنِ

مِنَ الصُّفَاتِ الَّتِي عَلَى الْوُجُودِ بِهَا لَا تُنْصَى وَقُرَّةُ عَيْنِي وَالْمُسَاعِدَ لِي ذَا مِنْ نُبُوَّتِهِ وَمِنْ وَلَا يَتَّهِ هَذَا اللَّهُ يَنْفَعُنِي بِالْقَضْدِ فِيهِ بِمَا فَكَانَ أَبْدَعَ تَكْوِينٍ وَتَحْسِينٍ بِالضُّطْقَيْنِ كَذَا النُّونِ وَذَا النُّونِ لِنُصْرِكَ بِالْأَعْلَى وَبِالدُّونِ سَطَرُهُ يَوْمَ تَرْجِيحِ الْمَوَازِينِ

باب في وفاته

وتوفي ذو النون، رحمه الله، بالجيزة^(١). وحُمل في مركب إلى القُسطاط^(٢) خوفاً عليه من زحمة الناس على الجسر ودفن في مقابر أهل المعافر. وذلك يوم الاثنين لِلثَّلَاثِينَ خَلْعًا مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ (سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ) كَذَا ذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوَازِيِّ فِي كِتَابِهِ^(٣).

وقال ابن هوازن^(٤): سَنَةُ (خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ)^(٥):

وكذا أخبرنا أبو الحسين بن الصايغ، عن أحمد بن محمد، عن الثَّقَفِيِّ، عن الشُّلَمِيِّ عن الحسن بن رشيق^(٦)، عن جَبَلَةَ بن محمد الصدفي^(٧)، عن عبد الله بن سعيد بن كثير بن

(١) (الجيزة) مدينة من مدن مصر تحدث عنها القزويني نقلاً عن أبي حامد الأندلسي الذي ذكر الأهرامات وأبا الهول، وما كان من القرى والرماليق، والمزارع والبساتين حول أبي الهول الذي يقول عنه (الصنم) والرمل خلفه وكان مكان ذلك الرمل مدن وقرى غطاها ولا يمكن الوصول إليها. وقال: رأيت مدينة فرعون سيدنا يوسف (عليه السلام). مدينة عظيمة بنياتها وقصورها أعظم وأحكم من مدينة فرعون سيدنا موسى (عليه السلام).

انظر تفاصيل ذلك العجبة في كتاب آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، ص ١٨٢.

(٢) (القُسطاط) هي المدينة المشهورة بمصر، بناها عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قبل: إنه لما فتح مصر عزم إلى الإسكندرية سنة ٥٢٠هـ وأمر بقسطاطه أن يقوض فإذا يمارة قد باضت في أعلاه... فلما قرغ من القتال قال لأصحابه أين تريدون؟ قالوا: نريد إلى قسطاطك أيها الأمير، فكان ثم بنى الجامع سنة ٢١هـ وكتب القرآن كله على حيطانه ثم جاء الفرغ فخرّبها حتى سنة ٥٧٢هـ حين قدم صلاح الدين وأمر ببناء سور على القُسطاط والقاهرة.

انظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٣٦.

(٣) صفة الصفوة، وتقدم الكلام عنه.

(٤) أي: أبو القاسم القشيري في رسالته.

(٥) وانظر في ذلك ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٣٢٠/٢، نفس التاريخ وعند سزكين ٢٤٦هـ انظر تاريخ التراث العربي، ٤٤٤/٢.

(٦) الحسن بن رشيق العسكري المصري مشهور، عالي السند إليه الحفاظ عبد الغني بن سعيد قليلاً، ووثقه جماعة، وأبكر عليه الدارقطني أنه كان يصلح في أصله وبغيره، توفي سنة ٣٧٠هـ. انظر ميزان الاعتدال، ٢٢٨/١، سزكين: تاريخ التراث العربي، ٣٢٨/١، طبقات الصوفية، هامش ص ١٦.

(٧) جبلة بن محمد الصدفي، ابن عبد الرحمن أبو يوسف الإفريقي سمع من سحنون وغيره، ثم غلب عليه التشنك والزهد صالح ثقة زاهد، سيد أهل زمانه وأزهدهم، توفي رحمه الله سنة ٢٩٩هـ. انظر: الماوي: الكواكب الدرزية، ٣٧٦/١.

عفيم^(١) قال: «مات ذو النون سنة خمس وأربعين ومائتين».

وكذا قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى^(٢):

أن ذا النون^(٣) توفي في ذي القعدة سنة (خمس وأربعين ومائتين) أخبر ذلك عنه عبد الله ابن محمد الحلواني، وأخبر عن الحلواني أبو عبد الرحمن الشلبي، ورويناه نحن عن السلمي بالسند المتقدم. وعلى هذا التاريخ أكثر الروايات.

وحدثنا عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخورجي، ثنا أحمد بن محمد بن أحمد، ثنا القاسم بن الفضل بن محمود ثنا أبو عبد الرحمن بن الحسن قال:

قيل: مات ذو النون سنة (ثمان وأربعين ومائتين) فهذا جملة ما رويناه من الاختلاف في تاريخ وفاته.

رضي الله عنه.

باب في سبب توبته، وبدء شأنه

حدثنا محمد بن قاسم، ثنا الحافظ أحمد بن محمد، ثنا الثقيفي أبو عبد الله القاسم بن الفضل محمود، ثنا أبو الرحمن الشلبي قال:

سمعت أبا بكر بن محمد بن عبد الله بن شاذان^(٤) يقول:

(١) عبد الله بن سعيد بن كثير بن غفر المصري، يروي عن أبيه، ويروي عنه علي بن قديد، والحسين بن إسحاق، قال ابن عياض: يروي عن الثقات المقلوبات لا يجوز الاحتجاج به، وقال الذهبي: روى عنه أبو عوانة في صحيحه. توفي سنة ٢٢٦هـ.

(٢) انظر ميزان الاعتدال، ١٦٧/٢، السلمي: طبقات الصوفية، ١٦، سركين: تاريخ التراث العربي، ٥٨٥/١. أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصديقي. كان مؤرخاً ومحدثاً، ولد في القسطنطينية سنة ٢٨١هـ. وتوفي رحمه الله سنة ٣٤٧هـ.

(٣) انظر ترجمته في: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٨٩٨/٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٣٣/١١، ابن العماد: شذرات الذهب، ٣٧٥/٢، كحالة: معجم المؤلفين، ١٣٣/٥، البغدادي: هدية العارفين، ٥١٤/١، الزركلي: الأعلام، ٦٥/٤، سركين: تاريخ التراث العربي، ٥٧٨/١، الطبعة العربية بالقاهرة ١٩٧٩م.

(٤) في المخطوط: (أن ذو النون).

(٥) محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان، أبو بكر الرازي المذكر كان جوالاً كثير الأسفار، راوياً لحكايات الصوفية، وكان أبو عبد الرحمن الشلبي كثير الحكايات عنه، ملياً بالسماع منه، ورد ليسانور ٣٤٠هـ، وتوفي رحمه الله يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٣٧٦هـ.

انظر: السلمي: طبقات الصوفية، خامس ص ١٨، تاريخ بغداد، ٤٦٤/٥، ميزان الاعتدال، ٨٥/٣.

سمعت يوسف بن الحسين^(١) يقول حضرت مجلس ذي النون يوماً وجاءه سالم المغربي فقال: «يا أبا الفيض ما كان سبب توبتك». فقال: عجب لا تُطيقه. فقال: بمعبودك إلا أخبرني. فقال ذو النون: أردت الخروج من مصر إلى بعض القرى. فتمت في الطريق في بعض الصحارى. ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة^(٢) عمياء فسقطت من وكرها على الأرض. فانشقت الأرض فخرج منها سُكْرَجَتَانِ^(٣) إحداها ذهب والأخرى فضة وفي إحداها سمسم، وفي الأخرى ماء فَجَعَلْتُ تَأْكُلُ من هذا، وتشرب من هذا.

فقلت: حسبي قد تبت. ولزمت الباب إلى أن قِيلَني.

أخبر في هذه الحكاية أنه بُشِّرَ بالقبول، وهذا عتدنا غير منكور. فإن العقل بجوْزه. وقد ورد الشرع به.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٤).

سمعت هذه الحكاية يوماً تُقرأ بحضرة الشيخ العارف أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر المهدي^(٥) بتونس، رضي الله عنه.

هذه القنبرة كانت نفسه في صورة حاله.

وحدثنا محمد بن اسماعيل أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد^(٦) إجازة ثنا أبو بكر

(١) يوسف بن الحسين) أبو يعقوب الرازي، شيخ الرّي وهي مدينة مشهورة قرب نيسابور. كان أوجد طريقته في إسقاط الحناء وترك التصنع، صحب ذا النون المصري، وأيا تراب النخشي، ورافق أبا سعيد الخراساني بعض أسفاره، توفي رحمه الله سنة ٣٠٤هـ.

انظر: السلمي: طبقات الصوفية، ١٨٥، أبو نعيم: حلية الأولياء، ٢٣٨/١٠، القشيري: الرسالة، ٢٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢٦/١١.

(٢) القنبرة) ضرب من الطير، يشبه الحشرة. وقال: الدحاجة القنبرانية هي التي على رأسها قنبرة أي فضل ريش مثل ما على رأس القنبر. والجمع قنابر.

انظر: اللسان، مادة (قبر - قير).

(٣) (السُكْرَجَة) إناء صغير يؤكل فيه الشيء الصغير من الأذم وهي فارسية. وفي الحديث قال (صلى الله عليه وسلم): (لا أكل في سُكْرَجَة) وما أكل النبي (صلى الله عليه وسلم) على خوان ولا في سُكْرَجَة، رواه البخاري في الأطلعة ٢٣، ٨، والترمذي أطلعة ١، وابن ماجه في الأطلعة ٣٠، وأحمد بن حنبل، ١٣٠/٣.

(٤) سورة يونس، الآية رقم (٦٤).

(٥) عبد العزيز بن أبي بكر المهدي، أبو محمد بتونس أخذ عن الشيخ أبي مدين، كان ذا اتصاف جميل، وعلم جليل بالرغم من كونه أمياً أتى عليه الأثمة، وأخذ عنه أكابر الأولياء له كرامات كثيرة، مات رحمه الله سنة ٦٧١هـ.

انظر ترجمته في المناوي: الكواكب الدرية، ١١٦/٢.

(٦) هو ابن الجوزي المشهور وتقدمت ترجمته.

ابن حبيب العامري^(١)، أنبأنا علي بن أبي صادق، أنبأنا أبو عبد الله بن ياكويه الشيرازي^(٢)، ثنا محمد دادويه السهتاني قال: سمعت الحسن بن علويه^(٣) يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: لما استأنست بذبي النون المصري قلت: أيها الشيخ ما كان بدء شأنك وما أنت فيه؟

قال: كنت شاباً صاحب لهو ولعب، ثم إنني تبت وتركت ذلك كله، وخرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام، ومعني بضبعة؛ فركبت في المركب مع تجار من مصر، وركب معنا شاب صبيح، كأنه يشرق وجهه. فلما توسطنا فقد صاحب المركب كيساً فيه مال. فأمر بحبس المركب. وقتش من فيه وأتعبهم، فلما وصلوا إلى الشاب ليقتش وثب وثبة من المركب حتى جلس على موج البحر وقام له الموج كالسرير وهو جالس عليه ينظر إليه من المركب ثم قال:

يا مولاي إن هؤلاء اتهموني. أقسم يا حبيب قلبي أن تأمر كل دابة في هذا المكان أن تخرج رؤوسها وفي أفواهها جوهرة.

فما تم كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب وحواليه أخرجت رؤوسها، وفي فم كل واحدة منها جوهرة مضيئة يتلألأ ويلامع، ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر، وجعل يتبختر على متن الماء ويقول:

﴿إِنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا نَكُونُ سَائِدِينَ﴾^(٤)

حتى غاب عن بصري.

(١) أبو بكر بن حبيب العامري لم أعثر على ترجمته.

(٢) محمد بن عبد الله بن ياكويه الشيرازي (أبو عبد الله الصوفي) ولد سنة ٣٤٠ هـ وتوفي سنة ٤٢٨ هـ. روى عنه أبو بكر بن خلف، وكانت وفاته بشيراز أيضاً. ترك مؤلفات منها: أخبار العارفين، بداية حال الخلاج ونهايته.

انظر: كحالة: معجم المؤلفين، ٢٠٢/١٠، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١٠٨٦/٣.

(٣) الحسن بن علي بن محمد بن سليمان، أبو محمد القطان، ويعرف بابن علويه كان ثقة. مات أبو محمد يوم السبت للثلاثين خلطاً من شهر ربيع الآخر ٢٩٨ هـ، وكان مؤنده سنة ٢٠٥ هـ.

انظر تاريخ بغداد، ٢٧٥/٧، طبقات الصوفية، هامش ص ٦٩، سزكين: تاريخ التراث العربي، ٢٦٠/١، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٧٩ م.

(٤) سورة الفاتحة، الآية رقم (٥).

باب في أنه كان من أهل الحديث

كان ذو النون، رحمه الله، من رواة الحديث أسند عن مالك بن أنس^(١)، والليث بن سعد^(٢)، وسفيان بن عيينة^(٣)، والفضيل بن عياض^(٤)، وغيرهم. وكان ثقة.

حدثنا محمد بن قاسم؛ ثنا أحمد بن محمد، حدثنا القاسم بن الفضل بن محمود، ثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال:

سألت علي بن عمر، يعني الدارقطني عن أحاديث ذي النون فقال: إذا صح السند إليه فأحاديثه مستقيمة وهو ثقة.

ذكر تاج الإسلام: أبو عبد الله الحسين بن حميس^(٥) رحمه الله، حدثنا عنه أبو الثناء محمود اللبان^(٦) بمدينة الموصل، ولقيت ابنته بمكة كانت تحضر مجلسنا، وكان لها لسان واجتمعت بها بالمدينة أيضاً، وأخبرتني بمدينة الموصل في دعوة اجتمعت بها فيها أنها تحمل كتب أبيها فحدثتنا عنه قال ابن حميس يسنده إلى محمد بن الحسن الجوهري مُعْتَمَناً قال:

(١) (مالك بن أنس) بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري أبو عبد الله، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد سنة ٩٣ هـ وتوفي رضي الله عنه سنة ١٧٩ هـ، سمع الزهري ونافعاً، وأبا الزبير وغيرهم من التابعين، كان صلياً في دينه بعيداً عن الأمراء والملوك، وأحواله ومناقبه كثيرة أكثر من أن تحصى. انظر: أبو نعيم: حلية الأولياء، ٦/ ٣١٦، الديار بكرى: تاريخ الحميس، ٣٣٢/٢، ابن قنفذ القسطنطيني: كتاب الوفيات، ١٤١، ابن العماد: شذرات الذهب، ٢٨٩/١، سركين: تاريخ التراث العربي، ١٢٠/٢، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٢٠٧/١، ابن قتيبة: المعارف، ٢٥٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٩٦/٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٧٤/١٠.

(٢) (الليث بن سعد) بن عبد الرحمن الفهمي (أبو الحارث) المصري إمام أهل مصر في الفقه والحدیث، أصله من خراسان، ولد بقلقشنده بالقرب من القاهرة، روى عن الزهري ونافع وطبقتهما، وروى عنه ابن شبيب وابن المبارك وآخرون كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، توفي رضي الله عنه سنة ١٧٥ هـ.

انظر ترجمته في: أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣١٨/٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ابن العماد: شذرات الذهب، ١/ ٢٨٥، ابن قنفذ القسطنطيني: كتاب الوفيات، ١٣٩، سركين: تاريخ التراث العربي، ٢٢٥/٢، كحالة: معجم المؤلفين، ١٦٢/٨.

(٣) (سفيان بن عيينة) بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي (أبو محمد) محدث الحرم المكي في عصره، كان إماماً عالماً ورعاً، مجتهداً على صحة حديثه، ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٩٨ هـ وقيل سنة ١٩٦ هـ. قال الإمام الشافعي: لو لا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز.

انظر ترجمته في: أبو نعيم: حلية الأولياء، ٢٧٠/٧، ابن العماد: شذرات الذهب، ٣٥٤/١، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١٢٩/٢، ابن قنفذ القسطنطيني: كتاب الوفيات، ١٤٩، سركين: تاريخ التراث العربي، ١٣٩/١، كحالة: معجم المؤلفين، ٢٣٥/٤.

(٤) (الفضيل بن عياض) سنيّ ترجمته بعد قليل انظرها.

(٥) ابن حميس الموصلي صاحب كتاب مناقب الأبرار الذي اعتمد عليه المؤلف وتقدم له ترجمته.

(٦) (أبو الثناء محمود اللبان) لم أعتز على ترجمته.

دخلت أنا وأبو الفضل على ذي النون، فقلت له: أكرمك الله حدثني بحديث أنتفع به، وأذكرك به. فرفع رأسه، فنظر إلي ساعة ثم قال: وأنت تكتب الحديث؟ فقلت: ربما فعلت. ورجوت أنك تحدثني حديثاً في الرقائق يكون عوناً لي على هذا المذهب. فقال: للحديث رجال، ولي شغل بنفسي عن الحديث، وإن كان الحديث من أركان الدين، ولولا نقص دخل على أهل الحديث والفقه لكانوا أفضل الناس في زمانهم. ولكن بذلوا علمهم لأهل الدنيا فحجبوهم وتكبروا عليهم وجعلوهم خوفاً. اقتتوا بالدنيا لما رأوا حرص أهل العلم والمتنعمين من القراء على الدنيا، والمتزلة عند أهلها. إذا القوم طلبوا الدنيا بعلمهم ما عند الله فجعلوا العلم فخاً للدينا فما أقبح هذا. شيء يطلب به الباقي كسبوا به الفاني. اللهم فلا تجعلنا منهم، ولو أنهم لزموا باب ربهم، عز وجل، لكفاهم وأعزهم ولكنهم انقطعوا إلى المخلوقين فوكلفهم وأذلهم. لو رجاوا الله لم يرجوا غيره أحداً، ولو خافوا الله لم يخافوا أحداً، ولو انقطعوا إلى الله لم يذلوا أبداً. لقد جهلوا بعد علمهم، واقتروا بعد غناهم، وذلوا بعد عزهم، وصاروا عبيداً لأهل الدنيا بعدما جعلهم الله أحراراً شربوا بكأس المفتونين شربة فذهبت بعقولهم. إن العلم سلاح الدين، فإذا طلبت به الدنيا لم ينفعك.

ثم قال: لقيت المسيب بن واضح^(١)؟ فقلت له: نعم أريد أن ألقاه، إن شاء الله. فقال: إذا لقيته فسله أن يحدثك عن يوسف بن أسباط^(٢)، عن سفيان الثوري^(٣)، عن الحسن^(٤)، فإني أكره أن أكون محدثاً. فقلت له: أسمعته منك، فهو أحب إلي، ولعلي لا ألقاه.

(١) المسيب بن واضح: أورد ذكره الذهبي فيمن أخذ عنه الإمام الحافظ أبو عروبة محدث حران الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود السلمي وقال الذهبي روى عن جماعة منهم المسيب بن واضح وكانت وفاة الحسين سنة ٣١٨ هـ، ويبدو أنه من نفس طبقتهم.

انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٧٧٤/٢.

(٢) يوسف بن أسباط: سيد الرقاد، ومن أئمة الشرح المتورعين، غلب عليه الخوف، والفرح، والعلم. كان يقول: (أعطى الله الخين ثلاثة أشياء: خلاوة، مهابة، أخية). توفي سنة ١٩٦ هـ. وقيل سنة ١٩٩ هـ.

انظر ترجمته في: الجامعي: نفحات الأنس، ٩٢: السلمي: طبقات الصوفية، ٣٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٢/ ٢١، المناوي: الكواكب الدرية، ١/ ٣٢٤، الشعرائي: الطبقات الكبرى، ١/ ٥٢، ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٢/ ٨٤٩، (سفيان الثوري) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من بني ثور بن عبد مناة من مضر، (أبو عبد الله) كان إماماً في علم الحديث، ومن الأئمة المجتهدين ولد سنة ٩٥ هـ بالكوفة، وتوفي رضي الله عنه سنة ١٦٢ هـ. أجمع الناس على زهده وورعه ولفته في الرواية، وترك عدداً من المؤلفات.

انظر ترجمته في: ابن العماد: شذرات الذهب، ١/ ٢٥٠، أبو نعيم: حلية الأولياء، ٦/ ٣٥٦، ابن قنفذ القسنطيني: كتاب الوقفيات، ١٣٤، كحالة: معجم المؤلفين، ٤/ ٢٣٤، مزكين: تاريخ التراث العربي، ٢/ ٢٢٤، طبعة القاهرة ١٩٧٩ م.

(٤) الحسن الذي روى عنه سفيان الثوري هو: الحسن بن عبيد الله النخعي أما الذي روى عن سفيان الثوري هو: الحسن بن بنت الشعبي.

فقال: انظروا إلى الشاب ما أحرصه على طلب هذا الشأن، وإنّي أجد له موقعاً ورقةً. اللهم اصنع له وبلغه أمله.

قد طال مجلسنا ونعود إن شاء الله.

في ما رُوينا من أحاديثه عن مالك بن أنس

ما حدثنا به أبو الحسن الصايغ الزاهد، ثنا أحمد بن محمد بن أحمد، ثنا القاسم بن الفضل، ثنا أبو عبد الرحمن السُّلَمي، ثنا عبد الله بن الحسين الصوفي، ثنا محمد بن حمدون بن مالك البغدادي^(١)، ثنا الحسن بن أحمد بن المبارك^(٢)، ثنا أحمد بن صليح الفيومي^(٣)، ثنا ذو النون المصري عن مالك بن أنس^(٤) عن الزهري^(٥).

عن أنس^(٦) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«علامة حب الله حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله»^(٧).

- (١) هو: محمد بن حمدون، ويقال ابن حمدان، أبو حامد أو ابن حامد القطعي، البغدادي المقرئ، يعرف بالثقي. قرئ عليه في مسجده ببغداد سنة ٣٠٢ هـ انظر: غاية النهاية، ١٣٥/٢، السلمي: طبقات الصوفية، هامش ص ١٦.
- (٢) هو: الحسن بن أحمد بن المبارك أبو سعيد التستري، قال الخطيب: صاحب مناقير. انظر: الذهبي: ميزان الاعتدال، ٢٢٣/١، السلمي: طبقات الصوفية، هامش ص ١٦.
- (٣) هو: أبو جعفر أحمد بن صليح بن رسلان، الفيومي. يروي عن ذي النون المصري، ولم يكن أحمد ممن يعتمد عليه في روايته.
- (٤) انظر: الذهبي: ميزان الاعتدال، ٤٩/١، السلمي: طبقات الصوفية، هامش ص ١٧.
- (٥) تقدمت ترجمته.
- (٥) الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، المدني، أول من دُوِّن الحديث، وأحد أكابر الفقهاء والمحدثين والأعلام بالمدينة ولد سنة ٥٠ هـ. رأى عشرة من الصحابة وروى عن أنس بن مالك وروى أيضاً عن جماعة من الأئمة منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة كان يحفظ ألفين ومائتي حديث. توفي رحمه الله سنة ١٢٤ هـ وقيل سنة ١٢٥ هـ.
- انظر: المزي: تهذيب الكمال، ٢٢٠/١٦، ترجمة رقم (٦١٩٥)، ابن قنفذ القسنطيني: كتاب الوفيات، ص ١١٨، أبو تميم: حلية الأولياء، ٣٦٠/٣، ابن العماد: شذرات الذهب، ١٦٢/١.
- (٦) (أنس بن مالك) رضي الله عنه، هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد النضاري، الخوزجي، الأنصاري، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وخادمه؛ كان يسمى بذلك ويفتخر به وحق له ذلك. كتبه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبا حمزة بقلّة كان يحبها. خدم النبي (صلى الله عليه وسلم) عشر سنين وهي مدة إقامته (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة، ثم رحل إلى دمشق بعد وفاة النبي، ومنها إلى البصرة فتوفي خارجها، ودفن في موضع بعيد عن المدينة يعرف بقصر أنس. اتفق العلماء على مجاوزة عمرة المائة وكانت وفاته سنة ٩٣ هـ.
- انظر: ابن حجر: الإصابة، ١٣٨/١، ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٢٩٨/١، ابن قنفذ القسنطيني: كتاب الوفيات، ٨٥.
- (٧) حديث: «علامة حب الله حب ذكر الله...»، أورده السيوطي في جامع الأحاديث، وقال: رواه البيهقي في الشعب عن أنس بن مالك، الحديث رقم (١٤٦٨) ٥٢٧/٤.

ومن أحاديثه: عن سفيان بن عُيينة^(١)

ما حدثنا به أبو محمد عبد العزيز بن أبي نصر بن المبارك بن محمود الأخضر ببغداد^(٢)، ثنا يحيى بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الواحد الغزالي، ثنا حمد بن أحمد الحداد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا سهل بن عبد الله التستري^(٣)، ثنا الحسن بن أحمد الطوسي، ثنا أحمد بن ضليح، حدثنا ذو النون، ثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الله بن أبي بكر. سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله. فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»^(٤).

ومن أحاديثه: عن الليث بن سعد

ما حدثنا عنه الحاج محمد بن علي ابن أخت أبي الربيع المقوقى، ثنا أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الحافظ ثنا أبو عبد الله الثقفي، ثنا أبو عبد الرحمن الشلبي، عبد الله بن الحسين الصوفي، ثنا محمد بن حمدون، ثنا الحسن بن أحمد، ثنا أحمد بن ضليح، ثنا ذو النون المصري، عن الليث بن سعد، عن نافع^(٥)، عن ابن عمر، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «الدنيا مسجن المؤمن وجنة الكافر»^(٦).

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) (أبو محمد) عبد العزيز بن أبي نصر بن المبارك بن محمود الأخضر الجنايدي ثم البغدادي مسند العراق ولد سنة ٥٢٤هـ. ممنوع من الأموي، وابن ناصر، وأبي الوقت حدث نحواً من ستين عاماً له مؤلفات كثيرة. توفي رحمه الله سنة ٦١١هـ. وحدث عنه ابن نقطة وابن النجار، والضياء، والبرقاني وغيرهم. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٣٨٣/٤.

(٣) (سهل بن عبد الله بن بوس بن عيسى بن عبد الله بن ربيع) التستري، وكنيته أبو محمد. أحد أئمة القوم وعلمائهم، والمتكلمين في علوم الرياضيات والإخلاص، وغيوب الأفعال. شاهد ذاك النون سنة خروجه إلى الحج بمكة. توفي سنة ٢٨٣هـ. كان يقول: (شكر العلم العمل) وشكر العمل زيادة العلم.

انظر ترجمته في السلمي: طبقات الصوفية، ٢٠٦، أبو نعيم: حلية الأولياء، ١٨٩/١٠، القشيري: الرسالة، ١٨، ابن العباد: شذرات الذهب، ١٨٢/٢.

(٤) حديث: (يتبع الميت ثلاث....)، أورده السيوطي في جامع الأحاديث، وقال: رواه أحمد بن حنبل ورواه كل من البخاري ومسلم بإتفاق، ورواه الترمذي، والنسائي، كلهم عن أنس رضي الله عنه.

انظر: جامع الأحاديث، ٣٤/٨، حديث رقم (٢٨/٢٨٤).

(٥) (نافع) هو مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً.

(٦) حديث: (الدنيا مسجن المؤمن وجنة الكافر)، أورده السيوطي في جامع الأحاديث، وقال: رواه الإمام أحمد بن حنبل، والإمام مسلم، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الطبراني، والحاكم عن سلمان، والبرقاني عن ابن عمر رضي الله عنهم.

انظر: جامع الأحاديث، ١٥٩/٤، حديث رقم (٢٢١٧٩).

ومن أحاديثه: عن فضيل بن عياض^(١) ما حدثنا به الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني كتابه. قال: ثنا أبو المظفر أحمد بن سعيد القاشاني، ثنا الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله^(٢)، وحدثنا به أيضاً يونس بن يحيى الهاشمي بمكة، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الفضل بحر بن إبراهيم بن زياد، ثنا الحسن بن أحمد الوثائقي، ثنا أحمد بن صالح القيومي، ثنا ذو النون، ثنا الفضيل بن عياض، عن ليث، عن مجاهد^(٣) عن ابن عباس^(٤) قال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلما عشر»^(٥).

(١) فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر الصميمي، ثم اليربوعي خراساني من ناحية «مرو» يكنى: أبا علي، وقيل ولد بمرقند، توفي رضي الله عنه في الحزم سنة ١٨٧هـ أسند الحديث. كان يقول: (لم يترك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء النفس، وسلامة الصدر، والتصنع للأمة).

انظر: أبو نعيم: حلية الأولياء، ٨٤/٨، السلمي: طبقات الصوفية، ٦، ابن العماد: شذرات الذهب، ٣١٦/١، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٩٨/١، الحامي: نفحات الأنس، ٨٨/١، ابن تخرى يروي: التجوم الزاهرة، ١٣١/٢.

(٢) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الشافعي (أبو نعيم) الصوفي الشهير والمؤرخ والمحدث له حلية الأولياء، وتاريخ أصبهان، ودلائل النبوة، ومعرفة الصحابة، وغيرها من الكتب الهامة. توفي رحمه الله، سنة ٤٣٠هـ.

انظر: حلية الأولياء، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٢٧٥/٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ٤٥/١٦، الذهبي: ميزان الاعتدال، ٥٢٤/١، ابن العماد: شذرات الذهب، ٢٤٥/٣، كحالة: معجم المؤلفين، ٢٨٢/١، ابن تقي القسطليني: كتاب الوفيات، ٢٣٩.

(٣) مجاهد بن جبر (يقال: ابن جبر، المكي، أبو الحجاج القرشي الخزومي مؤلف السائب بن أبي السائب الخزومي. روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم جميعاً. وروى عنه أنان بن صالح، وجابر الجعفي، وسعيد بن مسروق الثوري ولد سنة ٢١هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتوفي سنة ١٠٤هـ.

انظر ترجمته في: المزي: تهذيب الكمال، ٤٤٠/١٧، ترجمة رقم (٦٣٧٤)، ابن تقي القسطليني: كتاب الوفيات، ١٠٢، أبو نعيم: حلية الأولياء، ٢٧٩/٣، ابن العماد: شذرات الذهب، ١٢٥/١.

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي الخبر البحر ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والصحابي الجليل وأبو الخلفاء العباسيين. ولد قبل الهجرة ثلاث سنوات، ونشأ في بدء عصر النبوة وتوفي سنة ٦٨هـ. كان يسمى ترجمان القرآن.

انظر: ابن تقي القسطليني: كتاب الوفيات، ص ٧٦، ابن حجر: الإصابة، ترجمة رقم ٤٧٧٢، أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣١٤/١، ابن العماد: شذرات الذهب، ٧٥/١.

(٥) حديث: (تجافوا عن ذنب السخي...)، أورده السيوطي بلفظ: (تجاوزوا) وقد رواها الدارقطني في الأفراد، والطبراني: وأبو عجم في الخلفاء، والبيهقي في الشعب كلهم عن ابن مسعود رضي الله عنه. أما رواية ابن عباس (تجاوزوا عن ذنب السخي، وزلة العالم، وسطة السلطان العادل، فإن الله تعالى أخذ بأيديهم كلما عشر عائز منهم) رواه الخطيب في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنه.

انظر السيوطي: جامع الأحاديث، ٥٥٦/٣، حديث رقم (١٠١٧٩)، (١٠١٨٠) وانظر العجلوني: كشف الخفاء، ١/ ٢٩٦، حديث رقم (٩٤٩).

فهذا قد ذكرناه من الأحاديث التي رويناها عنه من طريق شيوخه الذين سميناهاهم، وإنما بدأنا بالأحاديث رغبة في البركة بكلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم بعد هذا أسوق مناقبه، رضي الله عنه.

باب في ذكر محنته واجتماعه مع أمير المؤمنين المتوكل ومنصرفه من بغداد

ولما برع في هذه الطريقة، وسما على المجتهدين في العبادة، وفتح عليه في المعرفة، وظهر عنه من العلم ما لم تبلغه أفهام أهل وقته سئوه زنديقاً، وسعوا به إلى أمير المؤمنين المتوكل، وذلك سنة أربع وأربعين ومائتين فاستحضره المتوكل من مصر مقيداً فدخل عليه ووعظه حتى بكى^(١) المتوكل^(٢)، وردّه إلى مصر مكرماً. وكان المتوكل بعد ذلك إذا ذكر بين يديه أهل الورع يبكي، ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحيهلاً بهذي النون.

حدثنا أبو الثناء محمود البلبان بالموصل، ثنا تاج الإسلام ابن خميس^(٣) بسنده إلى ذي النون قال: قال ذو النون: لما حُمِلْتُ إلى بغداد رُمي بي على باب السلطان مقيداً فمرّ بي رجل متزّر بمنديل مصري معتم بمنديل دبيقي بيده كيزان خزف، وقاق، وزجاج مخروط. فسألت: هذا ساقى السلطان؟

فقيل لي: لا، بل ساقى العامة.

فأومأت^(٤) إليه: اسقني.

فتقدم إليّ، وسقاني. فشملت من الكوز رائحة المسك فقلت لمن معي: ادفع إليه ديناراً. فأعطاه الدينار فأبى أن يأخذه وقال: لن أأخذ شيئاً^(٥).

فقلت له: ولم؟

(١) في المخطوط: (بكى).

(٢) (المتوكل على الله جعفر بن المعتمد محمد بن الرشيد هارون الهاشمي) العباسي البغدادي؛ أبي الفضل، أمير المؤمنين، كان مولده سنة ٢٠٥ هـ ببيع بالخلافة بعد موت أخيه الواثق بالله في شهر ذي الحجة سنة ٢٣٢ هـ ولما استخلف أظهر الشبهة وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع الحجة وإظهار الشبهة. قتل المتوكل ليلة الأربعاء الرابع من شوال سنة ٢٤٧ هـ.

انظر: الديار بكرى: تاريخ الخميس، ٣٣٨/٢، الذهبي: دول الإسلام، ١/١٤١.

(٣) ابن خميس الموصلني صاحب (مناقب الأبرار) وتقدمت ترجمته.

(٤) في المخطوط: (فأوميت).

(٥) في المخطوط: (ليس أأخذ شيئاً).

قال: أنت أسير، وليس من المروءة الأخذ من الأسير.

فقلت: هذا قد كُملَ الظُّرف. وإذا إنسان يكلمني من ورائي ويقول: يا شيخ فلم لم تنظر
عن الحال التي أوجيئتُ فيها ما أرى.

فالتفتُ فإذا امرأة زَمَنَةٌ^(١) في كوخ يُتَصَدَّقُ عليها.

قلت لها: أنا مظلوم.

قالت: فاقبل الآن مني، إذا دخلت على هذا الرجل فلا تهايه، ولا ترى أنه فوقك. فإنكما
مخلوقان من نطفة واحدة، ومن طينة واحدة. فقيرٌ إلى من أنت إليه فقير، ولا تحتج عن نفسك،
محقاً كنت أو متهماً.

قلت: ولم؟

قالت: إن هبته سلط عليك، وإن احتججت عن نفسك لم يردك ذلك إلّا وبالاً، لأنك
تباهت الله تعالى، فيما يعلمه منك، وإن كنت بريئاً^(٢) فادع الله تعالى ينتصر لك، ولا تنتصر
لنفسك فتبكتك إليها.

قال ذو النون: فلما دخلتُ عليه سلّمت بالخلافة.

فقال لي: ما تقول فيما قيل فيك؟

فَسَكَتُ.

قال وزيره: هو عندي حقيق بما قيل فيه.

ثم قال لي: لم لا تتكلم؟

فقلت: يا أمير المؤمنين. إن قلت لا أكذبت المسلمين فيما قالوا. وإن قلت نعم كذبت على
نفسك بشيء لا يعلمه الله تعالى مني. فافعل ما ترى^(٣)، فإني غير منتصر لنفسي.

فقال أمير المؤمنين: هذا رجل بريء مما قيل فيه. ثم قال: عطفنا عافاك الله.

فقلت: يا أمير المؤمنين رجل يعلم أن الله خلقه، وخلق الجنة من أجله إن أطاعه، وخلق النار
من أجله إن عصاه، لا يكون على مثل ما رميت به من البدعة ولا مثل ما أنتم عليه من الغفلة.

(١) زَمَنَةٌ: أي عجوز.

(٢) في المخطوط: (برئاً).

(٣) في المخطوط: (ما ترى).

فخَلَّى عني فخرجت إلى العجوز فقلت لها: جزاك الله عني خيراً، قد امتثلت ما أمرت به فمن أين لك هذا؟

قالت: من حديث الّهْدَهْد ما خاطب به سليمان بن داود (عليه السلام).

فقلت لها: ادعي الله لي.

فقلت: مُرّ جعلك الله مسلماً.

فروينا عن ذي النون أنه كان يقول بعد ذلك: من أراد أن يتعلم المروءة والظرف فعليه بسقاء الماء، ومن أراد أن يسمع تجريد التوحيد، وخالص التوكل، فعليه بالنساء أُرْمنا بها.

باب في الفتوة^(١)

تريد قول الله تعالى إخباراً عن الّهْدَهْد لسليمان (عليه السلام):

﴿أَخْطُتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٌ﴾^(٢).

أنهأت عن المشاهدة، والأخذ من غير الجود على الشهود أَسْرار الوجود.

وحدثنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان، حدثني إبراهيم بن يحيى البربري قال:

لما حَمِلَ ذو النون بن إبراهيم إلى جعفر المتوكل أنزله في بعض الدور، وأوصى به زرافة وقال: إذا أنا رجعت غداً من ركوبي فأُخْرِجْ إِلَيَّ هذا الرجل.

فقال له زرافة: إن أمير المؤمنين قد أوصاني بك.

فلما رجع من الغد من الركوب قال له: انظر أن تستقبل أمير المؤمنين بالسلام. فلما أخرجه إليه قال له: سلم على أمير المؤمنين.

(١) (الْفَتْوَةُ: لَفَتْ: فَنَأ، وَالتَّاءُ الشَّاب، وَالضُّي، وَالْقِيَّة: الشَّاب وَنَشَابَةُ، وَالْفَعْل: فَوَّرَ يَفْتَرُ فَتَارَةً، وَالْفَتَى، وَالْقَتَى، وَالْقِصَةُ هُوَ الشَّاب مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالاسْمُ مِنْ جَمْعِ ذَلِكَ الْفَتْوَةُ. وَفِي الْمَصْطَلَحِ الصُّوفِيِّ: أَنْ لَا تَشْهَدَ لِنَفْسِكَ قُضَاءً، وَلَا تَرَى لَهَا حَقًّا، وَهِيَ فَوْقَ التَّوَضُّعِ، وَهِيَ مُسْتَجْمَعَةٌ لَأُمُورٍ كَثِيرَةٍ.

انظر: معجم المصطلحات الصوفية، لمقاسمي بتحقيق ١٩٤٦، وفي مبادئ السالكين بتحقيقنا أيضاً؛ الفتوة: اسم جامع لمعاني جميلة، وحاصل حميدة، وأخلاق روحانية ومواهب سنية. انظر أبو بكر الرازي: منارات السالكين: ٤٦٠، طبعة سلسلة التراث الهبئية المصرية العامة للكتاب.

(٩٥) سورة النحل، الآية رقم (٢٢).

فقال ذو النون: ليس هكذا جاءنا الخير، إنما جاءنا الخير أن الراكب يسلم على الراحل^(١). قال: فتبشّم أمير المؤمنين وبدأه بالسّلام فنزل إليه أمير المؤمنين فقال له: أنت زاهد أهل مصر. قال: كذا يقولون.

فقال له زرافعة: إن أمير المؤمنين يحب أن يسمع من كلام الزهاد.

قال: فأطرق ملياً ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن الجهل علق بنكتة أهل الفهم. يا أمير المؤمنين. إن لله عبداً عبدوه بخالص من السرّ، فشرّفهم بخالص من شكره، فهُم الذين تمرّ صُحفُهم مع الملائكة فرغاً حتى إذا صارت إليه ملأها لهم من سرٍّ ما أسروا إليه. أبدانهم دنيوية، وقلوبهم سماوية، قد احتوت قلوبهم من المعرفة كأنهم يعبدونه مع الملائكة بين تلك الفرج، وأطباق السموات. لم يجتنوا من ربيع الباطل، ولم يرتعوا في مصيف الآثام، ونزّهوا الله أن يراهم يتواثبون على حبال مكره، هيبة منهم وإجلالاً أن يراهم يبيعون أخلاقهم بشيء لا يدوم، بلذة من العيش مزهودة. فأولئك الذين أجلسهم على كراسي أطباء أهل المعرفة بالأدواء، والنظر في منابت الدواء فجعل تلامذتهم أهل الورع والبصر. فقال لهم: إن أتاكم عليلٌ من فقدي فداووه، أو مريضٌ من ذكري فادّوه، أو ناسٍ لنعمتي فذكّروه، أو مبارزٌ لي بالمعاصي فنادّوه، أو محبٌ إليّ فواصلوه. يا أوليائي فلکم عاتبتُ، ولکم لحاطبتُ، ومنکم الوفاء طلبتُ. لا أحب استخدام الجبارين، ولا تولي المتكبرين، ولا مصافاة المتوثنين. يا أوليائي وأحبائي جزائي لكم أفضل الجزاء، وعطائي لكم أفضل العطاء، وبذلي لكم أفضل البذل، وفضلي عليكم أوفر الفضل، ومعاملتي لكم أوفى المعاملة، ومطالبتي لكم أشد المطالبة. أنا مفتش القلوب، وأنا علام الغيوب، وأنا عالم بمجال الفكر ووساوس الصدور، من أرادكم بسوء فقصته، ومن عاداكم أهلكته.

ثم قال ذو النون:

ويحك وردت قلوبهم على بحر محبته، فاغترفت منه ريثاً من الشراب، فشربت منه بمحاض القلوب، فسهل عليها كل عارض عرض لها عند لقاء المحبوب، فواصلت الأعضاء مبادرة، وألقت الجوارح تلك الراحة فهم رهائن أشغال الأعمال. قد اقتلعتهم الراحة بما كُلفوا أخذه عن الانسباط بما لا يضرهم تركه. قد سكنت لهم النفوس ورضوا بالفقر والبؤس، واطمأنت جوارحهم على الدؤوب على طاعة الله تعالى بالحركات فطعنّت أنفسهم عن المطامع والشهوات، فتولّوها بالفكرة، واعتقدوا الصبر، وأخذوا بالرضا، ولهاو لهيبته وأقروا له بالتقصير، وأذعنوا له بالطاعة، ولم يُبالوا بالقلّة، إذا خلّوا فأهل بكاء، وإذا عوملوا فإخوان حياء، وإذا علموا

(١) أي: الذي يسير على قدميه.

فحكماء، وإذا سُئلوا فعلماء، وإذا جهل عليهم فحلما، فلو قد رأيتهم لقلت عذارى في الخدور، قد تحركت لهم الحجة في الصدور، يحسن تلك الصور التي قد علاها النور، وإذا كشفت عن القلوب رأيت قلوباً ليئة منكسرة وبالذكر نيرة، وبمحادثة الحبيب عامرة لا يشغلون قلوبهم بغيرة ولا يميلون إلى ما دونه، قد ملأت محبة الله صدورهم، فليس يجدون لكلام المخلوقين شهوة، ولا لغير الأنيس ومحادثة الله تعالى لذة، إخوان صدقي، وأصحاب حياتي، ووقار، وثقي، وورع، وإيمان، ومعرفة، ودين.

قطعوا الأودية بغير مفاوز، واستقبلوا الوباء بالصبر على لزوم الحق، واستعانوا بالحق على الباطل، فأوضح لهم الحجة ودلهم على الحجة، فرفضوا طريق المهالك، وسلخوا خير المسالك. أولئك هم الأوتاد، الذين بهم توهب المواهب، وبهم تفتح، وبهم يُنشأ السحاب، وبهم يُرفع العذاب، وبهم يُسقى العباد. فرحمة الله علينا وعليهم.

خبر ما اتفق له مع زرقاة عند منصرفه من بغداد

حدثنا يونس بن يحيى، حدثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى، حدثني محمد بن أحمد الحذاء قال: سمعت هارون بن عيسى البغدادي يقول: حدثني أبي عن زرقاة صاحب المتوكل قال: لما انصرف ذو النون من عند أمير المؤمنين، دخل عليّ ليودعني فقلت له: اكتب لي دعوة. ففعل. فقربت إليه جام لوزينج. فقلت له: كُلْ من هذا، فإنه يوزن الدماغ، وينفع العقل.

قال: العقل ينفعه غير هذا.

قلت: وما ينفعه؟

قال: ينفعه اتباع أمر الله، والانتها عن نهيه. أما علمت أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «إنما العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه»^(١).

فقلت: أكرمني بأكلة؟

فقال: أريد ألد من هذا.

قلت: وأي شيء تريد؟

فقال: هذا لمن لا يعرف الخلواء، ولا يعرف آكله، وإن أهل معرفة الله يتخذون خلاف هذا اللوزينج.

(١) حديث: «إنما العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه»، لم أقف عليه، ويبدو أنه جزء من حديث.

فقلت: لا أظن أحداً في الدنيا يحسن أن يتخذ أجود من هذا، وإن هذا من مطبخ أمير المؤمنين المتوكل على الله.

فقال لي: أنا أصف لك لوزينج المتوكل على الله.

قلت: هات لله أبوك.

قال: «تخذ لباب مكنون محض طعام المعرفة، واعجنه بماء الاجتهاد، وانصب اثنية الانكسار، وطابق صفو الوداد، ثم اخبز لوزينج العباد بحرّ نيران نفّس الزهاد، وأوقد بحطب الأئين حتى ترمي نيران وقودها بشعر الضنا، ثم احش ذلك بقتد الرضا، ولوز الشجاء، مرضوضان بمهراس الوفا، مطييان بطيبة رقة عيش الهوى، ثم اطوه طي الأكياس للأيام بالعزاء، واقطعه بسكاكين السهر جوف الدجى، ورفض لذيد الكرى، ونضّده على جامات القلق والشهيق، وانثر عليه سُكراً يعمل من زفرات الحرق، ثم كله بأنامل التقويض في ولائم المناجاة بوجدان خواطر القلوب. فعند ذلك تفريج كرب القلب، ومحل سرور المحب بالملك المحبوب».

ثم ودّعني وخرج. انظر إلى حسن سياسته، وتلطفه به لما أراد أن يتورع في أكل طعامه. ما ألطفه من متورع، رضي الله عنه.

باب في ذكر نبذ من أحواله

« في انفراده وسماعه وغير ذلك، فمن ذلك ما يدل على ورعه:

حدثنا ابن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الحسن ابن مقسم قال:

سمعت الحسين بن علي بن خلف يقول: سمعت إسماعيل^(١) يقول: حضرت ذا النون في الحبس وقد جاءه الجنواز بطعام له فقام ذو النون فنفض يده.

فقبل له: إن أخاك جاء.

فقال: إنه مرّ على يدي ظالم.

(١) (إسماعيل المغربي) من مشايخ ذي النون المصري وكان من المغرب، وله كلام كثير في الزهد والتوكل والمعاملات، توفي رضي الله عنه في القرن الثالث الهجري.

انظر: الجامي: نفحات الأنس، ٨٠/١، أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣٤٦/٩، الطوسي: المنع، ٢٢٨.

﴿ وما يدل على قُرْبِهِ وَظَفَرِهِ بما أَوَادَ مِنْ رَبِّهِ: ﴾

حدثنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، حدثني علي بن عبد الله بن سويد، ثنا محمد بن حمدان بن الصَّيَّاح، ثنا أبو بكر محمد بن خلف المؤدب.

قال: رأيت ذا النون على ساحل البحر، فلما جنَّ الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال: سبحان الله ما أعظم شأنكما، بل شأن خالقكما أعظم منكما، فلما تهور الليل لم يزل ينشد هذه الأبيات إلى أن طلع عمود الصبح:

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنا

قد وجدت لي سكناً ليس في هواه غنا

إن بعدت قرّبي أو قربت منه دنا

كان ذو النون من القلائل الذين يعلمون شأن السموات والأرض. قال تعالى:

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

﴿ وما يدل على أمانته وظَفَرِهِ وتعظيمه لأهل العلم؛ ومراعاته حقوق الله:

ما حدثنا به عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو عمرو عثمان بن محمد، ثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله بن جعفر الرازي (٢) قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: بلغني أن ذا النون يعلم اسم الله الأعظم، فخرجت من مكة قاصداً إليه حتى واقفته في جيزة مصر. فأول ما أبصرني (٣) ورأني، وأنا طويل اللحية، وفي يدي ركوة طويلة، متّزر بمئزر، وعلى كتفي مئزر، وفي رجلي تاسومة استشنع متظري. فلما سلمت عليه كأنه ازدرائي، ولم أر منه تلك البشاشة. فقلت في نفسي: ما تدري مع من وقعت؟

(١) سورة غافر، الآية رقم (٥٧).

(٢) محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الحيد الرازي، وعرف قديماً بابن الوستاق (أبو الحسين) الحديث، الحافظ، المؤرخ، سمع الحديث الرازي، وزار مكة وسمع بها، وسكن دمشق وتوفي بها من آثاره مؤلف في أخبار الإمام الشافعي وأحواله... توفي رحمه الله سنة ٣٤٧ هـ.

انظر: كحالة: معجم المؤلفين، ٢٠٧/١٠، الذمبي: تذكرة الحفاظ، ١٠٥/٣، ابن العماد: شذرات الذهب، ٣٧٦/٢،

الغنداري: هدية العارفين، ٤٣/٢.

(٣) في المخطوط: (بصري).

قال: فجلست ولم أبرح من عنده، فلما كان بعد يومين، أو ثلاثة، جاءه رجل من المتكلمين فناظره في شيء من الكلام، واستظهر على ذي النون، وغلبه. فاغتمت ذلك وبركت بين يديهما، واستيتبت انتكلم إليّ وناظرته حتى قاطعته، ثم ناظرته بشيء لم يفهم كلامي.

قال: فتعجب ذو النون من ذلك. وكان شيخاً وأنا شاب. قال: فقام من مكانه وجلس بين يدي. وقال: اعذرني فإنني لم أعرف محلّك من العلم، وأنت أقر الناس عندي.

قال: فما زال بعد ذلك يُحَنِّي ويكرمني ويرقني على جميع أصحابه حتى بقيت على ذلك سنة. فقلت له: يا أستاذ أنا رجل غريب، وقد استتقت إلى أهلي، وقد خدّمتك سنة، وقد وجب حقي عليك. وقيل لي: إنك تعرف اسم الله الأعظم وقد جربتني، وعرفت أنني أهل لذلك، فإن كنت تعرفه فعلمي إياه. قال: فسكت عني ذو النون، ولم يجبني بشيء، وأوهمني أنه يقول لي ويعلمي. ثم سكّيت عني سنة أشهر، فلما كان بعد سنة أشهر من يوم مسألتي إياه قال: يا أبا يعقوب. ألسنت تعرف فلاناً صديقنا بالفسطاط الذي يحبنا وسمى رجلاً.

فقلت: بلى.

قال: فأخرج إليّ من بيته طبقاً فوقه مكتبة مشدود بمنديل. فقال لي: أوصل هذا إلى من سميت لك بالفسطاط.

قال: فأخذت الطبق لأؤديه، فإذا الطبق خفيف يدل على أن ليس في جوفه شيء. فلما بلغت الجسر الذي بين الفسطاط والخيزرة قلت في نفسي:

ذو النون يوجه إلى رجل يهديها وها أنا! أرى طبقاً خفيفاً، فلا تُصِرُّ إيش فيه. قال: فحللت المنديل، ورفعت المكتبة فإذا قارة قد ففرت من الطبق فمّرت. قال: فاغتمت وقلت: إنما سخر بي ذو النون، ولم يذهب وهمي إلى ما أراء في الوقت. قال: فحسنت إليه وأنا مغضب. فلما رأني تيسر وعرف القضية. وقال: يا مجنون أئتمك في قارة فحسنتي أئتمك على اسم الله الأعظم. قم عني قارح ولا أراك بعد هذا.

وما يدل على إنصافه وتيسر محله لقبول الخير:

ما حدثنا به أحمد بن محمد بإجازة قال: ثنا الفضل الشافعي، ثنا أبو عبد الرحمن قال: سمعت عبد الواحد بن بكر قال: سمعت محمد بن الحسن يقول: سمعت أبا عبد الله بن

الجللاء قلت لذي النون لم سمي أبي الجللاء؟ أكان يصنع صنعة قال: لا نحن سميناه الجللاء كان إذا تكلم علينا جلا قلوبنا. وكان ذو النون من شيوخ أبي عبد الله بن الجللاء.

«وما يدل على صفاته:

ما حدثنا به ابن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم قال: سمعت أبا محمد يقول: سمعت إسماعيل يقول: سأل رجل ذا النون المصري عن سؤال فقال له ذو النون إن قلبي لك مقفل، فإن فتح لك أجبته، وإن لم يفتح لك فاتهم نفسك.

«ومن أدبه وقوة وجدته:

ما حدثنا به يونس، ثنا ابن ناصر محمد، ثنا ابن الغزالي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون المصري، وشغل فقال: قال بعضهم: «علم القوم بأن الله يراهم على كل حال فاحترزوا به عمن سواه».

فقال له غيره من الزهاد وكان حاضراً لمجلسه يقال له: «طاهر»: «يا أبا الفيض رحمك الله. بل نظروا بعين اليقين إلى محبوب القلوب؛ فأروه في كل لحظة وحالة موجوداً، ومن كل لحظة ولحظة قريباً، وبكل رطب ويابس غليماً، وعلى كل ظاهر وباطن شهيداً، وعلى كل محبوب ومكروه قائماً، وعلى تقريب البعيد وتباعد القريب مقتدرًا، ولهم في كل الأحوال والأعمال سائلاً، ولما يريد بهم به معلناً موقفاً فاستغثوا بسياسة وتدييره، وتقويته عن تدبير أنفسهم، وخاضوا البحار وقطعوا القفار بروح النظر إلى منظره البهيج، وخرقوا الظلمات بنور مشاهدته وتجرعوا المرارات بحلاوة وجوده، وكابدوا الشدائد، واحتملوا الأذى في جنب قربته وقيامه عليهم، وخاطروا بالنفوس فيما يعلمون ويحملون ثقة منهم باختياره، ورضوا بما يضعهم فيه من الأحوال محبة منهم لإرادته، وموافقة لرضاه، ساخطين على أنفسهم معرفة منهم بحقه، واستعداداً للعقوبة بعدله عليهم فأذاهم ذلك إلى الامتلاء منه فلم تسع غروقيهم ومقاصلهم وقلوبهم محبة لغيره، ولم تبق زنة عردة منهم خالية منه، ولا باقياً فيهم سواه فهم له بكليتهم، وهو لهم حفظ في الدنيا والآخرة. وقد رضي عنهم ورضوا عنه، وأحبهم فأحتوه فكانوا له وكان لهم، وآثروه وآثرهم وذكرهم وذكرهم، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.»

فصاح عند ذلك ذو النون ثم قال: أين هؤلاء وكيف الطريق إليهم، وكيف المسلك؟

فصاح به: يا أبا الفيض الطريق مستقيم والشفعة واضحة.

فقال له: صدقت والله يا أخي فالهرب إليه ولا نخرج إلى غيره.

«وَمَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ عَقْلِهِ:

ما حدثنا به عبد الرحمن بن علي إجازة أنبأنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا: أنبأنا حمد بن أحمد ثنا أحمد بن عبد الله سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت محمد بن زيان يقول: سمعت ذا النون يقول، وجاءه أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس فقال: أنا لا أتكلم في شيء من هذا. فإن هذا محدث سلوتي عن شيء من الصلاة أو الحديث.

وقوله: محدث. أي لم يكن الكلام على مثل هذا على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) فكان جوابه على قدر ما رأى منهم، وتفرس فيهم في الوقت.

«وَأَمَّا حَالُهُ مَعَ بَسْطِهِ مَعَ اللَّهِ:

فما ذكره «ابن خميس» في كتابه قال: قال أحمد بن محمد الشلمي: دخلت يوماً على ذي النون المصري فرأيت الند والعنبر يشجر بين يديه فقال: أنت ممن يدخل على الملوك في حال بسطهم.

ثم أعطاني درهماً فأنفقت منه إلى الحج.

«ومن أحواله في السماع وإشرافه وقوة وجدته:

أنه لما وصل إلى بغداد في محنته دخل عليه صوفية بغداد ومعهم قوَال. فقالوا: تأذن له حتى يقول. قال: نعم.

قال القوَال:

صَغِيرٌ هَؤُلَاءِ عَذَّبَنِي فَكَيْفَ بِهِ إِذَا احْتَكَا
وَأَنْتَ جَمَعْتَ مِنْ قَلْبِي هَوًى قَدْ كَانَ مُشْتَرِكَا
أَمَّا ثَرْتِي لِكُتَيْبٍ إِذَا ضَجَّكَ الْخَلِيُّ بِكَى

قال: فقام ذو النون ثم سقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض. ثم قام رجل آخر يتواجد فقال له ذو النون: ﴿الذي يراك حين تقوم﴾^(١).

(١) سورة الشعراء، الآية رقم (٢١٨).

فَقَعِدَ الرَّجُلَ، فَقَالَ الْأَسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَشِيرِي: سَمِعْتُ الْأَسْتَاذَ أَبَا عَلِيٍّ الدَّقَاقِي^(١)، رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ:

كَانَ ذُو النُّونِ صَاحِبَ إِشْرَافٍ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ حَيْثُ بَيَّنَّهُ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِمَقَامِهِ وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ صَاحِبَ إِنْصَافٍ حَيْثُ قَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ. حِينَ رَجَعَ وَقَعِدَ.

حَدَّثَنَا بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثَنَا الْفَضْلُ، ثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الْوَاحِدِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ مِقَاتِلِ الْبَغْدَادِيِّ يَقُولُ ذَلِكَ.

«مَجَاهِدَتُهُ وَاعْتِرَافُهُ وَمِرَاقِبَتُهُ الْخَوْفُ:

حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ اللَّخْمِيُّ الْفَرَيَابِيُّ إِجَازَةً وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ: ثَنَا يُونُسُ بْنُ يَحْيَى، ثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي ثَنَا حَمْدُ بْنُ أَحْمَدَ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، ثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، ثَنَا أَبُو حَامِدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيِّ، ثَنَا عَبْدُ الْقُدُّوسُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ:

قِيلَ لِأَبِي الْقِيْظِ ذِي النُّونِ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟

قَالَ: أَصْبَحْتُ تَعَبًا إِنْ نَفَعَنِي تَعَبِي وَمَلُوتَ يَجِدُّ فِي طَلْبِي.

وَبِالْإِسْنَادِ:

وَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟

فَقَالَ: أَصْبَحْتُ مُقِيمًا عَلَى ذَنْبٍ وَنِعْمَةٍ، فَلَا أَذْرِي عَلَى الذَّنْبِ أَسْتَغْفِرُ، أَمْ عَلَى النِّعْمَةِ أَشْكُرُ.

فِي هَذَا الْكَلَامِ ذَنْبٌ عَلَى قَصْرِ أَقْلِهِ، وَنَظَرُهُ فِي الْأَوْجِبِ عَلَيْهِ، وَعِزَّةُ الْوَقْتِ، وَأَنَّهُ يَخَافُ أَنْ يَمُوتَ عِنْدَ ذِكْرِ أَحَدِهِمَا، وَبِمَا تَرَكَ الْأَوْجِبَ وَكَانَ لَا يَعْمَلُ إِلَّا عَلَى عِلْمٍ.

وَبِالْإِسْنَادِ أَيْضًا:

وَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟

قَالَ: أَصْبَحْتُ بَطْلًا عَنِ الْعِبَادَةِ مَتَلُوثًا بِالْمَعَاصِي، أَمْتَنِي مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ، وَأَعْمَلْتُ عَمَلَ الْأَشْرَارِ.

(١) الْأَسْتَاذُ (أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقِي) هُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الدَّقَاقِ، النَّيْسَابُورِيِّ، الشَّافِعِيِّ، (أَبُو عَلِيٍّ) الصُّوفِيِّ، الْعَالِمِ، لِسَانِ وَقْتِهِ، وَإِمَامُ عَصْرِهِ، أَخَذَ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ عَنِ الْقِفَالِ وَاحْضَرِي. قَالُوا عَنْهُ: كَانَ زَاهِدًا زَمَانَهُ، وَلَهُ كَرَامَاتٌ ظَاهِرَةٌ وَمُكَاشَفَاتٌ بَاهِرَةٌ تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ عَنهُ سَنَةَ ٤٦٥ هـ.

انظر: المناوي: الكواكب الدرية، ٦٢٣/١، ترجمة رقم (٣٨٧)، كعالة: معجم المؤلفين، ٢٦١/٣، ابن العماد: شذرات الذهب، ١٨٠/٣.

« وكان مقامه المنة:

حدثنا ابن الأخضر عن يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا ظفر بن الحسين، ثنا أحمد بن محمد بن الفضل، ثنا أبو الحسن الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: «تكلم الناس من عين الأعمال، وتكلمت من عين المنة». حُرِّثُهُ:

ثنا يونس بن يحيى، ثنا ابن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، أنبأنا أحمد بن محمد بن عيسى، ثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول:

كيف أفرح بعملِي وذنوبي مزدحمة!
أم كيف أفرح بأملي وعاقبتي منهزمة!
حَالُهُ فِي الْحُب:

ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، أنبأنا الحمدان بن ناصر، وابن عبد الباقي قال:

أنبأنا حمد بن أحمد، أنبأنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أبو الحسن أحمد ابن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: بينا أنا نائم في صحن مسجد ذي النون في جوف الليل فسمعتَه يقول:

حُبُّكَ قَدْ أَرْقَبِي وَزَادَ قَلْبِي سُقْمًا
كَثُمْتُ فِي الْقَلْبِ وَالْأَخْيَاءِ خَشْيَ انْكَثَمَا
لَا تَهْتِكُنْ سِرِّي الَّذِي أَلْبَسْتِي تَكْرُمًا
ضَيَعْتُ نَفْسِي سَيِّدِي قَرْدَهَا تَكْرُمًا

ثم قال: سقى الله أرواح قوم مُنَاهَا إِنْ ذَكَرُوا اللَّهَ.

ثم قال: هم والله:

فَرَادُونَ قَدْ خُصُّوا وَضُفُّوا وَطُيُّوا فَعَاشُوا بِرُوحِ اللَّهِ أَعْظَمَ الْقَدْرِ
حَالُهُ فِي الذِّكْرِ وَقَطْعِ الْمَالُوفَاتِ:

ذكر «ابن خميس» في مناقب الأبرار له عن ذي النون أنه قال:

«إِنِّي لِأَخْلَمُ قَافُزُغٌ إِلَى الذِّكْرِ فَاجِدُ فِيهِ رِيًّا وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَسَرْتُ أَنْ أَجْلِسَ بَيْنَ يَدَي رَبِّي سَاعَةً وَاجِدَةً».

حدثنا من أثقهُ من أصحابنا أظنه عبد الله ابن الأستاذ المودودي عن شيخنا أستاذ الجماعة: «أبي مدين»^(١) بن شعيب بن الحسين الترققي^(٢) نزيل بجاية أنه قال رضي الله عنه: «كُنْتُ إِذَا جُعْتُ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَأَشْبَعُ، وَإِذَا عَطِشْتُ صَالَيْتُ عَلَى مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) فَأُزَوِّى».

وأخبرني بعض أصحابنا أنه كان للأستاذ العارف عبد العزيز المهدوي مثل هذه الحالة، ولكنني أنسيت كيفيتها؛ والذي أعرف أنه ترك الخبز منذ بضع عشرة سنة، وسكنته ثمانية أشهر ليلاً ونهاراً فما رأيته يأكل خبزاً أصلاً، وكان قليل الأكل لما كان يقات به سمين البدن، قوياً في صحته، لم أر أحمل منه ولا أصبر، قوي النفس مع الله.

طَعَامُهُ:

ثنا أبو الثناء محمود؛ ثنا أبو عبد الله بن خميس بسنده إلى إبراهيم البغدادي قال: كان لذي النون قليل سويش شعير يستف كل ليلة منه ما قُسم له، وقدمت بين^(٣) يديه قرصاً وملحاً فقلت: هَلُمَّ

فقال: مِلْحُكَ هذا مدفوق؟

قلت: نعم

قال: ليس تُفْلِح.

« حاله عند وفاته، رحمه الله:

خَرَجَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشُّلْمِي، رحمه الله، في كتاب «تاريخ الصوفية». له: لما مرض ذو النون مرضه الذي مات فيه قيل له: ما تشتهي؟

قال: أن أعرفه قبل موتي بلحظة.

(١) (أبو مدين) هو: شعيب بن الحسن الأندلسي، العوفي، شيخ الشايخ، وسيد العارفين، جمع بين الشريعة والحقيقة وقصدت زيارته من جميع الأقطار، وتخرج به ألف شيخ من الأوباء.

كان قد اتفق أن يسي في حيه ديناراً، وهو كثير ما ينقطع في جبل الكواكب، وتأتيه غزاة فتدبر عليه لينها، فلما جاء اليوم أتته حتى إذا أراد أن يشرب ليها نقرت منه، وما زالت تطعمه بغروبها كلما مده إليها، فتذكر الدثار فأخرجه من حيه ورواه، فجاءه الغزاة وأبست به ودرت عليه لينها. توفي رضي الله عنه سنة ٥٨٣هـ.

انظر ترجمته في: الشعراي: الطبقات الكبرى، ١/٣٣٣، أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ١٨٠، ابن العماد: شذرات الذهب، ٤/٣٠٣، الشنوي: الكواكب الدرية، ١/٦٦٥، كحالة: معجم المؤلفين، ٤/٣٠٢، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ٤/٣٦١، الطبعة العربية ترجمة أ. د. محمود فهمي حجازي القاهرة ١٩٩٣.

(٢) في الأصل المخطوط (الترقي).

(٣) في المخطوط (من).

وحدثنا عبد الوهاب بن علي بن علي ببغداد^(١) سنة إحدى وستمائة برباطه وسألنا أن نُسبغهُ بقرائتنا كتابنا المعروف: (بمناسحة النفس)^(٢). قال: ثنا ابن عبد الكريم^(٣) الأستاذ عن أبيه قال: كُلَّمْ ذُو النون وهو في الترع.

فقال: لا تشغلني فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معي.

وحدثنا ابن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم قال: سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت إسماعيل يقول: سمعت ذا النون؟ وحدثنا أبو الشفاء، ثنا ابن خميس بسنده إلى سعيد بن عثمان قال:

أُنشِدني ذُو النون، وحدثنا أيضاً عبد الرحمن بن علي إجازة، أنبأنا عمر بن ظفر عن جعفر ابن أحمد عن عبد العزيز بن علي عن علي بن عبد الله بن جهم عن أحمد بن محمد بن عيسى عن يوسف بن الحسين. واللفظ لعبد الرحمن قال: قال «فَتَحَّ بن شَحْرَف»^(٤). دخلت على ذي النون عند موته. فقلت له: كيف تَجِدُكَ؟

فقال:

أَمُوتُ وَمَا مَاتْتُ إِلَّا بِكَ صَبَابِي
مُنَايَ الْمُنَى كُلُّ الشَّمَنِ أَنْتَ لِي
وَأَنْتَ مَدَى سُؤْلِي وَغَايَةُ رَغْبَتِي
تَحْمَلُ قَلْبِي فِيكَ مَا لَا أَبْثُهُ
وَبَيْنَ ضُلُوعِي بِكَ مَا لَا أَبْثُهُ
وَبِي بِكَ فِي الْأَخْشَاءِ ذَاءُ
سَرَائِرُ لَا تَخْفَى عَلَيْكَ خَفِيَّهَا

(١) عبد الوهاب بن علي بن علي، تقدم ومثاني له ترجمة.

(٢) كتاب (روح القدس في مناسحة النفس) معروف مشهور وطبع عدة مرات وهو من أعمال ابن عربي الهائلة.

(٣) عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن أبو سعيد القشيري أكبر أولاد الشيخ، وكان رضيع أبيه في علوم الفقه والتصوف وفتح في الطريقة. كان مسافراً إلى درك المعاني، ومجلسه فيه وروضة الحقائق وكنز الرقائق، توفي رحمه الله سنة ٤٧٧ هـ. انظر: ابن العماد: شذرات الذهب، ٣/٣٥٤، النابوي: الكواكب الذرية، ١/٦٢٨.

(٤) فتح بن شحرف الترمزي، الكشي. كنيته أبو نصر كان من قدماء مشايخ خراسان، وكان يلبس القباء على هيئة الجنيد، كان ذا إعراف عن الدنيا جملة. كان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول: ما أخرجت خراسان مثله، توفي سنة ٢٧٣ هـ.

انظر ترجمته في: النابوي: الكواكب الذرية، ١/٤٧٣، الجامي: نفحات الأنس، ١/١٣١، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/٣٣٣.

(٥) في المخطوطة (افتقاري) ومستندرك على الهامش مقابلة وتصحيحاً.

فَهَبْ لِي نَسِيماً مِنْكَ أَخِيَا بِرُوحِهِ
 أَثَرْتُ الْهَدَى لِلْمُغْتَبِدِينَ وَلَمْ تَكُنْ
 وَعَلَّمْتَهُمْ عِلْماً فَبَانُوا بِنُورِهِ
 مُعَايِنَةَ الْغَيْبِ حَتَّى كَانَتْهَا
 وَأَبْصَارُهُمْ مَخْجُوبَةً وَقُلُوبُهُمْ
 جَمَعْتُ لَهَا الْهَمَّ الْمَفْرُقَ وَالشَّقَى
 أَلَسْتُ ذَلِيلَ الرُّكْبِ إِنْ هُمْ تَحَيَّرُوا
 وَمَا لِي سِوَى الْإِطْرَاقِ وَالضَّمْتِ جِيلَةً
 وَإِنْ طَرَفْتُ عِبْرَةً بَعْدَ عِبْرَةٍ
 أَقْطَعْتُ دُمُوعاً جَمَّةً مُسْتَهْلَةً
 فَيَا مُنْتَهَى سُؤْلِ الْخَبِيرِينَ كُلِّهِمْ
 وَلَسْتُ أَبَالِي قَائِماً بَعْدَ قَائِمٍ

وَجَدْتُ لِي بِشِيرٍ مِنْكَ يَطْرُدُ إِعْشَارِي^(١)
 مِنَ الْعِلْمِ فِي أَيْدِيهِمْ عُشْرَ مِغْشَارِي
 وَبَانَتْ لَهُمْ مِنْهُ مَعَالِمُ أَسْرَارِي
 بِمَا غَابَ عَنْهَا مِنْهُ حَاضِرَةُ الدَّارِ
 تَرَكَ بِأَوْهَامِ حَدِيدَاتِ الْبَصَارِ
 عَلَى قَدَرٍ وَالْهَمُّ يَجْرِي بِمَقْدَارِ
 وَعِصْمَةٌ مِنْ أَمْسَى عَلَى جُرْفٍ هَارٍ
 وَوَضَعِي عَلَى خَدِّي يَدِي عِنْدَ تَذْكَارِي
 تَجَرَّعْتُهَا حَتَّى إِذَا عِيلَ تَضَارِي
 أَطْفَيْ بِهَا جِزْأً تَصْمُنُ أَسْرَارِي
 أَبْحَسِي مَحَلَّ الْأُنْسِ مَعَ كُلِّ زَوَارِي
 إِذَا كُنْتُ فِي الدَّارَيْنِ بَا وَاجِدِي جَارِي

فالثابت في رواية إسماعيل من هذه القصيدة تسعة أبيات، وكذلك ثبتت في رواية «سعيد» وترتيبها في روايتهما واحد. واجتمع ابن شخرف معهما في الترتيب من أول القصيدة إلى البيت الذي أوله: «وبين ضلوعي منك».

فقال سعيد وإسماعيل بعد هذا البيت:

«وبي منك في الأحشاء».

ولم يثبت هذا البيت في رواية ابن شخرف، وبعده ماقا قوله:

«أَلَسْتُ ذَلِيلَ الرُّكْبِ»، وبعده: «أَثَرْتُ الْهَدَى»؛ وبعده، «فَلْنِي بَعْفُو مِنْكَ».

والية انتهت روايتهما وباقي القصيدة في حديث ابن شخرف. فالقصيدة بالروايات كلها تسعة عشر بيتاً، ورواية ابن شخرف ثمانية عشر بيتاً من أجل البيت الذي سقط عنده، وانفرد به صاحبه.

وقد انتهينا على بعض ما ذكرناه من أحواله فلنذكر عقيب هذا مناجاته، وثناؤه، ودعائه، وتضرعه لباريه تعالى. فإنه من جملة أحواله، رضي الله عنه.

(١) هذا البيت المسمى جاء رقم (٩) في الأبيات التي وردت أثناء ترجمة ذي النون في طبقات الصوفية للمسلمي. وقد جاء في الطبقات على هذا الوجه.

فليس معصو منك، أخيا بقرينه أغشني بشير منك، بطرد إعشاري

باب في مناجاته، وشنائه على الله تعالى ودعائه

حدثنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا محمد بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا سليمان بن أحمد، ثنا علي بن الهيثم المصري قال: سمعت ذا النون العابد أبا الفيض يقول:

اللهم اجعلنا من الذين جازوا دار الظالمين، واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين، وشابوا ثمرة العمل بنور الإخلاص، واستقوا من عين الحكمة، وركبوا سفينة الفطنة، وأقلعوا بريح اليقين، ولججوا في بحر النجاة، وأرسلوا بشط الإخلاص.

اللهم اجعلنا من الذين أرواحهم في العلى، وحضت همم قلوبهم في غاربات الثقي حتى أتاخوا في رياض النعيم، وجنوا من ثمار رياض التسليم، وخاضوا لجة السرور، وشربوا بكأس العيش، واستظلوا في الكرامة في ظل العرش.

اللهم اجعلنا من الذين فتحوا باب الصبر، وردموا خنادق الجزع، وجازوا شدائد انعقاب، وعبروا جسر الهدى فإنه تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(١).

اللهم اجعلنا ممن أشارت إليه أعلام الهداية، ووضحت لهم طرق النجاة، وسلكوا سبيل إخلاص اليقين.

ومن ذلك:

ما حدثنا به يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، أنبأنا محمد بن الحسين قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت العباس بن يوسف يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول: لئن مددت يدي إليك داعياً لعلما كفتيتي ما هياً، أقطع منك رجائي بما عملت يداي، حسبي من مؤالي علمك بحالي.

ومن ذلك:

ما حدثنا به ابن أسماعيل، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، أنبأنا المحمّد بن ناصر وابن

(١) سورة الفرقان، الآية رقم (٢٨).

عبد الباقي، أنبأنا حمد بن أحمد، أنبأنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم، ثنا الحسن بن علي بن خلف قال: سمعت إسماعيل يقول: سمعت ذا النون يقول: «يا رب أنت الذي دخل في رحمتك كل شيء، فلم تصبُ الأعين من ارتحلته الشك إلى جحدك».

« ومن ذلك:

ما حدثنا به أبو الحسن علي بن عبد الله الفريابي التاجر الأمين صاحبنا قال: ثنا أبو محمد ابن يحيى بن أبي الحسن، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله قال:

سمعت أبي يقول: سمعت أحمد بن جعفر بن هاني^(١) يقول: سمعت أحمد بن يوسف يقول: كان ذو النون يقول في مناجاته:

«يا واهب المواهب، ومُنْجِل الرغائب، أعوذ بك من التزول بعد الوصول، ومن الكدر بعد الصفاء، ومن الوحشة^(٢) بعد الأُنس، ومن طائف الحسرة لعارض الفترة، ومن تعب الرضاء ومن التخلف عن الحادي لحظة، أو إلى الإيمان دون العلم من موقع حذر يوجب للعقل نظراً. يا راحتي كمل النعم عندي، وأزق في ذرى الكرامة مهجتي، ونضر اللهم بالكمال لديك بهجتي اعزفتني عن الدون، ووار علمي عن الخاطر. يا من منح الأصفاء منازل الحق ومدى الغايات. صف^(٣) هدايتي من دس العارض، واخسئ عدوي من ملاحظتي بكمال رغبتني، وبما لا يبلغه سؤلي، إنك رحيم».

« ومن ذلك:

ما حدثنا به يونس بن يحيى، عن يحيى بن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا حمد بن محمد بن حمدان النيسابوري، ثنا أبو حامد بن عبد القدوس بن عبد الرحمن الشامي. قال: سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم يقول:

(١) أحمد بن جعفر بن هاني، المملوء من المعارف والمعالي، المكنوء من الفتور والتواني، كانت له الأحوال الرقيقة، والكرامات الخارقة للبدية.

ومن أقواله: (لا يأتي العبد المعونة من الله وهو معتمد على غيره).

انظر لبناوي: الكواكب الدرية، ٥١٨/١.

(٢) في المخطوط (ومن الشوق) ومصححة علي الهامش مقابلة.

(٣) في المخطوط (أصف).

«إلهي، وسيلتي إليك نعمتك عليّ، وشفيعي إليك إحسانك إليّ، إلهي أدعوك في الملأ كما يدعى الأرياب، وأدعوك في الخلاء كما يدعى الأحباب. أقول في الملأ: يا إلهي. وأقول في الخلاء يا حبيبي، أرغب إليك وأشهد لك بالرمزية مقراً بأنك ربي، وإليك مرّدي. ابتدأتني برحمتك من قبل أن أكون شيئاً مذكوراً، وخلقتني من تراب ثم أسكنتني الأضلاب، ونقلتني إلى الأرحام، ولم تخرجني برحمتك في دولة أئمة الكفار الذين نقضوا عهدك، وكذبوا رُسلك. ثم بجودك أخرجتني برحمتك، وبحسن نظرك في دولة أئمة الهدى، ثم أنشأت خلقي من مني يُمنّى، ثم أسكنتني في ظلمات ثلاث من بين دم وحلم ملتان، وكونتني في غير سورة الإناث، ثم أخرجتني إلى الدنيا تاماً سوياً، وحفظتني في المهدي طفلاً صغيراً وصيباً، ورزقتني من الغذاء ليلاً مرياً، وكفلتني حجور الأمهات وأسكنت قلوبهن رافة لي، وشفقة عليّ، وربيتني بأحسن تربية ودبرتني بأحسن تدبير، وكلاّتني من طوارق الجن، وسلمتني من شياطين الإنس، وصننتني من زيادة في يدي تسيّنتي، ومن نقص فيه يعينني، فتباركت ربي، وتعاليت يا رحيم، فلما استهللت ناطقاً بالكلام أتممت عليّ سوايغ الأنعام، وأبنتني زائداً في كل عام فتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، حتى إذا ملكتني شأني، وشددت أركانني أكملت لي عقلي، ورفعت حجاب الغفلة عن قلبي وألهمتني النظر في عجيب صنائعك، وبديع عجائبك، وأوضححتني حجتك، ودللتني على نفسك، وعرفتني ما جاءت به رُسلك، ورزقتني من أنواع وصنوف الرياض بمنك العظيم وإحسانك القديم، وخلقتني سوياً، ثم لم ترض لي بنعمة واحدة دون أن أتممت عليّ جميع النعم، وصرفت عني كل بنوى ونقم، وأعلمتني الفجور لأجتنبه، والتقوى لأقترفه، وأرشدتني إلى ما يقربني إليك زلفى، فإن دعوتك أجبتني، وإن سألتك أعطيتني، وإن حمدتك شكرتني وإن شكرتك زدتنني.

إلهي، فأني نعمك أحصي عدده، وأي عطايك أقوم بشكره، أما أسبغت عليّ من النعماء، أو ما صرفت عني من الضراء.

إلهي، أشهد لك بما شهد لك به باطني وفاهري وأركانني وجوارحي.

إلهي، إني لا أطيق إحصاء نعمك، فكيف أطيق شكرك عليها، وقد قلت وقولك الحق: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(١)، أه كيف يستغرق شكري نعمك، وشكرك من أعظم النعم عندي، وأنت المنعم به عليّ كما قلت سيدي: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾^(٢). وقد صدقت قولك،

(١) سورة إبراهيم، الآية رقم (٣٤).

(٢) سورة النحل، الآية رقم (٥٣).

إلهي وسيدي، وقد بلغتُ رُسُلَكَ، بما أنزلت إليهم من وَحْيِكَ، غير أنني أقول بجهدي ومنتهى علمي، ومجهود وسعي ومبلغ طاقتي. الحمد لله على جميع إحسانه حمداً يغدُل حمد الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين».

وبالإسناد:

وسمعتَه يقول:

«إلهي؛ لو أصبت موثلاً في الشدائد غيرك، أو ملجأ في النوازل سواك خلق لي أن لا أعرض بوجهي عنك، ولا أختاره عليك لتقديم إحسانك إليّ وحديثه، وظاهر مثلك عليّ وباطنها ولو تقطعت في البلاء إرباً إرباً، وأصبت عليّ الشدائد صباً صباً، ولا أجد مشتكى لشيء غيرك، ولا مفرجاً لما بي عني سواك. فبا وارت الأرض ومن عليها، وبا باعث جميع من فيها وزرث أملي فيك مني أملي، وبلغ همتي فيك منتهى وسائلي».

وبالإسناد:

وسمعتَه يقول:

«إلهي، إن أهل معرفتك لما أبصروا العاقبة، وفتحوا بأبصارهم إلى منتهى العاقبة، وأيقنوا بجلودك وكرمك، وابتدأك إياهم بعميتك، ودلتهم على ما فيه نفعهم دونك، إذ كنت متعالياً عن المضار والمنافع، استقلوا كثير ما قدموا من طاعتك واستصغروا عظيم ما اقترفوا من عبادتك، واستلثوا ما استغرعه غيرهم. بذلوا المجهود في طلب مرضاتك، واستعظموا صغير التقصير في أداء شكرك، وإن كان ليس شيء من التقصير في طاعتك بذل المجهود صغيراً كان عندهم فحسبت لذلك أبدانهم وتغيرت لذلك ألوانهم، وحلت من غيرك قلوبهم، واشتغلت بذكرك ألسنتهم وعقولهم، وانصرفت من خلقت إليهم همومهم وأنست وطابت بالخلوة فيك نفوسهم، لا يمشون بين العباد إلا هوماً، ولا يسمعون في طاعتك إلا ركضاً ركضاً».

إلهي، وكما أكرمهم بشرف هذه المنازل، وأبختهم رفعة هذه الفضائل، اعقد قلوبنا بحبل محبتك ثم حوّلها في ملكوت سمواتك وأرضك، واستدرجنا إلى أقصى مرادك درجة درجة، واشتد بنا مسلك أصفيائك منزلة منزلة، واكشف لنا عن مكنون علمك حجاباً حجاباً، حتى ننهي إلى رياض الأثر، ونختفي من رياض التلويح إليك، ونشرب من حياض معرفتك وتنزه في بساطين بشر الألائك، ونستنفع في عذارن نعماتك ثم ارددها إلينا بطرف أفوائد، وامدها تحف الزوائد، واجعل العيون مثلاً فؤادة بالعبرات، والصدور مثلاً محشوة بالخرقات واجعل قلوبنا من القلوب التي ساهرت إليك بالحوح والعطش، واجعل أنفسنا من الأنفس التي زالت عن

اختيارها لهيبتك، أحيانا ما أحييتنا على طاعتك، وتوفنا إذا توفيتنا على ملّتك راضين مرضيين هداة هادين مُهّدين غير مغضوب عليهم ولا الضالّين».

وبالإسناد:

وسمعتة يقول:

«اللّهي، من ذا الذي ذاق طعم حلاوة مناجاتك فألهاه شيء من طاعتك ومرضاتك؟! أم من ذا الذي ضمنت له النصر في دياه وآخرته فاستنصر بمن هو مثله في عجزه وفاقته؟! أم من ذا الذي تكفلت له بالرزق في سقمه وصحته فاسترزق غيرك بمعصيتك في طاعته؟! أم من ذا الذي عرفته عاقبة آثامه فلم يحتمل خوفاً منك مؤنة فطامه؟! أم من ذا الذي أطلعتة على ما لديك، ثم انقطع إليك من كرامته فأغرض صفحاً إخلاداً إلى الدّعة في طلب راحته؟!

أم من ذا الذي عرف دياه وآخرته فأثر الفاني على الباقي بحمقه وجهالته؟! أم من ذا الذي شرب الصافي من كأس محبتك فلم يستشر بقوارع محتتك؟! أم من ذا الذي عرف حسن اختيارك لخلقك في قدرتك فلم يرض بذلك؟! أم من ذا الذي عرف علمك بسرّه وعلايته، وقدرتك على ضرّه ونفعه، فلم يكف بك عن علم غيرك، ولم يستغن عن قدرة عاجز مثله؟!

ومن ذلك:

ما حدثنا به أبو عبد الله محمد بن عيشون بإشيلية بذاره بركة الباجي، ثنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري^(١) عن شيخه ثنا حمد بن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني أبو بكر محمد بن أحمد، ثنا محمد بن عبد الملك بن هاشم قال: سمعت ذا النون المصري يقول في دعائه:

«اللّهم إليك أقصد رغبي، وإياك أسأل حاجتي، ومنك أرجو نجاح طلبتي، وبيدك مفتاح مسألتني، لا أسأل الخير إلّا منك ولا أرجوه من غيرك، ولا أياس من روحك بعد معرفتي بفضلك.

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري الإشيلي ابن العربي قاضٍ من حفاظ الحديث، ولد في إشيلية سنة ٤٦٨ هـ وتوفي سنة ٥٤٣ هـ درس على أكابر علماء عصره كالغزالي والطرطوشي والشاشي وغيرهم: ترك عدداً من المؤلفات التي لاقت انتشاراً مثل العواصم من القواصم، وقانون التأويل، وأحكام القرآن وغيرها.

انظر ترجمته في: ابن فهد القسيمي: كتاب الوفيات، ٢٧٩، ابن السناد: شذرات الذهب، ٤/١٤١.

يا من جمعت كل شيء حكمته.

ويا من نفذ كل شيء علمه.

ويا من الكريم اسمه لا أبد لي غيرك فأسأله، ولا أثق بسواك فأؤمّله، ولا أجعل لغيرك مشيئة من دونك أعتصم بها، وأتوكل عليه، فمن أسأل إن جهلتك؟ ومن أثق بعد إذ عرفتك؟

اللهم، إن ثقتي بك، وإن أَلْهَيْتِي الْغَفَلَات عَنْكَ، وأبعدتني العثرات منك بالاعتذار. يا مُقْبِل العثرات إن لم تتلافني بعصمة من العثرات فأني لا أحول بعزيمة من نفسي، ولا أدوم على خليقة بمكان من أمري. أنا نعمة منك، وأنا قدر من قدرك، أجري في قدرك وأسبح في نعمتك. لا ازداد على سابقة علمك، ولا أتقص دون عزيمة أمرك. فأسألك يا منتهى السؤالات. وأرغب إليك يا موضع الحاجات، سؤال من قد كَذَّب كل رجاء إلا منك، ورغب من رغب عن كل ثقة إلا عنك، وأن تهب لي إيماناً أقدم به عليك، وأؤمل به عظيم الوسيلة إليك، وأن تهب لي يقيناً لا توهته شبهة إفاك، ولا تهينه خطرة شك ترحب به صدري، وتيسر به أمري، ويأوي إلى محبتك قلبي، وتسد إليك فطني ولبي حتى لا ألهو عن شكرك، ولا أنعم إلا بذكرك.

يا من لا تحمل من حلاوة ذكره أسن الخائفين، ولا تكل من الهطل عليه مدامع الخاشعين، أنت منتهى سرائر قلبي خفايا الكتم، وأنت موضع رجائي بين أسداف الظلم.

من الذي ذاق حلاوة مناجاتك قلبي بمرضاة تشر عن طاعتك ومرضاتك؟!

رَبِّ. أفنيت عمري في شهو السهو عنك، وأبليت شبابي في سكره للتباعد منك، ثم لم أستببط لك كلاًه، وطمعاً في أيام اغتراري بك وركوني إلى سبيل سخطك وعن جهل.

يا رَبِّ. قربتني العزة إلى غضبك، أنا عبدك قائم بين يديك متوسل بكرمك إليك فلا يزيلني عن مقام أقممتني فيه غيرك، ولا ينقلني من موقف السلامة من نعمك إلا أنت، أتصل إليك مما كنت أواجهك به، من قلة استحيائي من نظرك، وأطلب العفو منك يا رب، إذ العفو نعت لكرمك. يا من يعصى ويثاب إليه فيرضى، كأنه لم يعص. تكبرك لا يوصف، وتحنن لا يُنعت، يا خنّان بشفقته، يا متجاوز بعظمته. لم يكن لي حول فأنتقل عن معصيتك إلا في وقت أيقظتني فيه لمحبتك بكما أزدت أن أكون كنت، وكما رضيت أن أقول قلت. خضعت لك وخشعت لك.

إلهي لتعزني بإدعائي في طاعتك، ولتنظر إلي تظر من ناديتك فأجابك، واستعملته بمعونتك وأطاعك فارحمني يا أرحم الراحمين.»

ومن هذا الباب:

ما حدثنا به أبو الفرج عبد الرحمن بن علي إجازة: أنبأنا محمد بن ناصر وابن عبد الباقي، أنبأنا محمد بن أحمد، أنبأنا أحمد بن عبد الله، أو ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون أبا الفيض يقول:

«اللهم اجعلنا من الذين تفكروا فاعتبروا، ونظروا فأبصروا وسمعوا، فتقلقت قلوبهم بالمنازعة إلى طلب الآخرة، حتى أناخت وانكسرت عن النظر إلى الدنيا وما فيها، ففتقوا بنور العلم ما رَتَقَهُ ظلام الغفلات، وفتحوا أبواب مغالق العمى بأنوار مفاتيح الضياء، وعمرُوا مجالس الذاكرين بحسن مواظبة استيدام الثناء.

اللهم اجعلنا من الذين تَرَامَلَتْ عليهم ستور عصمة الأولياء وحَصَّنَتْ قلوبهم بطهارة الصفاء، وَزَيَّنَتْهَا بالفهم والحياء وطهرت هممهم في ملكوت سمواتك حجاباً حجاباً حتى ينتهي إليه قردتها بطرائف الفوائد.

اللهم اجعلنا من الذين سَهَّلَ عليهم طريق الطاعة، وتمكنوا من أَرْزَمَةِ التقوى، ومنحوا بالتوفيق منازل الأبرار فَرِيَّتُوا وَقُرَّبُوا وَأَشْرَفُوا بِخِدْمَتِكَ».

وبالاسناد:

سمعت يقول:

إلهي إن كان صغر في جنب طاعتك عملي^(١)، فقد كثر في جنب رجائك أُملي.

وبالاسناد:

قال: وسمعت يقول:

اللهم اجعلنا من الذين استظلوا تحت رواق الخوف، وقَرَّوا صحف الخطايا، ونشروا دواوين الذنوب، فأورثهم الفكر الصالحة في المنقلب.

اللهم اجعلنا من الذين أدبوا أنفسهم بدرة الجوع، وترينوا بالعلم، وسكنوا حظيرة الورع، وأغلقوا أبواب الشهوات، وعرفوا مسير الدنيا بموقنات المعرفة حتى نالوا علو الزاهد واستعذبوا مذلة النفوس، وظفروا بدار الجلال، وتواسوا بينهم بالسلام.

واجعلنا من الذين فتقت لهم رتق غوامضي جفون القلوب؛ حتى نظروا إلى تدبير حكمتك، وشاهد حجج تبيانك؛ فعرفوك بحصول فطن القلوب؛ فرفقت أرواحهم عن أطراف أجنحة

(١) في المخطوط: «علي».

الملائكة فسماهم أهل الملكوت زوّاراً، وأهل الجبروت عقاراً، فترددوا في مصاف المسبحين، ولادوا بأفنية المقدسين، فتعلقوا بحجاب العزة، وناحوا ربهيم عند مطارقة كل شهوة، حتى نظروا بأبصار القلوب إلى عزّ الجلال، وإلى عظم الملكوت فرجعت القلوب إلى الصدور على الثبات بمعرفة توحيدك فلا إله إلا أنت.

وبالإسناد:

قال: وسمعت ذا النون أبا القميص يقول:

لك الحمد يا ذا المنّ والطول والآلاء والسعة، إليك توجهنا، وبفنائك أنحنأ، ولمعروفك تعرضنا، وبقرئك نزلنا.

يا حبيب الثائبين، ويا سرور العابدين، ويا أنس المنفردين ويا ظهير المنقطعين، ويا من حفّت إليه قلوب العارفين، وبه أنست أفئدة الصّديقين، وعليه عطفت رهبة الخائفين.

ويا من أذاق قلوب العارفين لذة الحمد وحلاوة الانقطاع إليه.

يا من يقبل من تاب، ويعفو عنّ أتاب، ويدعو المولّين كرماء، ويرفع المقبلين إليه تفضلاً.

يا من يتأني على الخاطئين، ويحلم عن الجاهلين.

ويا من حلّ عقدة الرغبة من قلوب أوليائه ومحا شهوة الدنيا عن فكر قلوب خاصته، وأهل محبته، ومنحهم منازل القرب والولاية.

يا من لا يضيّع مطيعاً، ولا يسيّ مضطرباً.

يا من سمح بالنوال، ويا من جاد بالإفضال.

يا ذا الذي استدرك بالوبة ذنوبنا، وكشف بالرحمة غمومنا، وصفح عن جرمنا بعد جهلنا، وأحسن إلينا بعد إساءتنا.

يا أنيس آتس وحشتنا، ويا طيب مقسنا، ويا غياث من أسقط بيده وتمكن حبل المعاصي من عنقه، وأسفر خدر الحياه عن وجهه. هب خلّودنا للتراب بين يديك. يا خير من قدر، وأرأف من رحم وعفا.

وبالإسناد:

قال: وسمعتّه يقول:

أسألك باسمك الذي ابتدعت به عجائب الخلق في غوامض العلم، بوجود جمال وجهك، في عظيم عجب تركيب أصناف جواهر لغاتها، فجرت لهيبتك من مخافتك أن تجعلنا من الذين مترخت أرواحهم في الغلى، وحضت همم قلوبهم في معليات الهوى، حتى أناخوا في

نص كتاب الكوكب الثري في مناقب ذي النون المصري

رياض النعيم، وجنوا من ثمار التستيم، وشربوا بكأس العيش، وخاضوا لحج السرور، واستظلوا تحت فناء الكرامة.

اللهم. اجعلنا من الذين شربوا بكأس الصفاء، وأورثتهم الصبر على طول اليلاء، حتى تولدت قلوبهم في الملكوت وحالت بين سرائر حجب الجبروت، ومالت أرواحهم في ظل نسيم المشتاقين، الذين أناخوا في رياض الراحة ومعدن العز، وعزّصات المخلدن.

وبالأسناد:

قال: وسمعته يقول:

ومدح الله أشرق لنوره السموات، وأنار لوجهه الظلمات، وحجب جلالته عن العيون، ووصل بها معارف العقول، وأنقذ إليه أبصار القلوب، ونجاه على عرشه ألسنة الصدور.

إلهي. لك يسبح كل شجرة، ولك تقدس كل مدرى بأصوات خفية، ونعمات ركيّة.

إلهي. قد سبت بين يديك قدمي، ورفعت إليك بصري، وبسطت إلى مواهبك يدي، وصرخ إليك صوتي، وأنت الذي لا يضجرك النداء، ولا يخيب من دعاك.

إلهي. حب لي بصرأ برفعه إليك صدقة، فإن من تعرف بك غير مجهول، ومن يلوذ بك غير مخدول، ومن يتهج بك مسرور، ومن يعتصم بك منصور.

وبالأسناد:

قال: وسمعته يقول:

كلت ألسن الخلقين لك عن الدعاوى، ونطقت ألسن المدعين لك بالدعاوى.

وبالأسناد:

قال: وسمعته يقول ويدعو:

اللهم متع أبصارنا بالجولان في جلالك، وشهّرنا عمّا نامت عنه قلوب الغافلين، واجعل قلوبنا معقودة بسلاسل النور وعلّقها بأطناب التفكير، وثّرذ أبصارنا عن شر مواقف المتحيزين، وأصلّقها من الأسر لتجول في خدمتك مع الحوّلين.

اللهم اجعلنا من الذين استعملوا ذكر قطع اللذات، وخالفوا متاع العزة بواضحات المعرفة.

اللهم اجعلنا من الذين لخدمك في أقطار الأرض لهم طُلاباً، وخاص أصفيائك أصحاباً، وللمريدن المعتكفين يبابك أحياناً.

اللهم اجعلنا من الذين غسلوا أوعية الجهل بصفر ماء الحياة في مسالك النعيم، حتى جالت في مجالس الذكر مع رطوبة ألسنة الذاكرين.

اللهم اجعلنا من الذين رتعوا في زهرة ربيع الفهم، حتى تشامت أسنمة الفكرة فوق سمو السموة، حتى تسامى بهم نحو مسام العلويين صراحات القلوب، ومستبطات عيون الغيوب، بطول استغفار الوجوه في محاريب قدس ورهبانية الخاشعين، حتى لاذت أبصار القلوب بجواهر السماء، وعبرت أفنية النواحين بمصاف الكروبيين ومجالسة الروحانيين، فتوهموا أن قد قرب احتراق بالقلوب عند إرسال الفكرة في مراتع الأحران بين يديك، فأحرقت نار الخشية بضائر منابت الشهوات من قلوبهم، وسكنت خوافي ضلوع مضايق الغفلات من صدورهم فأنبه ذكر الصراط رقاد قلوبهم.

وبالأسناد:

قال: وسمعته يقول:

كيف أنقلب من عندك محروماً؟ وقد كان حسن ظني بجودك أن تقبلني بالنجاة مرحوماً. إلهي. إن لم أسلط على حسن ظني بك قنوط يأسى. إلهي، فلا تشغل وتبتطل صدق رجائي لك بين الآدميين.

إلهي. سمع العابدون يذكرك فخضعوا، وسمع المذنبون بحسن عفوك فطمعوا. إلهي. إن كانت اسقطتني الخطايا، من^(١) مكارم لطفك، فقد آتسني اليقين إلى مكارم عطفك.

إلهي. إن أمتنني الغفلات من الاستعداد للقاءك فقد نهتني المعرفة لكريم آلائك.

إلهي. إن دعاني إلى النار أليم عقابك، فقد دعاني إلى الجنة جزيل ثوابك.

« ومن ذلك:

ما حدثنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني، ثنا أحمد بن محمد بن حمدان النيسابوري، ثنا عبد القدوس بن عبد الرحمن الشامي قال: سمعت ذا التون المصري يقول:

إلهي. ما أصغي إلى صوت حيوان، ولا حفيف شجر، ولا خرير ماء، ولا ترثم طير، ولا

(١) في المخطوط: (يا من).

دوني ربح، ولا ففعة رعد، إلا وجدتها شاهدة بوحدانيتك، دالة على أنه: ليس كمثلك شيء، وأنت غالب لا تغلب وعالم لا تجهل، وحليم لا تسفه، وعدل لا تجور وصادق لا تكذب.

إلهي. فإني أعترف اللهم بما دل عليه صنعك، وشهد لك فعلك، فهب لي اللهم طلب رضاك برضاك^(١) عنك، ومسرّة الوالد بولده بذكرك لخبتي لك، ووقار الطمأنينة، وطلب القربة إليك. لأن من لم يشبعه الولوع باسمك ومن لم يروه من ظمئه ورود غدران ذكرك، ولم يتسه جميع الهموم رضاه عنك، ولم يلهه جميع الملاهي تعداد آلائك، ولم تقطعه عن الأنس بغيرك مكانه منك، كانت حياته ميتة، وموته حسرة، وسروره غصة، وأنسه وحشة.

إلهي. عرفني عيوب نفسي وفضحتها عندي، لأتضرع إليك في التوفيق للتنزه عنها، وأبتهل إليك بين يديك خاضعاً ذليلاً في أن تغسلني منها.

واجعلني من عبادك الذين شهدت أبدانهم، وغابت قلوبهم تجول في ملكوتك، وتتفكر في عجائب صنعك، وترجع بفوائد معرفتك وعوائد إحسانك، قد أليستهم خلع محبتك وخلعت عنهم لباس التزيين بغيرك.

إلهي. لا تترك بيني وبين أقصى مرادك مني حاجباً إلا هتكته، ولا حاجزاً إلا رفعتة، ولا وعراً إلا سهلتة، ولا باباً إلا فتحتة، حتى تقم قلبي بين ضياء معرفتك، وتديقني طعم محبتك، وتبرد عني بالرضا منك فؤادي، وجميع أحوالي حتى لا أختار غير ما تختار، وتجعل لي مقاماً بين مقامات أهل ولايتك، ومضطرباً قسباً في طاعتك.

إلهي. كيف أسترزق من لا يرزقني إلا منك^(٢)؟ أم كيف أستنصر من لا ينصرني إلا بك؟ أم كيف أسخط من رضا من لا يقدر على ضري إلا بتمكينك؟ فيا من أسأله إيتاساً به، وإيحاشاً بخلقه.

ويا من ألجأ له في شدتي وروحاني.

ارحم غربي وحب لي من المعرفة ما أزداد به يقيناً.

ولا تكلني إلى نفسي الأمارة بالسوء طرفة عين.

ومن ذلك:

ما حدثنا به يونس بن يحيى حدثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل، ثنا الحافظ أبو نعيم

(١) هكذا في المخطوط والصحيح أنه يقول: (فهب لي رضاك برضاك عنك).

(٢) في المخطوط: (من).

عن عثمان قال: قُرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول:

أنت ملك مقتدر وأنا عبد مفتقر. أسألك العفو تدلاً فأعطينيه تفضلاً.

وبالإسناد:

قال: وسمعتَه يدعو ويقول:

إلهي: الشيطان لك عدو ولنا عدو، ولم تغظه بشيء أنكأ له من عفوك عنا فاعفُ عنا.

وخرَّج «ابن خميس» في المناقب عن ذي النون أنه قال:

«الحمد لله الذي جعل أنس الذاكرين بحلاوة ذكره، وأرهب قلوب المتفكرين من مخافة مكره، ووهب للمريدين فضل المريدين شكره، وجنى أهل المعاصي تكزماً في خفي ستره».

وبهذا قد انتهيت على ما وصل إلي من هذا الباب وإذ وقد ذكرنا أحواله فلتذكر ما وصل إلينا بطريق الرواية أيضاً، من كراماته، رضي الله عنه.

باب في كراماته

أجلها قدراً، وأعظمها خطراً بُشِّرَ الله تعالى له بالقبول في قوله في سبب توبته حين قال:

«ثم لُزمت الباب إلى أن قبلني».

وأي كرامة أجل وأعظم من القبول بَشَّرنا الله بما بَشَّر به أوليائه.

أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن علي قال:

سمعت محمد بن زيان^(١) يقول:

لما مات ذو النون المصري رأيت على جنازته طيوراً حُضراً. فلا أدري أي شيء كان.

وخرَّج ابن خميس في كتاب مناقب الأبرار له عن ابن زيان:

لما مات ذو النون بالحيزة، وحمل في قارب مخافة أن تنقطع الجسور من كثرة الناس مع جنازته، وكنت قائماً مع الناس على كوم أنظر. فلما أخرج من القارب وضع على الجنازة.

(١) محمد بن زيان بن حبيب الحضرمي، أوردته الذهبي حين توفي سنة ٣١٧ هـ مع الإمام محمد أبي الحسن أحمد بن محمد بن عمار الجارودي الهروي حين فتحه الفرامطة، وقال: ومحدثنا مصر - ثم ذكر (محمد بن زيان).

المقر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٨٣٥٦٣.

وحمله الرجال رأيت طيّوراً حُضْراً قد اكتنفت ترفرف عليه، حتى عطف به إلى عند حمام العار وغاب عني.

قال أبو بكر بن زياد قد ذكرت ذلك لحالي: الحسن بن يحيى بن هلال بعد زمان فقالي لي: والله لقد رأيت مثل هذه الطيور على جنازة إبراهيم المزني^(١) وذكر أبياتاً رثاه بها، وهي:

وَرَأَيْتُ أَعْجَبَ مَا رَأَيْتُ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ زَائِلُهُ لَمُتَّعٍ
طَيْراً تُرْفَرِفُ فَوْقَهُ وَتَحُفُّهُ حَشَى تَوَازَى فِي جِجَابِ الْمُضْجِعِ
ثُمَّ اخْتَجَبْنَ عَنِ الْغُيُُونِ وَلَمْ أَحِطْ عِلْماً بِكُنْهِ مَصِيرِهِ فِي الْمَرْجِعِ
وَأَطْلُهَا زَسَلَ إِلَهُ تَزَلَّتْ وَاللَّهِ أَغْلَمَ فَوْقَ ذَاكَ السَّرْجِعِ

فربما كانت تلك الطير أتماً [من]^(٢) الملائكة، والله أعلم، ظهرت للناس رحمة بهم.

وحدثنا يونس بن يحيى بن أبي الحسن، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا عباس بن حمدان، ثنا أبو الحسين صاحب الشافعي قال: حضرت جنازة ذي النون فرأيت الخفافيش تقع على نعشه، ويدنه، وتطير. لو لم يكن الرائي فقيهاً لرأها على غير صورة الخفافيش.

حدثنا أبو الخير، عن الشاذلي، عن البحتري، عن الثلمي في كتاب «تاريخ الصوفية» له، قال: لما مات ذو النون وُجِدَ على قبره مكتوب: مات ذو النون حبيب الله من الشوق قتيل الله. يريد كتابة غير معبودة.

أخبرنا محمد بن قاسم قال: ثنا السعودي بمصر^(٣)، ثنا الغامدي، ثنا عبد الكريم بن هوازن قال: سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا الحسن إسماعيل بن عمرو بن كامل بمصر يقول: سمعت أبا محمد نعمان بن موسى الجيزي بالحيرة يقول: رأيت ذا النون وقد تقاتل اثنان أحدهما من أولياء السلطان تعدى الذي من الرعية عليه فكسر ثنيته فتعلق الجندي بالرجل وقال:

(١) (إبراهيم المزني) هو: أبو إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني ولد سنة ١٧٥هـ وتوفي بمصر سنة ٢٦٤هـ. له المختصر على فقه الشافعي. ويعتبر من أهم الكتب في فقه الشافعية. إذ يعتبر من الأصول الحسنة للمذهب. انظر: سركين: تاريخ التراث العربي، ١٧/١١، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) مضافة من المخطوط بقطر سابق.

(٣) (السعودي) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي السعودي، كانت له رحلات أقام أثناء رحلته إلى إرباك سنة ٣٠٥هـ في اصطخر وتوفي سنة ٣٤٥هـ بمصر. وترك مؤلفات أهمها: مروج الذهب، ومعادن الجواهر.

انظر ترجمته في: سركين: تاريخ التراث العربي، ١١/٣٤٥، دهلي: تذكرة الحفاظ، ٧٠/٣، كحالة: معجم المؤلفين، ٨٠/٧.

بيني وبينك الأمير فجازوا بذي النون فقال لهم الناس: اصعدوا إلى الشيخ فصعدوا إليه فعرفوه ما جرى فأخذ السن ثم بلّها بريقه وردّها إلى فم الرجل في الموضع الذي كانت فيه، وحرك شفّيته فتعلقت بإذن الله سبحانه وتعالى. فبقي الرجل يقلّب فاه فلم ير الأسنان إلاّ سواء.

حدثنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد ثنا أحمد بن عبد الله قال: سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت علي بن حاتم العثماني بمصر يقول: سمعت ذا النون يقول: كأنك عن قليل ترى هذه المدينة عامرة، وتخرج منها المدقة، وقوم عُجُم، وعن قليل تراها خراباً.

قال علي بن حاتم: ورأيناها عامرة، ورأيناها خراباً.

أخبرنا عماد الدين أبو الشاء محمود، أنبأنا تاج الإسلام أبو عبد الله بن خميس بسنده إلى أبي عبد الله بن الجلاء قال: كنت مجاوراً بمكة مع ذي النون فجئنا أياماً كثيرة، ولم يُفتح لنا بشيء، فلما كان ذات يوم قام ذو النون قبل صلاة الظهر ليصعد الجبل يتوضأ للصلاة وأنا خلفه فرأيت أشياء من قشور الموز مطروحاً في الوادي فقلت في نفسي آخذ منه كفاً أو كفين أتركه في كُمّي ولا يراني الشيخ حتى إذا صرنا في الجبل، ومضى الشيخ يتوضأ أكلته قال: فأخذته، وتركته في كُمّي، وعيني إلى الشيخ لئلا يراني فلما صرنا في الجبل، وانقطعنا عن الناس التفت إليّ وقال: اطلع ما في كُمّك بأسره. فطرحته وأنا خجل. وتوضأنا للصلاة، ورجعنا إلى المسجد وصلينا الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فلما كان بعد ساعة. فإذا إنسان قد جاء ومعه طعام عليه مكتبة فوقف ينظر إلى ذي النون فقال له: مرّ فدعه قدام ذلك وأوماً بيده إليّ فتركه الرجل بين يدي. فانتظرت الشيخ ليأكل فلم أره يقوم من مكانه ثم نظر إليّ وقال لي: كُلْ. فقلت: وحدي! قال: نعم. أنت طلبت نحن ما طلبنا شيئاً، يأكل من طلب. فأقبلت أكل وأنا خجل مستح مما جرى.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر ثنا يحيى بن عبد الباقي ثنا أبو الفضل بن عبد الله قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا الحسن الملقب يقول: سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول: خرجت إلى شط نيل مصر فرأيت امرأة تبكي وتصرخ فأدركها ذو النون فقال لها: ما لك تسكين.

فقالت: كان ولدي وقرة عيني على صدري فخرج تمساح فاستلب مني ولدي.

قال: فأقبل ذو النون على صلاته، وصلى ركعتين ودعا بدعوات فإذا التمساح خرج من النيل، والولد معه، ودفعه إلى أمه.

قال أبو عبد الله: فأخذته وأنا كنت أرى.

وقد رُويتا هذه من طريق ابن خميس على غير هذا الوجه.

قال ذو النون: أمتني امرأة فقالت لي: إن ابني أخذك التمساح الساعة. فرأيت حرقته فأتيت النبل وقلت: اللهم اظهر التمساح فخرج إليّ فشققت جوفه وأخرجت ابنها حيناً صحيحاً. فقالت: كنت إذا رأيتك سخرت منك، فاجعلني في حل وأنا تائبة إلى الله تعالى.

هذه وراثة عيسوية في إحياء الموتى، ولذلك المناسبة والوراثة كانت الحفافيش تقع على جنازته، فإنها الطير الذي خلقه عيسى بيده ونفخ فيه الروح. كل ذلك بإذن ربه.

أخبرنا عبد الوهاب بن سَكِينَةَ^(١) يعداد قال: ثنا ابن الأستاذ عبد الكريم بن هوازن، ثنا أبي قال: قال بكر بن عبد الرحمن: كنا مع ذي النون المصري في البادية، فنزلنا تحت شجرة من أم غيلان. فقلت: ما أطيب هذا الموضع، لو كان فيه رطباً. فنبسّم ذو النون وقال: تشتهون الرطب. وحرك شجرة وقال: أقسمت عليك بالذي ابتدأك وجعلك شجرة إلا نثرت علينا رطباً جنيماً.

ثم حركها فنثرت رطباً وأكلنا وشبعنا ثم نمنا وانتهينا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكة. أخبرنا أبو الثناء محمود البان، ثنا أبو عبد الله تاج الإسلام يسنده إلى يوسف بن الحسين قال: جاء رجل إلى ذي النون فشكا إليه ديناً عليه نحو سبع مائة دينار قال: فأخذ ذو النون حصاة من الأرض فقال للرجل: خذها فإني أرجو أن يكون قضاء دينك.

قال يوسف: فقال لي الرجل: جئت بها إلى صديق لي من أصحاب الجواهر فدفعتها إليه فقال: ليس هذا وقت بيعها، فإن صبرت عليها رجوت أن تبيعها بالضعف قال: فغبت عنه شهراً، ثم عدت إليه، فإذا هو قد باعها لي بألف وأربع مائة دينار.

وبالإسناد: إلى أحمد بن محمد السلمي قال: كنت عند ذي النون فأعطاني درهماً، فأنفقت منه إلى بلخ.

وبالإسناد: إلى أبي جعفر قال: كنت عند ذي النون المصري فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للأولياء. فقال ذو النون: من الطاعة أن أقول لهذا السرير بأن يدور في أربع زوايا البيت ويعود إلى مكانه فيفعل.

قال: فدار السرير في أربع زوايا البيت، وعاد إلى مكانه.

(١) عبد الوهاب بن سَكِينَةَ.

انظر ما أورده الإمام الذهبي في تذكرته أثناء الحديث عن وفيات سنة ٥٣٢ هـ وهي السنة التي توفي فيها محدث أصبهان الإمام أبو نصر أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله العازي.

انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١/٢٧٧.

قال: وكان هناك شاب فأخذ يكي حتى مات في الوقت.

ومما يُناسب هذه الحكاية في عصرنا ما اتفق لصاحبنا «أبي أحمد بن سيد بون» من وادي إشت بشرق الأندلس، وهو من تلامذة شيخنا «أبي مدين»، رحمه الله، وذلك أن كثيراً من علماء الرسوم يبلادنا أنكروا عليه حاله حسداً مثل ما جرت عادتهم معهم في كل زمان. فقام رجلٌ منهم في بعض قرى موضعه، وقد غَضَّ المسجد بالناس، فأخذ في دم أبي أحمد وطريقته، ولم يكن أبو أحمد في ذلك اليوم حاضراً فبينما هو في سبِّه وذمِّه، وذُكر مثالب ينسبها إليه، والناس يسمعون وإذا بعضى الخطيب قد وثبت من المنبر، فضربت ذلك المتكلم على رأسه واضطربت، فأراد الناس أخذها فطارت حتى دارت في الأربع الزوايا من المسجد، ثم قصدت المتكلم، والناس قد ضجوا. فأخذوها تحت حصر المسجد، ووقف عليها الرجال بأقدامهم، فكانت تنتفض وتهم يرميهم وبعد زمان سكنت.

فلما وصل خبرها إلى الشيخ أبي مدين إمام الطائفة ببلاد المغرب في وقته قال:

الحمد لله ما من مقام حكاة القشيري في رسالته إلا ودخلته، ولا ذكر رجلاً منهم بحالٍ إلا وقد كسبت ذلك الحال، وما من كرامة سطرها في كتابه إلا وقد رأيتها. إثمًا من نفسي، أو جرت على يدي أحد أصحابي، إلا خبر دوران السرير في زوايا البيت، وكان في نفسي منه شيء حيث لم يظهر لي مثله، حتى وقع خبر هذا العصا. فالشكر لله على ما أولى.

وقد ذكرنا هذا القدر الذي تذكرناه من كرامات هذا السيد (رضي الله عنه) فلنذكر نبذاً من كلامه فيما يتعلق بالطريقة، ومفاريد أقواله على قدر ما يعطيه الوقت من الذكر على غير جهة الاستقصاء في ذلك وطلب الإحصاء لها.

باب في نَبَذِ من كلامه فيما يتعلق بالطريقة ومفاريد أقواله

فمن باب التوفيق ما حدثنا به ابن الأخضر قال: ثنا يحيى بن عبد الباقي ثنا أبو الفضل بن أحمد ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام التوفيق:

«الرفق في الأعمال بالاستعداد لها.

«والسلامة من الذنب مع الميل إليه وقلة الهرب منه.

«واستخراج الدعاء والابتهاال.

نص كتاب الكوكب المذري في مناقب ذي النون المصري.

وبالإسناد، عن أحمد بن عبد الله قال: ثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قرئ علي أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

بالتوفيق تال الخطوة.

وما يلحق بهذا الباب، وسائر الأبواب نكته بهذا الباب أليق لكونه مفتاح القربة أمران:

الرشد والسعادة

حدثنا ابن الأثير بالأسناد المتقدم في أول هذا الباب، وقال ذو النون:

ثلاثة من أعلام الرشد:

« حسن المجاورة، والتنصح عند المشاورة، والبر في المجاورة.

وثلاثة من أعلام السعادة:

« الفقه في الدين، والتيسير للعمل، والإخلاص في السعي.

باب العبادة والعبودية وما في معناهما

حدثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد إجازة أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري، أخبرنا ابن أبي صادق، أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي قال:

سمعت فارساً البغدادي^(١) يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

« شقُّم الجسد في الأوجاع،

وشقُّم القلوب في الذنوب.

فكما لا يجد الجسم لذَّة الطعام عند [الأكل]^(٢) كذلك [القلب]^(٣) لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب.

(١) فارس بن عيسى البغدادي، كنيته: أبو القاسم وهو من خلفاء الحسين بن منصور الحلاج. كان فارس البغدادي من متكلمي مشايخ القوم، والمدققين في عبارات، وله كلام حسن في الأحوال والإشارات. توفي رحمه الله سنة ٣٤٥هـ.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي ببغداد. أخبرنا ابن عبد الكريم بن هوازن، أخبرنا أبي قال: سمعت محمد بن الحسين قال: سمعت أبا العباس البغدادي^(١) يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل^(٢) قال أخبرنا سعيد بن عثمان^(٣) قال: سمعت ذا النون يقول: ثلاثة من أعلام العبادة:

« حُبُّ الليل ليسهر بالتهجد، والخلوة،

« وكراهية الصبح لرؤية الناس،

« والغفلة والبدار بالصالحات مخافة الفتنة،

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزالي، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، أخبرنا محمد بن الحسين، سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت الحسن بن سهل^(٤) يقول: سمعت عبي بن عبد الله يقول: سمعت ذا النون يقول:

« مفتاح العبادة الفكر.

« وعلامة الهوى متابعة الشهوات.

أخبرنا محمد بن قاسم، ثنا المسعودي بمصر، ثنا الغامدي، ثنا الأستاذ عبد الكريم بن هوازن قال: قال ذو النون:

العبودية: أن تكون عبده في كل حال، كما أنه ربي في كل حال.

ومن باب التوبة

ما حدثنا البكري بدمشق، ثنا أبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن

(١) الشيخ أبو العباس بن مؤيد بن - يعني صادق خديعة البغدادي - رحمه الله صاحب بشر بن الخارث، وتغرب إلى الشام وتواخي بمصر. روى عنه الحسن بن يوسف الشاذلي وجماعة غيره، توفي رحمه الله في القرن الثالث الهجري.

انظر: الجامع: ٢٩٢، الحبيب: تاريخ بغداد: ٤١٩/١٤.

(٢) محمد بن أحمد بن سهل، أبو الفضل كسيري، السبوري الأصل حدث عن سعيد بن عثمان بن عيسى الخياط صاحب ذي النون، وكان ثقة، توفي في شهر محرم سنة ٣٤٢ هـ.

انظر: الحبيب: تاريخ بغداد: ٣٤١/١٠. سبسي: طبقات الصوفية، هامش ص ٢٠.

(٣) سعيد بن عثمان بن عيسى الخياط (أو عثمان) حدث عن ذي النون بصري، توفي رحمه الله سنة ٢٩٤ هـ. انظر: تاريخ بغداد: ٢٩/٩.

(٤) الحسن بن سهل (مجهول)، صاحب أبي حمزة، ومحمد بن زكريا العلافي الإحصاري، ومحمد بن العباس المؤدب ومحمد ابن يحيى بن المنذر القزاز وجماعة، وكنيته من شيوخ القميري، توفي رحمه الله سنة ٢٩٠ هـ. انظر: الذمبي: تذكرة الحفاظ: ٦٣٩/٢.

هوازن^(١)، عن جده أبي القاسم قال: سئل ذو النون^(٢) عن التوبة فقال:

« توبة العوام من الذنوب.

« وتوبة الخواص من العقلة.

ومن باب المجاهدة وما في معناها

ما حدّثنا به عبد الوهاب بن علي بن علي، ثنا ابن عبد الكريم عن أبيه قال: سمعت محمد ابن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول:

« ما أعزّ الله عبداً بعدّ هو أعزّ له من أن يدلّه على ذلّ نفسه، وما أذلّ الله عبداً بذلّ هو أذلّ له من أن يحجبه عن ذلّ نفسه.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد قال: سمعت ذا النون يقول:

« طوبى لمن يظهر ولزم الباب.

« طوبى لمن تضرع للسباق.

« وطوبى لمن أطاع الله أيام حياته.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا محمد بن أحمد بن عبد الله قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرازي بنيسابور يقول:

سمعت يوسف بن الحسين يقول: قال ذو النون:

« جُهِدْ النفس حجاب المنة.

« وجهد القلب هتك الحجب إلى المنة.

ومن باب الرُّهْد

ما حدّثنا به محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد إجازة، أنبأنا محمدان ابن ناصر، وابن عبد الباقي قالا: أنبأنا حمّد بن أحمد، أنبأنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون المصري:

(١) أبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري. مسند حراسان، الخطيب، ذكره النجاشي في تذكروته ضمن من توفي سنة ٥٤٦ هـ. النظر الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١٣٠٩/٤.

(٢) في نسخة الخطيب: ذا النون.

ثلاثة من أعلام الزهد:

« قِصْرُ الأَمَلِ »

« وَحُبُّ الْفَقْرِ »

« وَاسْتِغْنَاءٌ مَعَ صَبْرٍ ».

وأخبرنا عبد الوهاب بن علي عن ابن عبد الكريم بن هوازن عن أبيه، عن محمد بن الحسين، عن أبي العباس البغدادي، عن ابن سهل، عن سعيد، عن ذي النون أنه قال:

الزُّهْدُ يُورِثُ الْحِكْمَةَ

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: أتى رجل من أهل البصرة ذا النون فسأله: متى يصح لي طلب الزهد؟ قال: إذا كنت زاهداً في نفسك. هارباً من جميع ما يشغلك عن الله. لأن جميع ما يشغلك عن الله هي دنيا.

قال يوسف بن الحسين: فذكرت ذلك لطاهر المقدسي فقال: علي هذا ترك أخبار المرسلين. أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم، قال سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت إسرافيل يقول: سمعت ذا النون يقول:

إنما رجع من رجع من الطريق، ولو وصلوا إلى الله ما رجعوا فازهد في الدنيا ترى العجب. سمعت الأستاذ أبا يعقوب الكومي^(١) بجامع العديس من إشبيلية يقول، ونحن جلوس بين يديه:

إنما رجع من رجع ما لم يبلغ رأس العقبة، فلو بلغ رأس العقبة، وكشف ما هنالك ما رجع. رأس العقبة مطالعة الحقيقة. رجال الله اتحدروا عليها من الجانب الآخر، فلم ترهم عين بعد ذلك هنا إلا إن كانوا رُسلًا حاملي أمانة.

أخبرنا أبو الحسن الفرياني، ثنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور بن محمد، ثنا أبو

(١) (أبو يعقوب الكومي) يوسف بن يـحـلف الكومي، شيخ العارف محي الدين بن عربي، وكان يقول عنه انتفعت به في الرياضة، وانتفع بنا في مواجيدته، فكان لي تلميذاً وأستاذاً وكنت له مثل ذلك، وكان الناس يتعجبون من ذلك. وكان ذلك سنة ٥٨٦ هـ.

انظر: السهاتي: جامع كرامات الأولياء، ٢/٢٩١، المازني: الكواكب الدرزية، ١/٧١٦.

الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد، حدثني أبو محمد عبد الله بن سهيل قال: سمعت ذا النون أبا الفيض وسأله قلت: متى يتم زهدي بعد ورعي؟

قال: إذا جعلت الفرض لك مقلماً، وأقمت الطاعة لك مفهماً.

قلت: فمتى يشتد بي بغض الدنيا؟

قال: إذا جعلت الدنيا طريق مخافة لا تلتفت إلى ما قطعت منها، وجعلت الآخرة ساحة مأمونة لا تأمن إلا بالنزول فيها.

قلت: متى أستلذ الموت؟

قال: إذا جعلت الدنيا خلف ظهرك، وجعلت الآخرة نُصْبَ عينيك.

قلت: فمتى أتقي شهوات مطاعم الأرض؟

قال: إذا خالط قلبك الملكوت، وسرح في سرائر الجبروت.

قلت: فمتى تصلب معرفتي؟

قال: إذا استوحشت من الدنيا، واشتد فرحك بتزولك البلى.

[قلت:]^(١) فمتى أستقيح الدنيا؟

قال: إذا علمت أن زينتها فساد كل معين، وأن محاسنها تقضي إلى كل حسرة.

قلت: فمتى أكتفي بأهون الأغذية؟

قال: إذا عرفت هلاك الشهوات، وسرعة انقطاع غذوبة اللذات.

قلت: فمتى بلوغ التمام؟

قال: إذا كان زخرف الدنيا عندك صغيراً، وكان خوف الآخرة لك ذكراً.

أخبرنا محمد بن قاسم، ثنا أحمد بن محمد، ثنا الفضل الثقفي، ثنا أبو عبد الرحمن الشلمي قال: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: قال ذو النون:

الزهاد ملوك الآخرة، وهم فقراء العارفين.

(١) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق.

ومن باب الورع

ما حدثنا به أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون يقول:

طوبى لمن كان شعار قلبه الورع، ولم يعمر بصر قلبه الطمع وكان محاسباً لنفسه فيما صنع.

ومن باب التوكل

ما حدثنا به القاضي عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخوزجي^(١) بالخميم بباب غلش بشاطيء نهر إشبيلية قال: حدثنا الحافظ أحمد بن محمد الأصبهاني إجازة، ثنا الثقفى، ثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال: سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول: سمعت محمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان الحياط يقول: سمعت ذا النون المصري يقول وسأله رجل ما التوكل؟

فقال: خلع الأتياب، وترك الأسباب.

فقال له السائل: زدني.

فقال: إلقاء النفس في العبودية، وإخراجها من الربوبية.

وبالإستاد قال:

وسمعت يقول: التوكل: الخروج عن تدبير النفس، والانخلاع من الحول والقوة، وإتما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه. يرى هذا الشيخ^(٢):

أن حقيقة العلم هو العمل به، وقد نزع إلى هذا القول غيره من العلماء مثل «أبي حامد

(١) القاضي عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخوزجي، من أهل غرناطة يعرف بابن الفرس، ويكنى أبا عبد الله ولد آخر سنة ٥٢٤هـ تفقه بالحدث وكتب أصول الفقه وسمع أبا أيوب، وأبا الوليد بن الدباغ وغيرهما. وكان علماً بال تفسير وبالحقائق وله كتاب في أحكام القرآن حليل الفائدة. توفي رحمه الله سنة ٥٩٩هـ يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة وقال في معجم المؤلفين، توفي سنة ٥٩٧هـ.

انظر ترجمته في: الداودي: طبقات المفسرين، ٣٦٣/١، كحانة: معجم المؤلفين، ١٩٦/٦، الغدادي: هدية العارفين، ٣٦٩/١.

(٢) الكلام الذي سبقت هنا لابن عربي تحليلاً ما قاله ذو النون،

الغزالي^(١) وغيره. فإن كل أحد يعلم من أهل الإسلام أن الله يعلم ويرى ما الخلق فيه ولكن ما له هذه الحالة. فلا تُسمّى عندهم علماً، وإنما رسماً ودراية.

أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، حدثنا محمد بن ناصر، وابن عبد الباقي، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام التوكل:

١- نقص العلائق. وترك التملق في السلائق. واستعمال الصدق في الخلائق.

أخبرنا ابن الأختصر، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد، حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال: قلت لذي النون: متى أتوكل؟

قال: اليقين إذا تمّ سُعي توكلًا.

أخبرنا يونس بن يحيى، أنبأنا أبو بكر بن العزّال، ثنا أحمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، أنبأنا محمد بن الحسين قال: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت الحسن بن سهل يقول:

سمعت علي بن عبد الله يقول: سمعت ذا النون يقول: علامة التوكل انقطاع المطامع.

ومن باب الثقة بالله تعالى

ما أخبرنا به عبد العزيز، عن يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا أبو محمد بن حبان وأنا أسمع من لفظه قال: سمعت عمر بن يحيى يقول:

سمعت ذا النون يقول: مكتوب في التوراة: معون من ثقته بإنسان مثله.

أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن حازم، أنبأنا محمد بن ناصر، وابن عبد الباقي قالوا: أنبأنا

(١) أبو حامد الغزالي (محمد بن محمد بن محمد بن عيسى بن عذرة سنة ٤٥٥ هـ) قضى شبابه بطنس من أعمال حراسان، وتلقه على إمام الحرمين أبو معالي حموي ثم ذهب إلى بلاد مصر بمهمة النظامية ببغداد، وقد ترك عدداً كبيراً من المؤلفات يشهد بمعرفة وإتقان صاحبها في كثير من كبار أقطاب التصوف. وتوفي رضي الله عنه سنة ٥٠٥ هـ.

انظر ترجمته في: بروكلمان، ٢٤٣/٤، مجلة معجم المؤلفين، ٢٦٦، ١١. بن العباد: شذرات الذهب، ١٠/٤، بن كثير: البداية والنهاية، ١٧٣/١٢، بن عربي رذيل: النجوم الزاهرة، ٥٠٣، ٥. البغدادي: هدية العارفين، ٧٩/٢، الركني: مبادئ الأخلاق عند الغزالي، سيمانه، ٥١٤، الحقيقة في نظر الغزالي.

حدثنا أبو أحمد، أنبأنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عبد الله قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام الثقة بالله تعالى:

« السخاء بالموجود.

« وترك القلب للمفقود.

« والاستقامة إلى فضل الموجود.

ومن باب الجوع

ما حدثنا به البكري، وعبد الوهاب.

قال عبد الوهاب: ثنا عبد الكريم، ثنا أبي قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت علي بن عمر الحافظ يقول: سمعت ابن رثيق يقول: سمعت أبا دجاجة يقول: سمعت ذا النون يقول: لا تسكن الحكمة معدة مليئة طعاماً.

أخبرنا أبو الثناء محمود اللبان، ثنا ابن خميس قال: قال ذو النون: ما شبع من الطعام إلا عصيت أو هممت بمعصية.

ومن باب القناعة

خرج ابن خميس في كتاب «مناقب الأبرار» عن ذي النون أنه قال: من قنع استراح من أهل زمانه، واستطال على إخوانه.

ومن باب الصمت

حدثنا أبو عبد الله محمد بن قاسم، ثنا المسعودي، ثنا الغاثي، ثنا الأستاذ عبد الكريم بن هوازن قال: قيل لذي النون: من أصبر الناس لنفسه؟ قال: أملكهم للسانه.

ومن باب اليقين

ما حدثنا به عبد الوهاب بن علي بن علي ببغداد، ثنا ابن الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن، حدثني أبي قال: سمعت محمد بن الحسين قال: سمعت أبا العباس البغدادي يقول:

سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام اليقين:

« قلة المخالطة للناس في العشرة.

« وترك المدح لهم في العظمة.

« والتزهر عن ذمهم عند المنع والروية.

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام يقين اليقين:

« النظر إلى الله تعالى في كل شيء.

« والرجوع إليه في أمر.

« والاستعانة به في كل حال.

أخبرنا البكري عبد الوهاب. قال عبد الوهاب: ثنا ابن عبد الكريم عن أبيه، عن محمد بن الحسين، عن أبي العباس البغدادي، عن ابن سهل، عن سعيد، عن ذي النون أنه قال:

اليقين داع إلى قبض الأمل.

ومن باب الصبر

ما حدثنا به يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام الصبر:

« التباعد عن الخلطاء في الشدة.

« والسكون عليه مع تجرع غصص البلية.

« وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحة المعيشة.

أخبرنا أبو الخير أحمد بن إسماعيل إجازة، ثنا أبو الفرج عبد الوهاب بن شاه، ثنا عبد الحميد البحتري، ثنا أبو عبد الرحمن الشلمسي قال: سمعت علي بن سعيد يقول: سمعت أحمد بن

علي بن هارون البرذعي يقول: سمعت أبا علي الخرقى يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: وقيل له: أي الناس أقرب إلى الكفر؟ قال: ذو فاقة لا صبر له.

ولما كان الصوم نصف الصبر كما جاء في الخبر، ألحقته بهذا الباب.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا محمد بن أحمد البغدادي، ثنا أبو محمد عبد الله ابن مهمل قال: قلت لذي النون: متى يتم صومي؟ وفي حديث ابن خميس: «ويتبين لي موضع القبول».

قال: إذا جوعت نفسك من البغضاء ما يدل المعاصي، وأمت لسانك من الفحشاء.

وخرج الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري في رسالته عن ذي النون أنه قال: الصبر: التباعد عن الخلفات.

وذكر مثل حديث يونس وقال: قال ذو النون:

الصبر هو الاستعانة بالله.

ومن باب الشكر

ما حدثنا به أبو الفرج عبد الرحمن بن علي إجازة ولم ألحقه فإني دخلت بغداد بعد موته رحمه الله قال: أنبأنا أبو بكر بن حبيب العامري، أنبأنا ابن أبي صادق، أنبأنا أبو عبد الله بن ياكوب الشيرازي قال: سمعت فارما البغدادي يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

«من لم يغترف قدر النعم شئبها من حيث لا يعلم».

أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي إجازة، ثنا الشمدان بن ناصر، وابن عبد الباقي قالوا: ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام الشكر:

١- المقاربة من الإخوان في النعمة.

٢- استخدام قضاء الحاجات قبل العطية.

٣- استقلال الشكر بلا حيلة المنة.

ومن باب التقوى

ما حدثنا به أبو الثناء محمود اللبان، أبو عيد الله بن خميس تاج الإسلام بسنده إلى ذي النون.

قال ذو النون: التقّي الذي لا يُدّس ظاهره بالمعارضات، ولا باطنه بالعلالات ويكون واقفاً مع الله تعالى موقف الاتفاق ثم أنشد:

ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم تحن إلى الشكوى وترتاح للذكر
أخبرنا: عبد الرحمن بن علي بن حبيب العامري أبو بكر، أنبأنا ابن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه. قال: سمعت بكر بن أحمد يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

ما خلع الله عز وجل على عبد من عبده خلعة أحسن من العقل، ولا قلده قلادة أجمل من العلم، ولا زينه زينة أفضل من الحلم، وكمال ذلك كله التقوى.

أخبرنا: يونس بن يحيى، أنبأنا ابن أبي منصور، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال ذو النون: ثلاثة من أعلام التقوى:

« ترك الشهوة المذمومة مع الاستمكان منها.

« والوفاء بالصالحات مع نفور النفس منها.

« ورد الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها.

ومن باب الخوف

ما أخبرنا: عبد الوهاب بن علي بن علي، ثنا ابن عبد الكريم القشيري عن أبيه قال: قال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر أخبرنا أبو بكر بن أبي منصور الغزالي، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال:

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الخوف

« الورع عن الشبهات، ملاحظة للوعيد.

« حفظ اللسان مراقبة لنظر العظيم.

« وذمام الكمد إشفاقاً من غضب الحليم.

أخبرنا: يونس بن يحيى ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد، حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال: قلت لأبي النون: متى أخاف ربِّي؟ قال: إذا سرحت بصرك في عظمته، ومثلت لنفسك أمثال نعمته.

أخبرنا: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي أجازة، أنبأنا محمدان: بن ناصر، وابن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله قال: سمعت أبا الفضل نصر بن أبي نصر يقول: سمعت عبد الله بن محمد البلاذري^(١) يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: قال ذو النون: الخوف رقيب العمل، والرجاء شفيع الحق، إذا ذكرت ذنوبي استشفيت بالدعاء، وإذا ذكرت مولاي استشفيت بالثناء.

ومن باب الرجاء

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الرجاء: «العبادة بحلاوة القلب.» «والإنفاق في سبيل الله برؤية الثواب.» «والمثابرة على فضائل الأعمال بخالص التنافس وقال: الرجا شفيع الحقن.

ومن باب الإخلاص

خرَّج ابن حميس في كتاب المناقب عن ذي النون أنه قال: الإخلاص لا يتم إلا بالصدق منه. والصبر عليه.

أخبرنا أبو الفرج بن علي، ثنا محمدان: بن ناصر، وابن عبد الباقي قالوا: ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الإخلاص: «استواء المذبح والذم من العامة.»

(١) (عبد الله بن محمد البلاذري)، له بعض منسوخ أبو عبد الله البلاذري، ومثالي له ترجمة.

« ونسيان رؤيتهم في الأعمال نظراً إلى الله.

« واقتضاء ثواب العمل في الآخرة بحسن عفو الله في الدنيا بحسن المدخلة.

أخبرنا: عبد العزيز ويونس قالاً ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي^(١) قال سمعت يوسف بن الحسين يقول:

قال ذو النون: من عُيِّب عن ملاحظة نفسه فقد استمكن من مقاعد الإخلاص.

وبالإسناد:

قال يوسف بن الحسين: شئل ذو النون يوماً فيما يجد العبد الخلاص قال: الخلاص في الإخلاص فإذا أخلص تخلّص. قيل له: فما علامة الإخلاص؟ قال: إذا لم يكن في عملك محبة المخلوقين ولا مخافة ذمهم فأنت مخلص إن شاء الله.

ومن روايته في هذا الباب:

ما أخبرنا به عبد العزيز ويونس قال يونس، ثنا ابن ناصر السلمي وقال عبد العزيز، أئبنا يحيى بن عبد الباقي قال ابن ناصر، وقال يحيى، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أبو الحسن بن أئب، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

قال بعض الحكماء: ما أخلص العبد لله إلا أحب أن يكون في حُب لا يعرف.

وقال ذو النون: الإخلاص ما حفظ من العدو أن يفسده. خرّجه القشيري في رسالته.

وأخبرنا عبد الرحمن عن ابن ناصر، عن حمّد، عن أحمد بن عبد الله، عن عثمان بن محمد، عن محمد بن أحمد البغدادي، عن أبي محمد عبد الله بن سهل قال: قلت لذو النون: متى أخلص لله في صلاتي؟ قال:

إذا سكنت معادن الأنوار في قلبك، ونفذ به في ملكوته همك.

ومن باب التواضع

ما أخبرنا به يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون:

(١) أحمد بن محمد بن عيسى بن الجراح الحافظ الإمام الصدوق، أبو العباس المصري، تولى تيسابور، كان ذا رحلة واسعة ومعرفة جيدة. دُعي كتبه فحُدّت من حفظه، وأُمنى سنين كثيرة، مات رحمه الله سنة ٣٧٦هـ عن خمس وثلاثين سنة. انظر: السيوطي: طبقات الحفاظ، ٣٩٤، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٩٩٥/٣.

ثلاثة من أعلام التواضع:

« تصغير النفس معرفة بالعيب.

« وتعظيم الناس حرمة للتوحيد.

« وقبول الحق والنصيحة من كل أحد.

أخبرنا أبو التمام محمود اللبان بالموصل عن ابن خميس تاج الإسلام بسنده قال: قال ذو النون:

تواضع للخلق في ذات الله إلا لمن يسألك أن تتواضع له فإن سؤاله إياك عون له على التكبر. أخبرنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي، قالوا: ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن عبد الرحمن المقرئ، يقول: سمعت هلال بن العلاء يقول: قال ذو النون:

«من تطأطأ لقي رطباً ومن تعالّى لقي عَطْباً».

أخبرنا يونس أنبأ أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يزيد، قال: سمعت أحمد بن محمد بن عمر يقول: سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول: سمعت ذا النون يقول: وسأله رجل يا أبا الفيض رحمك الله من أراد التواضع كيف السبيل إليه؟ فقال له:

افهم ما ألقى إليك. من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله فإنها تذوب وتصغر، ومن ذهب إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لأن النفوس كلها حقيرة عند هيئته، ومن أشرف التواضع أن لا ينصر إلى نفسه دون الله.

ومعنى قول النبي (صلى الله عليه وسلم):

«من تواضع لله رفعه الله» يقول من يذل بالمسكنة والفقر إلى الله رفعه لعز الانقطاع إليه.

ومن باب الجود

ما حدثنا به ابن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمّدان بن ناصر، وابن عبد الباقي، قالوا: ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام السخاء:

« البذل للشيء مع الحاجة إليه.

« وخوف المكافأة استقلالاً للعطية.

« واحمل على النفس استغناءً لإدخال السرور على الناس.

وبالإسناد:

وقال ذو النون:

الكرّم يعطي قبل السؤال فكيف يخل الكرم بعد السؤال، ويعذر قبل الاعتذار ويعفّ قبل الامتناع، فكيف يطمع في الازدياد.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون يقول:

حرّم الله الريادة في الدين، والإلهام في القلب، والقراءة في الخلق على ثلاثة نفر:

« على بخيل بدنيّاه.

« وسخي بدنيّته.

« وسيء الخلق مع الله.

أخبرنا العماد عن تاج الإسلام قال: قال ذو النون:

ليس بكرّم من ذلّ سائله، وليس بكرّم من أعطى على الوسائل، وليس بكرّم من أحوجك إلى شفيح.

ومن باب الخلق

ما أخبرنا به إسماعيل ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ويونس بن يحيى، قال أبو الفرج، ثنا محمد بن ناصر وابن عبد الباقي وقال ابن يونس، ثنا ابن ناصر، وأبو بكر بن أبي منصور، قالوا كلهم ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد، ثنا أبو عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام حسن الخلق:

« قلة الخلاف على المعاشرين.

« وتحسين ما يرد عليه من أخلاقهم.

« وإرام النفس اللائمة فيما يختلفون فيه كفاً عن معرفة عيوبهم.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن الغزال، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا الحافظ أبو

نعيم، ثنا محمد بن محمد قال سمعت أحمد بن عيسى يقول: سمعت أبا عثمان سعيد بن الحكم يقول سئل ذو النون من أقوم الناس عناء؟ قال: أسوأهم خلقاً.
 قيل: وما علامة سوء الخلق قال: كثرة الخلاف.

أخبرنا ابن إسماعيل، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي لإجازة، أنبا المحدثان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا محمد بن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال قرئ علي أبي الحسين أحمد بن محمد بن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

حرم الله الزيادة في الدين والإلهام في القلب والفراصة في الخلق على ثلاثة نفر:

« على بخيل بدينه.

« وسخي بدينه،

« وسيء الخلق مع الله.

فقال له رجل بخيل بالدين عرفناه وسخي بدينه عرفناه، صف لنا سيء الخلق مع الله:
 قال: يقضي الله قضاءً، ويمضي قدرًا، وينقد علمًا ويختار لعبه أمرًا، فترى صاحب سوء الخلق مضطرب القلب في ذلك كله غير راضٍ به، دائماً يشكواه من الله إلى خلقه فما ظنك.

ومن هذا الباب وليس من باب السخاء لمن نظر فيه

أخبرنا: ابن الأحضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي عن أبي الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أبو بكر البغدادي. قال: سمعت عبد الله بن سهل البغدادي يقول: سمعت يحيى بن معاذ^(١) يقول: قال ذو النون:

حقيقة السخاء أن لا تلوم البخيل في منعه إياك لوماً لأنك إنما لمته واشتغلت به لوقوع ما منعك في قليل، ولو كان ذلك عليك لم تشتغل بلومه ثم أنشأ يقول:

كريم صفو الماء ليس بباخل بشيء ولا متهيد ملاماً لباخل

(١) يحيى بن معاذ: بن جعفر الرازي الواعظ المذكور، الأرجي الجار، المذبح الشكوى، القابع الصبار، لزم الحداد توفياً من العباد، واستعد السهاد غريباً للوداد، واحتمل الشداد توفياً إلى الغداد. هكذا أخبر عنه أبو نعيم في الحلية، توفي رحمه الله عندما رجع إلى نيسابور سنة ٢٥٨ هـ. روى الحديث.

انظر ترجمته في: أبو نعيم، حلية الأولياء، ٥١/١٠ - ٧٠، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٧١/٤، الشعراوي: الطبقات، ١/ ٩٤، القشيري: الرسالة، ٢١، ابن العماد: شذرات الذهب، ١٣٨/٢، تاريخ بغداد، ٢٠٨/١٤، المسلمي: طبقات الصوفية، ١٠٧، المناوي: الكواكب الدرية، ٩٩٦/١، محمالة: معجم المؤلفين، ٢٣٢/١٣، سزكين: تاريخ التراث العربي، ٤٤٨/٢، طبعة القاهرة ١٩٧٩ م.

ومن باب الرحمة

وهو جزء من الباب الذي قبله.

أخبرنا به يونس بن يحيى، عن أبي بكر بن الغزال، عن حمد بن أحمد، عن أحمد بن عبد الله، عن أبيه، عن أحمد بن محمد عن سعيد بن عثمان أنه قال قال: ذو النون:

ثلاثة من أعلام الرحمة للمخلوق:

« أثروا العقل للملهوفين.

« وبكاء القلب لليتيم والمسكين.

« وفقدان الشماتة بمصائب المسلمين.

ومن باب الفقر

ما حدثنا به عبد الرحمن إجازة، ثنا أبو بكر بن حبيب العامري، ثنا علي بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن ياكوب، أخبرني أبو الحسن الخنظلي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

دوام الفقر إلى الله مع التخليط أحب إلي من دوام الصفاء مع العجب.

وخرج ابن خميس في المناقب

قال قال ذو النون: كان لي صديق قماط وكان فقيراً ف رأيته في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: قال لي غفرت لك بترددك نهؤلاء السفهاء أبناء الدنيا في رغيغ قبل أن يعطوك.

ومن باب الابتلاء

ما حدثنا به يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون يقول:

إنما تختبر ذا اليأس عند النقاء، وإذا الأمانة عند الأخذ والعطاء، والأهل والولد عند الشاقة والملاء، والإخوان عند بوائب القضاء.

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو طاهر بن حسين صوفي، ثنا علي بن أحمد الثعلبي، ثنا أحمد بن فارس

الفرغاني قال سمعت علي بن عبد الحميد الحلبي^(١) يقول سمعت ابن الفرجي يقول: سمعت ذا النون يقول:

البلاء ملح المؤمن إذا عدم البلاء قَسَدَ حاله، ولهذا كان أبو يزيد إذا قدم إليه الخبز يقول إلهي بعث إليّ الخبز ولم تبعث إليّ بلاء آكله به.

ومن باب قِصْرِ الأَمَلِ

ما حدثنا به البكري، ثنا هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم، عن جده، عن محمد ابن الحسين، عن البغدادي أبي العباس بن سهل، عن سعيد، عن ذي النون أنه قال: قِصْرُ الأَمَلِ دَاعٍ إِلَى الزَّهْدِ، وقِصْرُ الأَمَلِ نَتِيجَتُهُ اليَقِينُ، فإنه من يَتَقَنَّ أن الموت يجري مع الأنفاس، لم يكن له أمل في مستأنف، ومن لم يكن له أمل في مستأنف، لم يرغب في الدنيا.

ومن باب الذِّكْرِ

ما خَرَّجَهُ أبو عبد الله تاج الإسلام الحسين بن نصر بن محمد بن خميس في المناقب قال مثل ذو النون عن الذكر فقال: غيبة الذاكر عن الذكر. ثم أنشد:

لَا لِأَنِّي أَنَا أَكْثَرُ ذِكْرَكَ وَلَكِنْ بِذَاكَ يَجْرِي لِسَانِي

وذكر أيضاً أنه قال: كل ذاكر ذكر الله عز وجل قاله الذاكر له.

أخبرنا أبو محمد يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان، قال: سمعت ذا النون يقول:

من ذكر الله على حقيقة نسي في جنبه كل شيء، ومن نسي في جنب الله، حفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء.

أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ إجازة ستة اثنين وسبعين وخمسة مائة، ثنا القاسم بن

(١) (علي بن عبد الحميد الحلبي) هو علي بن عبد الحميد بن عبد الله بن سليمان الحلبي، البغدادى، وقيل القضايرى، له الأحوال البديعة والأعمال الرفيعة، كان يُعَدُّ من الأبدال قال عدي:

«دَقَّقْتُ بِابِ الشَّرْقِ لِسْفَاطِي» فسمعه يقول: انهم من شعبتي منك فاشغله بك غي، فبركة دعائه حججت أربعين حجة ماشياً، توفي رحمه الله سنة ٣١٣ هـ.

نظر ترجمته في: أبو سعيد: حلية الأولياء، ٣٦٦/١، ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/٥٣١، ابن عري رددي: النجوم الزاهرة، ٢١٣/٣، إجمعي: نفحات الأنس، ١٦٠، التسمي: طبقات الصوفية، ٥٢، الخصب: تاريخ بغداد، ٢٩/١٢.

الفضل، ثنا أبو عبد الرحمن الشُّلَمِيُّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ الْبَلَاذْرِي يَقُولُ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ بَكْرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ ذَا النَّوْنِ الْمَصْرِيَّ يَقُولُ: مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرًا عَلَى الْحَقِيقَةِ نَسِيَ فِي جَنْبِ ذِكْرِهِ كُلَّ شَيْءٍ وَحَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ وَكَانَ لَهُ عَوْضًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ^(١).

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ، ثنا مُحَمَّدَانُ بْنُ نَاصِرٍ وَابْنُ عَبْدِ الْبَاقِي، ثنا حَمْدُ بْنُ أَحْمَدَ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْفَضْلِ الصُّوفِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا عَثْمَانَ سَعِيدَ بْنِ عَثْمَانَ يَقُولُ سَمِعْتُ ذَا النَّوْنِ يَقُولُ:

مَا طَابَتِ الدُّنْيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ وَلَا طَابَتِ الْآخِرَةُ إِلَّا بِعَفْوِهِ، وَلَا طَابَتِ الْحَنَّةُ إِلَّا بِرُؤْيَيْتِهِ.

وَمِنْ بَابِ الْوَلَايَةِ

مَا حَدَّثَنَا بِهِ يُونُسُ بْنُ يَحْيَى، ثنا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي، ثنا الْفَضْلُ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، ثنا أَبِي، ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَصْفُوعٍ، ثنا سَعِيدُ بْنُ عَثْمَانَ الْخِطَّاطُ قَالَ: قِيلَ لِدِي النَّوْنِ: مَا عِلَامَةُ إِقْبَالِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ؟ قَالَ:

إِذَا رَأَيْتَهُ صَابِرًا شَاكِرًا ذَاكِرًا فَذَلِكَ عِلَامَةُ إِقْبَالِ اللَّهِ.

قِيلَ: فَمَا عِلَامَةُ إِعْرَاضِ اللَّهِ عَنِ الْعَبْدِ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَهُ سَاهِيًا، لَاهِيًا، مَعْزُومًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَذَلِكَ حِينَ يُعْرِضُ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: وَيَحْتَكَ كَفِّي بِالْمُعْرِضِ عَنِ اللَّهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْ ذِكْرِهِ يَرِيدُ سَاهِيًا عَنِ النَّصِيرِ لَاهِيًا عَنِ الشُّكْرِ، وَقَدْ عَمَّ جَمِيعُ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ نَصْفٌ صَبْرٌ وَنَصْفٌ شُكْرٌ.

وَمِنْ رَوَايَتِهِ فِي هَذَا الْبَابِ

مَا حَدَّثَنَا بِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَالَ ثنا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي، ثنا حَمْدُ بْنُ أَحْمَدَ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، ثنا مُحَمَّدُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ شَاذَانَ الْفَرَّازِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ يَوْسُفَ بْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ: سَمِعْتُ ذَا النَّوْنِ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ مَنْ كَانَ لِي مُطِيعًا كُنْتُ لَهُ وَلِيًّا فَلْيَتَّقِ بِي وَلْيَحْكَمْ عَلَيَّ فَوْعَزَتِي لَوْ سَأَلَنِي زَوَالُ الدُّنْيَا لِأَرْزَلْتُهَا لَهُ.

(١) وهذا من طريق آخر: غير الطريق الذي قال به.

ومن باب الأخوة

ما حدثنا به يونس، ثنا ابن ناصر محمد، ثنا حمد بن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال أحمد بن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سألت ذا النون، ما علامة الأخوة في الله قال ثلاث: الصفاء والتعاون والوفاء.

« الصفاء في الدين.

« التعاون في المواساة.

« والوفاء عند البلاء.

ومن باب الإرادة

ما حدثنا به يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن العلاء الصفدي الورّاق، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى الرازي، ثنا يوسف بن الحسين ومحمد بن أحمد قالا سمعنا ذا النون يقول: دارت رحي الإرادة على ثلاث:

« الثقة بوعد الله.

« الرجاء.

« ودوام قرع باب الله.

ومن باب الحلم

ما حدثنا به إسماعيل، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد إجازة ثنا المحدثان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان، قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الحلم:

« قلة الغضب عند مخالفة الرأي.

« والاحتمال عن الوري إحتيائاً للرب.

« وتسيان إساءة المسيء غفراً عنه واتساعاً عليه.

ومن باب الإسلام والإيمان

ما حدثنا به ابن الأخضر أبا أبو بكر بن الغزالي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الإسلام.

« النظر لأهل الملة.

« وكفّ الأذى عنهم.

« والعفو عند القدرة عن مسيئهم.

« وثلاثة من أعلام الإيمان:

« إسباغ الطهارات في المكاره.

« وارتعاش القلب عند الفرائض حتى يؤديها.

« والتوبة عند كل ذنب خوفاً من الإصرار.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا ابن عبيد الباقي أبو بكر، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد، حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل، قال: قلت لذي النون: متى أؤمن قال: إذا اشتمل القرض على أمرك وملكت الطاعة.

ومن باب قوله صلى الله عليه وسلم (الْبُظُورُ بَيَّا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)^(١)

أخبرنا ابن الأخضر ويونس قالاً ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان، قال: سمعت ذا النون يقول:

« ثلاثة من أعلام الإلطاء بالله:

« الهرب إليه من كل شيء.

« وسؤال كل شيء منه.

« والإدلال في كل وقت عليه.

الإلطاء: الملازمة للشيء، والمثابرة عليه يقال: ألطّ بالشيء يلطّ إلطاءً إذا لازمه وثابر عليه. وقوله (عليه السلام):

(١) حديث: (الْبُظُورُ بَيَّا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) ومعنى ذلك: الرموه وانسوا عليه في الدعاء، وأكثروا من ذكره. رواه الترمذي عن أنس، ورواه أحمد بن حنبل، والنسائي والحاكم عن ربيعة بن عامر رضي الله عنهما. أورده السوطي في جامع الأحاديث، ٢٨/٢ رقم (٣٩٨٣).

«ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام».

يقول: الزموا وثابروا عليه وأكثروا من قوله، كذا فشره الهروي أحمد بن محمد بن محمد في شرح الغريين له في باب اللام مع الظاء.

ومن باب الحياء

وبالإسناد قال:

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الحياء.

« وزن الكلام قبل التفؤده به.

« ومجانبة ما يحتاج إلى الاعتدال منه.

« وترك إجابة السفية حياءً عنه.

ومن روايته في هذا الباب

نما رويناه عنه بالإسناد قال ذو النون: الحياء من الله هو ما قاله الرسول (صلى الله عليه وسلم):

«أن لا تنسى المقابر والبلى وأن تحفظ الرأس وما حوى، وأن تترك زينة الدنيا»^(١).

أخبرنا محمد بن قاسم بن عبد الكريم القاسي، الحافظ أبو طاهر السلفي بالإسكندرية، ثنا القاسم بن الفضل الشافعي، ثنا أبو عبد الرحمن الشافعي قال: سمعت الفرج الورثاني يقول: سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب، يقول: حدثني محمد بن عبد الملك قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك.

وخرج ابن خميس تاج الإسلام في المناقب عن ذي النون أنه قال:

لله عباداً تركوا الذنوب استحياءً من كرمه بعدما تركوه خوفاً من عقوبته، ولو قال لك اعمل ما شئت فلست آخذك بذنب كان ينبغي أن يزيدك كرمه استحياءً من كرمه، وترك المعصية إن كنت محرراً كرمياً عبداً شكوراً فكيف وقد حذر.

(١) حديث الحياء: رواه الترمذي في القيامة، ١٧، ٢٤، وأحمد بن حنبل في مسنده، ٢٨٧/١، انظر المعجم المفهرس، مادة

ومن باب الحب في الله والصحبة

ما حدثنا به أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ثنا محمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالاً: ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الحب في الله:

« بلذ الشيء نصفاء الود.

« وتعطيل الإرادة لإرادة الأخ للسخاء بالنفس.

« والمشاركة في محبوه ومكروهه بصحة العقد.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي قال: ثنا ابن عبد الكريم بن هوازن عن أبيه قال: قال ذو النون: لا تصحب مع الله تعالى إلا بالموافقة، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالخالفه ولا مع الشيطان إلا بالعداوة.

وبالإسناد:

وقال رجل لذي النون مع من أصحب فقال مع من إذا مرضت عادك، وإذا أذيت تاب عليك.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا ابن عبد الباقي، ثنا حماد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قرئ على أبي الحسين أحمد بن محمد بن عيسى الرازي سمعت يوسف ابن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: بصحبة الصالحين تطيب الحياة، والخير مجموع في القرنين الصالح، إن نسبت ذكرك وإن ذكرت أعانك.

ومن باب الصدق

ما حدثنا به يونس بن يحيى عن ابن عبد الباقي، ثنا الفضل، ثنا نعيم، ثنا محمد بن أحمد البغدادي قال: سمعت علي بن محمد قال: قال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول: الصدق سيف الله في أرضه ما وضعه على شيء إلا قطعه.

أخبرنا يونس بالإسناد عن أبي نعيم، ثنا عثمان بن محمد العثماني، قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي، سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

المتصنع يُبدي غير الذي هو به، والصادق لا يبالي على أي جنب وقع.

حدثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا محمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالاً: ثنا حماد بن أحمد،

ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان
قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام الصدق:

« ملازمة الصادقين.

« والسكون عند نظر المتفرسين.

« ووجدان الكرامة لاطلاع الخلق على السرائر استقامة على الحق سرّاً وجهراً لإيثار رب
العالمين.

ذكر ابن خميس في المناقب عن ذي النون قال:

قيل له: ما علامة الصادق؟ فقال:

لسان مخزون ولسان بالحق موزون.

وقيل له: هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل؟ فقال:

قَدْ بَقِيتَا مُذْذَبِيبَيْنِ خِيزَى نَطَلْتُ الصَّدْقَ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

قَدْ عَاوَى الْهَوَى تَخَفْتُ عَلَيْنَا وَخِلَافَ الْهَوَى عَلَيْنَا ثَقِيلُ

وقال أيضاً رضي الله عنه: الصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليه.

ومن باب الأدب

ذكر تاج الإسلام أبو عبد الله بن خميس على ما أخبرتنا ابنته بالموصل أن ذا النون المصري
قال: إذا خرج المريد عن استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء، قال: وقال ذو النون أيضاً:
أدب العارف فوق كل أدب لأن معرفته مؤدب قلبه.

ومن باب الفتوة

ما حدثنا به يونس بن يحيى، ثنا ابن نصر، وحمد بن أحمد، ثنا أبي، ثنا أحمد بن عبد الله،
ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام المروءة:
« إطعام الضعفاء.

« وإفشاء السلام.

« ونشر الحسن.

وقد تقدم في باب محنته حديث ساقى الماء ببغداد.

ومن باب التفرد والعزلة والخلة

ما حدثنا به عبد العزيز بن الأخضر، أنبأ أبو بكر بن الغزال، ثنا أبو الفضل أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا أبو الحسن بن مقسم، قال: سمعت الحسين بن علي بن خلف يقول: سمعت إسرافيل يقول: سمعت رجلاً يسأل ذا النون متى تصح عزلة الخلق فقال: إذا قويت على عزلة النفس.

ولو اعتزل عن نفسه لوصل إلى المطلوب، وما احتاج إلى العزلة عن الخلق.

روينا: عن أبي يزيد البسطامي^(١) الأكبر أنه قال في بعض مناجاته: يا رب كيف الوصول إليك. فقيل له: اترك نفسك وتعال.

ومن اعتزل عن نفسه فقد اعتزل عن كل ما سوى الله، وهو فيهم وبينهم فإنها الحجاب الأقرب، والبرزخ بين الخلق وبين الله.

أخبرنا عبد الرحمن بن علي، ثنا محمد بن ناصر، أنبأنا أحمد بن علي بن خلف، ثنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت أبا عثمان سعيد بن عثمان الخياط قال: سمعت ذا النون.

وحدثنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا الحسن بن أبي الحسن البصري، ثنا محمد بن يحيى بن آدم^(٢)، ثنا أبو إسحق إبراهيم الخواص^(٣) قال: سمعت ذا النون - والسياق لإسحاق - يقول:

لم أر شيئاً أبعد لطلب الإخلاص من الوحدة لأنه إذا خلا لم ير غير الله.

فإذا لم ير غير الله لم يحركه إلا خشية الله، ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص،

(١) أبو يزيد، طيفور بن عيسى بن سروشان، وكان جده سروشان مجوسياً فأسلم، كان أبو يزيد، رضي الله عنه من كبار الأقطاب بل كان قطب وقته، وأشد الحديث، كان يقول: اعرف الواصل بعبده في الحال، والعابد بعبده بالخال، توفي رضي الله عنه سنة ٢٦٦ هـ وقيل غير ذلك.

انظر ترجمته في: أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣٣/١٠، القشيري: الرسالة، ١٧، الشعرائي: الطبقات، ١٨٩/١، ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٨٩/٤، ابن العباد: شذرات الذهب، ١٤٣/٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٥/١١، السلمي: الطبقات، ٦٧، الشاذلي: الكواكب الدرية، ٤٤٢/١، مزكين: تاريخ التراث العربي، ٤٤٩/٢، طبعة القاهرة ١٩٧٩، (محمد بن يحيى بن آدم) لم ألق علي ترجمة محمد أما أبو فهو يحيى بن آدم بن سليمان أبو زكريا الكوفي. انظر ترجمته في طبقات المفسرين، ٣٦٢/٢.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص القتيبي المتوكل، صاحب الحال المشهور والمذكر المشهور، كانت له أقوال عالية وأحوال شتى، توفي سنة ٢٩١ هـ.

انظر ترجمته في: الشعرائي: الطبقات، ٨٣/١، أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣٦٥/١٠، السلمي: طبقات الصوفية، ابن الجوزي: صفة الصفوة، ٨٠/٤.

وامتسك بركن كبير من أركان الصدق، انتهى حديث عبد الرحمن إلى قوله بعمود الإخلاص والذي بعده من حديث يونس وقال عبد الرحمن حكيم ولم يقل خشية، وقال يونس خشية وهو أئبن وحكم أفقه.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين، وذكر بمثل حديث إسماعيل في أول الباب.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول: ثلاثة من أعلام الانقطاع إلى الله تعالى:

«تقويم العلم.

«وتلقين الحلم.

«وتأليك الفهم.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي سمعت يوسف بن الحسين يقول قلت لذي النون: دُلّني على الطريق الذي يؤدي إلى الله عز ذكره فقال: من أئس بالخلوة فقد استمكن من بساط الفراغ.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد، حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال:

قلت لذي النون: متى أستحق ترك الجمع؟

يعني: العزلة عن الخلق، والتفرد بالله.

قال: إذا عرفت أنك متقول إلى معاد فإنك مأخوذ بثبغات العباد.

بالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، أخبرنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه وقد رأيته، وحدثني عنه عثمان بن محمد قال: سمعت عبد الله بن محمد بن ميمون بن محمد قال: سمعت ذا النون يقول:

التفرد بالله الاتقطاع إليه من كل شيء سوى الله. وفي هذا تنبيه على الأسماء حيث قال:
سوى الله ولم يقل سواه.

ومن باب العطف

ما حدثنا به أبو الفرج إجازة، ثنا المحدثان بن ناصر وابن عبد الباقي، قالوا: ثنا أحمد بن
أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد بن عيسى، ثنا يوسف بن الحسين قال:
سمعت ذا النون يقول:

من الخيال أن يحسن منك الظن، ولا يحسن منه المن.

ومن باب الحياة

ما حدثنا به يونس بن يحيى، ثنا ابن ناصر وابن أبي منصور قالوا: ثنا أبو الفضل بن أحمد،
ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة عن سعيد بن عثمان قال: قال ذو
النون: ثلاثة من أعلام الحياة:

« وجدان الأنس بفقدان الوحشة.

« والامتلاء من الخلو بإدمان التذكر.

« واستشعار الهيبة بخالض المراقبة.

ومن باب الغنى

وبالإسناد:

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الاستغناء بالله:

« التواضع للفقراء المتذللين.

« والتعظيم على الأغنياء المتكثرين.

« وترك المحاضرة لأبناء الدنيا المتكبرين.

ومن باب التسليم

وبالإسناد:

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام التسليم:

« مقابلة القضاء بالرضا.

« والطير عند البلاء.

« والشكر عند الرخاء.

ومن باب الرضا

وبالإسناد:

قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الرضا:

« ترك الاختيار قبل القضاء.

« وفقدان المرارة بعد القضاء.

« وهيجان الحب في حشو البلاء.

وحدثنا به أيضاً عبد الوهاب بن علي، عن ابن عبد الكريم عن أبيه، خرّجه في الرسالة له.

ومن باب المراقبة

ما حدثنا به محمد بن قاسم والمسعودي بمصر، والغامي، والأستاذ عبد الكريم قال:

قال ذو النون: علامة المراقبة:

« إظهار ما أثر الله تعالى.

« وتعظيم ما عظم الله سبحانه.

« وتصغير ما صغر الله.

ومن باب الهيبة والأنس

ما حدثنا به عبد العزيز بن الأخضر: ثنا ابن عبد الباقي أبو بكر، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

ثلاثة من أعلام الأنس بالله تعالى:

« استلذاذ الخلوة.

« والاستيحاء من الصحة.

« واستحلاء الوحدة.

وبالإسناد:

وعن سعيد قال: قيل لذي النون: يا أبا الفضل ما علامة الأنس بالله قال:

إذا رأيته يؤنسك بخلقه، فإنه يوحشك من نفسه، وإذا رأيته يوحشك من خلقه، فإنه يؤنسك من نفسه.

وبالإسناد:

وقال سعيد قيل لذي النون: متى يأنس العبد بربه قال:
إذا خاف أنس به، أما علمتم أنه من واصل الذنوب نُحِّي عن باب المحبوب.

وبالإسناد:

قال سمعت ذا النون يقول:

المستأنس بالله في وقت استئناسه يستأنس بجميع ما يرى، ويسمع، ويحس به في ملك ربه ويستأنس بالذر فما دونه وبها به. قال:

قال عبد الله بن خلف: ذكرت ذلك لأحمد بن أبي الحواري^(١) فقال: صدق أبو الفيض كذلك أيضاً حال المحب كمال المستأنس لأنه لا يقع بصره على مثلك محبوبه على شيء إلا كان حب المحبوب موجود فيه. ذكر هذا ابن ياكويه الشيرازي.

وبالإسناد:

عن محمد بن عبد الله أنبأنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وقد رأيته.
وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني قال: سمعت عبد الله بن محمد بن ميمون قال:
سمعت عبد الله بن محمد سمع ذا النون يقول:
الأنس بالله من صفاء القلب مع الله.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت العباس بن يوسف يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول:
من أنس بالخلوة فقد استمكن من بساط الفراغة.

(١) أحمد بن أبي الحواري) كنية: أبو الحسن، وأبو الحواري اسمه ميمون، من أهل دمشق. صاحب أنا سليمان الداراني، وغيره من المشايخ مثل سعياد بن عينة، وغيره أسند الحديث، وكان من كبار الصوفية في عصره ورعاً وزهداً. مات رضي الله عنه سنة ٢٣٠ هـ. كان يقول: (من نظر إلى الدنيا نظر زيادة حُب لها، أخرج الله نور اليقين من قلبه). انظر ترجمته في: أبو نعيم: حلية الأولياء، ٥/١٠، ابن الجوزي: صفة الصفوة: ١٢/٤، الشيرازي: الطبقات الكبرى، ١/ ٩٦، القشيري: الوسائل، ٢١، ابن العماد: شذرات الذهب، ١١/٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٤٨/١٠، السلمي: طبقات الصوفية، ٩٨، المازي: الكواكب الدرية، ٣٥٢/١.

وبالإستاد:

عن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن محمد، قال: قال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول:

أدنى منازل الأنس أن يُلقَى في النار فلا يغيب همه عن مأموله.
وذكر ابن خميس عن ذي النون أنه قال: الأنس بالله نور ساطع، والأنس بالخلق هم واقع.

ومن باب حسن الظن

قال ذو النون: مُحال أن تحسن ظنك بالله تعالى؛ ولا تحسن منه عليك.

قال الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي»^(١).

حدثنا يونس بن يحيى قال: ثنا ابن ناصر ويحيى بن أبي منصور قالوا: ثنا حَمْدُ بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد، ثنا سعيد الحياط قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام حسن الظن بالله:

:: قوة القلب في العثرة.

:: وفسحة الرجاء في الدلة.

:: ونفي الأيأس بحسن الإنابة.

وذكر تاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر من رواية ذي النون في هذا الباب قال: قال ذو النون:

كان في جوارِي شاب مُشْرِفٌ على نفسه كثير الخطايا فاعْتَلَّ عِلَّةٌ فَدَخَلْتُ عليه أَعُوذُهُ فإذا هو قد مات وأوصى أن يكتب على قبره شيءٌ ذكره فرأيتُه في منامي، فقلت: له، ما فعل الله بك؟

فقال: غفر لي، فقلت: بماذا؟

(١) حديث (أنا عند ظن عبدي بي)، رواه البخاري في كتاب التوحيد باب (ويحذركم)، وأخرجه مسلم ثلاث طرق عن أبي هريرة، وأخرجه الترمذي باب حسن الظن بالله وقال: حديث حسن صحيح وأخرجه ابن ماجه في سننه ٢١٨/٢ باب فضل الذكر، وباب في فضل العمل ٢٢٣/٢ وشرحه القسطلاني.

انظر الأحاديث أرقام (٤٥١، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٥٠١)، من الأحاديث القدسية ١/١٦٢. ورواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر كلهم عن وثيقة رضي الله عنه هكذا أوردته السيوطي في جامع الأحاديث، تحت رقم (٥٦٤٠)، ٣٥٥/٢، تحت رقم (٦٩٣٧)، ٦٢٢/٢.

فقال: فكرت في حُرْمِي في عَفْوهِ فوجدت عَفْوَهُ أَكْبَرُ من جُرْمِي.

قال ذو النون: فلما أصبحت جئت إلى قبره فإذا عليه مكتوب:

حَسَنُ ظَنِّي بِكَ يَا رَبُّاهُ جَزَأَنِي عَلَيْكَ فَارْحَمِ اللَّهُمَّ عَبْدًا صَارَ زُهْنًا فِي يَدَيْكَ

ومن باب المحبة والود

ذكر تاج الإسلام عن ذي النون من حديث يوسف بن الحسين قال يوسف:

كنت عند ذي النون فجاءه رجل وقال له: رأيت أبا يزيد البسطامي فقيل له: أنت أبو يزيد فقال: ومن أبو يزيد يا لئني رأيت أبا يزيد فبكى ذو النون وقال: إن أخي أبا يزيد فقد نفسه في حب الله تعالى؛ فصار يطلبها مع الطالبيين لها.

هذا من باب الفناء في المحبة لا في الحبيب لأن الفناء في الحبيب مشاهدة وبهت ليس فيها طلب وقلبه مع الحبيب ونفسه في المحبة.

وذكر تاج الإسلام عن ذي النون أنه قال:

الحُب ينطق، والحياة تُشكك، والخوف يقلق، والحب بين هذه الثلاثة، هالك. وهذا من باب تعب المحب.

وأما ما يتعلق بحزن المحبة

فما ذكره تاج الإسلام جاء رجل إلى ذي النون فقال له: ما بال المخزون إذا تكامل حزنه لا تجري دمعته فقال:

إذا رَقَّ سَلا والله أحمد شجاً ثم أطرق ورفع رأسه وأنشد يقول:

إِذَا رَقَّ قَلْبُ الْمَرْءِ دُرَّتْ جُفُونُهُ	دموعاً له فيها سلو من الكمد
وإن كثم الأشجان من طول حزنه	علاء اضفراؤ اللون في الوجه والجسد
وأحمد حال الخائفين مقامهم	على كمد يضيئ النفوس مع الكبد
لعمرك ما لذ المطيعين لذة	ألد وأخلى من مُتاجاة مُشفرِد

وذكر تاج الإسلام عن ذي النون أنه قال: كل محب أحبه الله تعالى: فالله هو المحب له.

ومن كلامه في دلائل الحب

ما حدثنا به عبد الوهاب بن علي بن علي بيغداد، ثنا ابن عبد الكريم بن هوازن قال: ثنا أبي قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت سعيد بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت محمد ابن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون المصري يقول:

من علامات الخُب لله:

«متابعة حبيب الله (صلى الله عليه وسلم) في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسُننه.

قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(١).

أي قل: يا محمد.

أخبرنا يونس بن يحيى بن أبي الحسن الهاشمي بمكة تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة سنة تسع وتسعين وخمس مائة، ثنا ابن الغزال أبو بكر، قال ثنا حمد بن أحمد بن الحداد، قال ثنا الحافظ أبو نعيم، قال ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد، ثنا الحياط قال: قال ذو النون؛ ثلاثة من أعلام المحبة:

«الرضا في المكروه.

«وحسن الظن به في الجهول.

«والتحسين في الاختيار في المخلود.

ومن كلامه في عز الخُب واستغنائه بمحبوبه

أخبرنا ابن الأخضر عن ابن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون يقول (رحمة الله عليه):

قل لمن أظهر حب الله، احذر أن تذل لغير الله؛ ومن علامة الخُب لله، أن لا تكون له حاجة إلى غير الله، هذا من باب الغيرة.

ومن كلامه في الفرق بين الود والحب

حدثنا ابن اسماعيل، ثنا أبو الفرج إجازة، ثنا محمد بن تاجر وابن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى، ثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول:

الحب لله عام، والود لله خاص. لأن كل المؤمنين يذوقون حبه وينالونه وليس كل مؤمن ينال وده.

وأنشدنا يقول:

(١) سورة آل عمران، الآية رقم (٣١).

مَنْ ذَاقَ طَعْمَ الْوِزَادِ جَفَا جَمِيعَ الْعِبَادِ
وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَ الْوِزَادِ شَكَا طَرِيقَ الْبِعَادِ
وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَ الْوِزَادِ قَلَى لَبِيدَ الرُّقَادِ
وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَ الْوِزَادِ آتَسَ بِرَبِّ الْعِبَادِ
وبالإستاد:

عن عثمان قال: سمعت أحمد بن عبد الله بن سليمان الدمشقي^(١) يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن خلف بن ضوء الرقي يقول: سمعت اسحاق بن إبراهيم بن عبد الله الصوفي يقول: سئل ذا النون المصري عن الحية فقال: هي التي لا يريدها منفعة ولا يبتغيها مضرة. ثم أنشأ يقول:

شَوَاهِدُ أَهْلِ الْحُبِّ بَادٍ ذَلِيلُهَا
جُسُومٌ قَدْ أَضَاهَا الْحُبُّ وَالرِّضَا
إِذَا بَاعَتْ الْأَفْهَامُ أَنْسَ نُفُوسَهُمْ
وَضَجَّتْ نُفُوسُ الْمُسْتَهَامِينَ فَاشْتَكَتْ
يَحْتَوُونَ حَزَنًا ضَاعَفَ الْحُزْنَ شَجْوَهُ
وَسَارُوا عَلَى نَجَبِ الرَّشَادِ إِلَى الْعُلَى
فَخَطُّوا بِذَارِ الْقُدُسِ فِي عَجْرِ مَنْزِلِ
بِأَعْلَامِ صِدْقٍ مَا يَحِيلُ سَبِيلُهَا
يَبِينُ عَنْ صِدْقِ الْوِزَادِ نَحْوُهَا
بِأَلْسِنَةٍ تُخْفِي عَلَى النَّاسِ قِيْلُهَا
جَوَى كَادَ عَنْ أَجْسَامِهَا يَسْتَزِيلُهَا
وَنِيرَانُ شَوْقٍ كَالشَّعِيرِ غَلِيلُهَا
يُؤْمُ بِهِمْ تَقْوَاهُ إِذْ هُوَ ذَلِيلُهَا
وَفَارَ بِزُلْفَى ذِي الْجَلَالِ حُلُولُهَا

أخبرنا يونس بن يحيى ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا الخافض، ثنا محمد بن أحمد البغدادي. حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال: قلت لذي النون: متى يتم حبي لربي؟

قال: إذا شجعت الدنيا في عبك وقدفت أملك فيها بين يديك. هذا رُحْدُ الْحُبِّ لَا رُحْدُ الْعُوضِ.

قلت: فمتى أحب ربي؟

قال: إذا كان ما أسخطه عندك أمر من الصبر، وهذا أيضاً من استعداد البلاء للمحبة لا لغيرها.

قلت: فمتى أحب لقاء ربي؟

قال: إذا كنت تقدم على حبيب وتصبر عن أمر قريب، هذا من باب فرح الحية.

(١) أحمد بن عبد الله بن سليمان الدمشقي، الرازي القفطان، روى عن محمد بن عبد الطنافسي، وروى عنه أبو القاسم أيوب بن سليمان بن داود الرازي.

انظر ترجمته في: تاريخ بغداد، ٢١٥/١، السلمي: طبقات الصوفية، هامش ٨٧.

قلت: فمتى أوثر الله ولا أوثر عليه سواه؟

قال: إذا أبغضت فيه الحبيب، وجائبت فيه القريب، هذا من إثار المحبة لا غيرها.

قلت: فمتى أفرغ إلى ذكره وأنس بشكره؟

قال: إذا سررت ببلائه وفرحت بنزول قضائه، هذا ذكر المحبة وأنسها.

أخبرنا ابن الأخضر عبد العزيز، يحيى بن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري^(١)، ثنا الحسن بن رشيق، ثنا علي بن يعقوب ابن شوييد الوراق^(٢)، ثنا محمد بن إبراهيم البغدادي، ثنا محمد بن سعيد الخوارزمي^(٣) قال: سمعت ذا النون مثل عن المحبة: فقال:

« أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وأن لا تخاف في الله لومة لائم مع العطف للمؤمنين والغلظة للكافرين، واتباع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الدين.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي، ثنا ابن عبد الكريم، ثنا أبي قال: قال بعضهم كنا عند ذي النون فتذاكرنا المحبة فقال ذو النون:

كفوا عن هذه المسألة لئلا تسمعها النفوس فتدعيها.

ثم أنشأ يقول:

الخرف أولى بالمسيء إذا تأله والحزن والحب يحمل بالثقي وبالثقي من الدرن

ومن باب الشوق

ذكر تاج الإسلام قال: ذكر الشوق عند ذي النون فقال:

الشوق لا يسكن جارحة إلا تركها رميماً ثم قال: ولقد حدثت امرأة من أهل الموصل كانت تقول: كل لساني عن ذكر كل شيء خالطه غيرك. ثم تنفس ذو النون فقال:

(١) محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري، هو نفسه أبو عبد الرحمن السلمي وتقدمت ترجمته.

(٢) علي بن يعقوب بن شوييد الوراق، قال ابن عبد البر: يسوسه إلى الكذب، وقال الذهبي: هو شيخ مصري حدث عنه الحسن بن رشيق، قال أبو سعيد بن بونس: كان يضع الحديث.

انظر: الذهبي: ميزان الاعتدال، ٢٤١/٣، السلمي: طبقات الصوفية، هامش ١٨.

(٣) محمد بن سعيد الخوارزمي، تحدث الإخباري، من آثاره: أخبار خوارزم، توفي رحمه الله سنة ٣٦٩هـ.

انظر: كحالة: معجم المؤلفين، ٢٩/١ - النصفدي: الوافي بالوفيات، ١٠٤/٣.

ما العيش عندي إلا عيش المشتاقين، لأنهم ما داموا محبين مجردين عن لباس الشوق فهم مكبودون حتى إذا تدرعوا بجلع الشوق طاشت همومهم ورتعوا في رياض السرور ورفعت عنهم المكابدات فعاشوا بروح الله في أعظم القدر.

أخبرنا يونس بن يحيى بمكة، ثنا ابن ناصر، ثنا أبو الفضل، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الشوق:

« حُبُّ الموت مع الراحة.

« وبُغْضُ الحياة مع الدُّعة.

« ودوام الحُزْن مع الكِفَاية.

أخبرنا ابن اسماعيل، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا المحدثان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا: ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي، حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال:

قلت لذي النون: متى اشتاق إلى ربي؟

قال: إذا جعلت الآخرة لك قراراً ولم تشم الدنيا لك مشكناً وذاراً.

ومن باب السماع

ما حدثنا به محمد بن عبد الكريم، ثنا أحمد بن محمد بن أحمد، ثنا الثقفى، ثنا أبو عبد الرحمن السلمى، قال: سمعت عبد الواحد بن بكر، يقول: سمعت أحمد بن محمد بن يعقوب يقول: سمعت محمد بن عبد الله الخواص يقول سمعت ذا النون يقول ومثل عن السماع فقال:

رسول حق جائر يزعم إلى حق فمن أصغى^(١) إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي ببغداد، ثنا ابن عبد الكريم، عن أبيه، قال: قال ذو النون، وقد مثل عن الصوت الحسن: هو مخاطبات وإشارات أودعها الله كل طيب وطيبة.

أخبرنا محمد بن اسماعيل، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ثنا المحدثان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا: ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن

(١) ما بين المعطوفين زيادة يقتضيها السياق.

عبد الله القرشي، ثنا محمد بن خلف قال: سمعت إبراهيم بن عبد الله النصوفي يقول: سئل ذا النون عن سماع العظة الحسنة والنعمة الطيبة.

فقال من أمير العين في مقاصير قدس بالخان توحيد في رياض تمجيد بمطر باب الغواني في تلك المغاني المؤدية بأهلها إلى النعيم الدائم ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾^(١).
ثم قال: هذا طعم الخبر فكيف طعم النظر.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا أبو الفضل، ثنا الخافظ، ثنا عثمان بن محمد. قال: قرئ علي أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي، سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: بخسن الصوت تستمال أعنة الأبصار.

ومن باب الوجود

أنبا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان، قال: قال ذو النون: ثلاثة من أعلام الصواب:

« الأنس به في جميع الأحوال.

« والشكوك إليه في جميع الأعمال.

« وحب الموت بغلبة الشوق من جميع الأشغال.

ومن باب الكمال

وبالإسناد:

قال: وثلاثة من أعلام الكمال:

« ترك الجولان في البلدان.

« وقلة الاعتباط للعمل عند الامتحان.

« وصغر النفس في السر والإعلان.

ومن باب الحكم

قال ذو النون: إن الله أنطق اللسان بالبيان، وأفتح بالكلام وجعل القلوب أوعية العلم، ولولا ذلك لكان الإنسان بمنزلة البهيمة يومئ بالرأس ويشير باليد.

(١) سورة القدر الآية رقم (٥٥).

ذكر ذلك ابن خميس

وأخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا محمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالوا ثنا حفص بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام الحكمة:

« إنزال النفس من الناس منزلتها عندهم.

« وإنزال الناس من النفس كما ظنهم.

« ووعظهم على قدر عقولهم ليقوموا عنه بتفجع حاضر.

قوله: كما ظنهم يقول: كما هم عند أنفسهم طلياً للسلامة ورغبة في الاستمكان منهم، فيورثك ذلك تعظيماً في قلوبهم يوجب لك التحكم فيهم.

أخبرنا الهكري، وعبد الوهاب قال عبد الوهاب عن ابن عبد الكريم عن أبيه، عن محمد بن الحسين، عن أبي العباس البغدادي عن ابن سهل، عن سعيد، عن ذي النون أنه قال:

الحكمة تورث النظر في العواقب.

أخبرنا محمد بن قاسم، ثنا أحمد بن محمد بن أحمد، ثنا الثقيفي، ثنا أبو عبد الرحمن السلمي. قال: سمعت علي بن عمر الحافظ يقول:

سمعت النقاش، يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون يقول: من جهل قدره هلك ستره.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا محمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد قال: سمعت ذا النون يقول: أكثر الناس إشارة إلى الله في الظاهر أبعدهم من الله، وأرغب الناس في الدنيا وأخفاهم له حلياً أكثرهم لها ذمّاً عند طلابها، ولا سيما إذا ذمت الدنيا حرفة لها.

وبالإستاد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن أحمد، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى، قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

من وجد فيه خمس خصال رُحِّت له السعادة، ولو قبل موته بساعة. قيل: وما هي؟ قال: « استواء الخلق وخفة الروح.

« وغزارة العقل.

« وصفاء التوحيد.

« وطيب المؤلّد.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله ثنا أحمد بن محمد بن مقسم، ثنا الحسن بن علي بن خلف^(١) قال: سمعت إسرافيل يقول سمعت ذا النون يقول - وقد وقف عليه رجل فسأله شيئاً فقال له ذو النون -:

إن المتكفل برزقك غير مبهم عليك.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج، ثنا الحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالاً: ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، ثنا عمر بن يحيى الأسدي^(٢)، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا^(٣) قال: قال بعض المتعبدين هو عبد الصمد صاحبه.

ذكر ذلك تاج الإسلام.

وأخبرنا أبو الشتاء محمود، ثنا تاج الإسلام وكل واحد يريد على صاحبه قال ابن خميس يقال إن هذا عبد الصمد^(٤) كان من الأبدال فقال عبد الصمد: يا أبا الفيض رحمك الله، وقال

(١) الحسن بن علي بن خلف القاسبي، ولد يوم ٦ رجب سنة ٣٢٤ هـ وتوفي رضي الله عنه سنة ٤٠٣ هـ ترك عدداً من المؤلفات المهمة في الفقه منها: المنهاج في القوط، وأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين.

انظر ترجمته في بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ٢/٢٣٠، ابن العماد: شذرات الذهب، ٣/١٦٨، طبقات الحفاظ، ٤/٢٧٩، ابن حليكان: وفيات الأعيان، ترجمة رقم ٤١٩.

(٢) عمر بن يحيى الأسدي هو: أبو حفص عمر بن محمد بن يحيى الهمداني السمرقندي محدث ما وراء النهر، وصاحب الصحيح والتفسير. ولد سنة ٢٢٣ هـ وكان والده صاحب حديث ورحلته كان ابن يحيى فاضلاً، توفي سنة ٣١١ هـ قبل صلاة الفجر.

(٣) انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٢/٧١٩، اللؤدي: طبقات المفسرين، ٢/٩٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٣/٢٠٩. (أبو بكر بن أبي الدنيا) عبد الله بن محمد بن عبد بن سفيان بن قيس القرشي الأموي مولاهم، البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا (أبو بكر) الحافظ، المحدث، المشارك في أنواع من العلوم سجع سعيد بن سليمان، وحلف بن هشام الزمار، وروى عنه محمد بن خلف الحريري، ووكيع وغيرهم. توفي ببغداد سنة ٢٨١ هـ ترك عدداً كبيراً من المؤلفات مثل الفرج بعد الشدة، وقيام الليل، ومكارم الأخلاق وغيرها.

(٤) انظر ترجمته في: كحالة: معجم المؤلفين، ٦/١٣١، الخفيل: تاريخ بغداد، ١٠/٨٩، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٢/٦٧٧، المسعودي: مروج الذهب، ٤/٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٣/٨٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/٧١، النوري: تهذيب الكمال، ١٠/٥٠٤، ترجمة رقم (٣٥٢٥).

(٤) عبد الصمد لم أقف عليه.

أبو الفرج في حديثه: كنت مع ذي النون المصري بمكة، فقلت له: يرحمك الله لِمَ يفطر الحاج في مكة؟

قال: لأنهم أضياف الكرم، والكريم لا ينزل ضيفه جوعاً، يريد يوم عرفة، وكذلك قال له: فليَم كره الصوم أيام التشريق؟

قال: لأن القوم زاروا الله وهم في ضيافته ولا ينبغي للضيف أن يصوم عند من أضافه، قوله: زاروا الله، يعني طواف الزيارة.

فقال له: فليَم يتعلق الناس بأستار الكعبة؟

فقال: هذا مثل السيد يكون عليك غضبان، فإذا ركب أخذت بطرف ثوبه أو بحقوقه حتى يرضى فجعلت الكعبة وأستارها مثلاً للسيد.

وقال أبو الفرج في حديثه: هو مثل الرجل يكون بينه وبين أخيه جنابة فيتعلق بثوبه ويستحذي له ويتضرع إليه ليهب له جرمه وجنابته.

ثم قال له: يا أبا الفيض فليَم يطوف الناس حولها؟

فقال له: مثل ما قالت الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾^(١).

فكأنه كان اعتراضاً ثم ندمت على ما قالت فاجتمعت الملائكة وطافت حول العرش فلم تزل تدعو وتتضرع حتى جاءها العفو من الله تعالى.

قال ابن عباس فأمر الله عز وجل جبريل فقال: ابن لي بيتاً في الأرض، لأن في بني آدم من يجني الجنائيات فإذا عصوا وجنوا طافوا حول بيتي في الأرض فيتضرعون ويستغفرون ويتملقون أغفر لهم وأعفو عنهم كما عفوت عن الملائكة المقربين.

قال له: لِمَ صير الموقف بعرفة بالحل ولم يجعل بالحرم؟

فقال: لأن الكعبة بيت الله الحرام والحرام حجاب وعرفة باب فلما أن قصد الوافدون أوقفهم بالباب الأول، يتضرعون إليه حتى إذا أذن لهم وقفهم بالحجاب الثاني، هو المزدلفة. فلما نظر إلى تضرعهم أمرهم بتقريب قربانهم، فلما قربوا قربانهم وقضوا نفثهم وتطهروا من الذنوب التي كانت لهم حجاً بدونه أمرهم بزيارة بيته على الطهارة.

(١) سورة البقرة، الآية رقم (٣٠).

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت أبا الفضل يقول: سمعت أبا عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول:

إن الله لم يمنع الجنة أعداءه بخلاً ولكن صان أوليائه الذين أطاعوه لئلا يجمع بينهم وبين أعدائه الذين عصوه.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد، ثنا محمد بن عبد الملك بن هاشم. قال: سئل ذو النون: ما لنا لا تقوى على النوافل؟ قال: لأنكم لاتصححون الفرائض.

وبالإسناد:

وقيل له: من أدوم الناس ذنباً؟ قال: من أحب دنياً فانية.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان وابن محمد بن عيسى الرازي. قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: حُرْمَةُ الْجَلِيسِ أَنْ تَشْرُهُ فَإِنْ لَمْ تَسِرْهُ فَلَا تَسْوَهُ. لِمَ يَكْسِبُ مَحَبَّةَ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ إِلَّا دَجَانٌ خَفِيفُ الْمُوَازَنَةِ عَلَيْهِمْ وَأَحْسَنُ الْقَوْلِ فِيهِمْ وَأَطَابُ الْعَشْرَةِ مَعَهُمْ.

وبالإسناد:

قال ذو النون:

صدور الأحرار قبور الأسرار.

وبالإسناد:

سئل ذو النون:

لِمَ أَحَبَّ النَّاسُ الدُّنْيَا؟ أَرَزَقَهُمْ فَمَدُّوا أَعْيُنَهُمْ إِلَيْهَا^(١).

(١) لعل السؤال هنا (لِمَ أَحَبَّ النَّاسُ الدُّنْيَا؟) والإجابة: (نَظَرُوا إِلَى قُلَّةِ أَرْزَاقِهِمْ فَمَدُّوا أَعْيُنَهُمْ إِلَيْهَا).

وبالإسناد:

قال: سمعته يقول: الكئيب من بادر بعلمه، وسوّف لأمله واستعد لأجله.

ومن باب المعرفة والمعارف

ما ذكره ابن خميس عن ذي النون أنه قال:

سبحان من حجب أهل المعرفة عن جميع خلقه، حجبهم عن أبناء الدنيا بأستار الآخرة، وعن أبناء الآخرة بأستار الدنيا.

وحدثنا أبو الثناء قال أتى تاج الإسلام بسنده إلى ذي النون أنه قال:

نظرت في هذا الأمر فنظرت رأس الدين أن يعرف المرء نفسه، ونظرت فإذا معرفة الله تعالى أن يعرف العبد قدره، ونظرت فإذا أحد لا يصل إلى الله وعليه من غيره بقية.

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو بكر بن عبد الله الرازي المذكر بنيسابور قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري رحمة الله عليه يقول:

تدال المعرفة بثلاث:

« بالنظر في الأمور كيف دبرها.

« وفي المقادير كيف قدرها.

« وفي الخلائق كيف خلقها.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي ثنا ابن عبد الكريم عن أبيه عبد الكريم بن هوازن قال: سئل ذو النون المصري عن نفسه فقال:

من لا يعرف الله ولا يتعرفه.

أخبرنا يونس بن يحيى: ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان الخياط قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام المعرفة:

« الإقبال على الله.

« والانقطاع إلى الله.

« والافتخار بالله.

وبالاستناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن محمد، ثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول: العارف متلوث الظاهر، صافي الباطن، والزاهد صافي الظاهر متلوث الباطن.

وبالاسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال :
قال ذو النور:

لو أن الخلق عرفوا ذل أهل المعرفة في أنفسهم عند أنفسهم حثوا الثراث على رؤوسهم وفي وجوههم.

وقال رجل مريد كان حاضراً في المجلس فذكرت ذلك لطاهر المقدسي^(١) فقال: سقى الله أبو الفيض حقاً ما قال ولكني أقول: لو أمدى الله نور أهل المعرفة للزاهدين والعابدين والمحجوبين عنه بالأحوال لاحترقوا واضمحلوا وتلاشوا حتى كأن لم يكونوا.

قال الرجل: فلهجرت ذلك لأحمد بن أبي الحواري^(٦)، فقال: أما أبو الفيض عافاه الله فقال ذلك في وقت ذكره لنفسه، وأما طاهر فقال ذلك في وقت ذكره لربه، وكل مصيب والله أعلم.

وما أحسن ما فُضِّلَ ابنُ الحُواريِّ ولقد جرى لنا قريباً من هذه الحكاية، أعني من حالها في بدء أمري وذلك أني دخلت إيشينية على شيخنا أبي العباس العريضي رحمه الله.

فقال لي: يا بني عليك برئت، فخرجت من عنده مثل السكران من طيب إشارته أتمائلا، ودخلت على شيخنا أبي عمران موسى بن عمران المارثي⁽³⁾ بمسجد الرضا فسلمت عليه

١٧ (مؤلفه ابنة أبي) من حلة متداخلة عليه ومملوكة. في د. جود - ضربة، ومصحح حتى خلاه، وكان علامة، وهو الذي يسميه بشيخي آخر من بعده، ملك على عصفه فدا (مستند على حق بائع وحده، وتكثفها بتجائل لغتها). قال: حلة مرموقة جد من بغوي وسيرت بعد حلة، وجمع. نظر ترجمته في: أبو عبيد: حلة الأولياء، ٣١٧/١. الشعرى، الطبقات الكبرى، ١٠١/١، سبسي: طبقات الصوفية، ٢٧٥، جدي: نفحات الأنس، ٥٤٣، الماوي: الكواكب الدرية، ٥٦٥/١.

(۲) تقاضات زیر حجت است:

[illegible]

معهم إلى القدس.

فيشرني، وقال: يا بني عليك بنفسك فقلت له: يا سيدنا أنت تدلني على نفسي، وشيخنا أحمد يقول: عليك بربك فكيف العمل؟!!

فقال الشيخ: يا بني كل واحد منا ذلك على ما يقتضيه حاله في الوقت، والذي ذلك عليه الشيخ أبو العباس أولى والله يرزقي ذلك.

فرجعت إلى «العريني» فأخبرته فقال لي: يا حبيبي الوجهان صحيحان، تكلم أبو عمران في البداية والسلوك، ونهتكت أنا على الغاية المطلوبة حتى تكون في سلوكك رفيع المهمة عن ما سوى الله.

أخبرنا أبو انشاء محمود اللبان بالموصل، ثنا تاج الإسلام بسنده عن ذي النون أنه قال: تضاحكت الأشياء إلى أولياء الله تعالى: العارفين بأفواه القدرة من ملكها لما يرون من آثار صنعته فيها، ويعاينون من بدائع خلقه معها فلهم في كل شيء مذكر. وقال: حقيقة المعرفة اطلاع الحق على الأسرار بمواصلة لطائف الأنوار. وأنشد في المعنى:

لِلْعَارِفِينَ قُلُوبٌ يُغْرِقُونَ بِهَا نُورَ الْإِلَهِ بِسَرِّ السِّرِّ فِي الْحُجُبِ
صُمٌّ عَنِ الْخَلْقِ غُمِّي عَنْ مَنَظَرِهِمْ بَكُمُ عَنِ الثُّطُقِ فِي دَعْوَاهِ بِالْكَذِبِ

وقال أيضاً: حقيقة المعرفة تخلية السر عن كل إرادة وترك ما عليه العادة وسكون القلب إلى الله عز وجل بلا علاقة، وترك الالتفات منه إلى سواه.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر ببغداد سنة إحدى وستمائة. ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أحمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم. قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي بن خلف يقول: سمعت إسماعيل يقول: سمعت ذا النون يقول: إن سكث علم ما تريد، وإن نظقت لم تنل بطلقك ما لا تريد، وعلمك بعلمه بمرادك ينبغي أن يغنيك عن مسألته أو ينجيحك عن مطالبته.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال:

قال ذو النون: معاشر العارف كمعاشرة الله يحتمل عنك، ويحلم عنك تخلقاً بأخلاق الله الجميلة.

ثم قال: أهل الذمة يحتملون على الخلال المحمودة والمباح من الفعل فما الفرق بين الذمي والحنفي، بل الحنفي أولى بالحلم والصفح والاحتمال.

وبالإسناد:

قال: وسئل ذو النون: متى يجوز للرجل أن يقول أراني الله كذا وكذا؟
فقال: إذا لم تطلق ذلك.

وبالإسناد:

قال: سمعت ذا النون يقول: لا يزال العارف ما دام في دار الدنيا متردد بين الفقر والفخر فإذا ذكر الله افتخر وإذا ذكر نفسه افتقر.

زاد ابن خيس في هذا الحديث بعد قوله: افتقر ثم تأوه وقال: الله فخرنا وإليه فقرنا.

وبالإسناد:

قال: وسئل ذو النون: بما عرف العارفون ربهم؟

فقال: إن كان بشيء فيقطع، والأشراف منهم على اليأس مع التمسك منهم بالأحوال التي أقامهم عليها، وبذل المجهود من أنفسهم ثم إنهم ما وصلوا بعد إلى الله إلا بالله.

انظر ما ألفت إشارته رضي الله عنه في قوله: إن كان بشيء ثم ختم كلامه بما أشار إليه، وهو جواب الشرط على الحقيقة لا قوله فيقطع ثم تلتطف بالعبرة تنبيهاً على قول القائل: سبحانه من لم يجعل سبيلاً إلى معرفته إلا العجز عن معرفته وفي هذا الكلام بحار في علم التوحيد لا تُدرك قعورها ولا يتمكن لنا إيذاعها حذاراً من العمى الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴿١﴾.

وبالإسناد:

قال: وسمعت ذا النون وسأله رجل أي الأحوال أغلب على قلب العارف السرور والفرج أم الحزن والتهموم؟

فقال: أوصلنا الله وإياكم إلى جميل ما تؤمله منه. والعلم في هذا عندي والله أعلم، أنه ليس هناك حال يشار إليه دون حال، ولا سبب دون سبب، وأنا أضرب لك مثلاً أعلم رحمك الله أن مثل العارف في هذه الدار مثل رجل قد توج بثاج الكرامة، وأجلس على سرير في بيت، ثم

(١) سورة الروم: الآية رقم (٧).

نص كتاب الكوكب الثمري في مناقب ذي النون المصري

علق فوق رأسه سيف بشعرة، وأرسل على باب البيت أسدان ضاريان فالملك يشرف ساعة يعد ساعة على الهلاك والعطب فأثنى له بالسرور والفرح على التمام، وبالله التوفيق.

ورؤينا عن بعض المشايخ أنه قال في تفسير هذا المثل: السيف معلق فوق رأسه الأحكام، والأسدان اللذان على الباب الأمر والنهي.

ذكر هذا الشرح تاج الإسلام في كتاب المناقب له.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سألت ذا النون عن كمال المعرفة.

فقال: إذا كنت متعلقاً بالله في أحوالك لا بأعمالك، غير ناظر إلى سواه فأنت كامل المعرفة.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا ظفر بن الحسين، ثنا أحمد بن محمد بن الفضل، ثنا أبو الحسن الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون يقول:

لا يرى الله شيء فيموت كما لم يره شيء فيعيش لأن حياته باقية يبقى بها من يراها.

وبالإسناد:

عن ظفر، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سئل ذو النون ما أغلب الأحوال على العارف؟

قال: حبه واحب فيه ونشر الآلاء، وهي الأحوال التي لا تفارقه.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا أبو أحمد عاصم بن محمد الأبلبي.

قال: سمعت الفضل بن صدقة الواسطي^(١).

يقول سمعت ذا النون المصري يقول:

(١) (صدقة بن الفضل المروزي) الحافظ الكبير، وشيخ مرو. هكذا ورد في طبقات الحافظ للسيوطي وغيرها، روى عن أبي حمزة محمد بن ميمون السكري وسليمان بن عيينة وعبد الله بن وهب وغيرهم، وروى عنه البخاري والدارمي وأهل حراسان. توفي سنة ٢٢٦ هـ وقيل غير ذلك.

انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٢/٤٩٨؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ٢١٧.

إذا أطلع الخبير على الضمير فلم يجد في الضمير غير الخبير جعل فيه سراجاً متيراً.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد حدثني أبو محمد عبد الله بن سهل قال:

قلت لذي النون: متى أعرف ربي؟

قال: إذا كان لك جليساً ولم تر لنفسك سواه أنيساً.

قال: فيما تصلب معرفتي؟

قال: إذا استوحشت من الدنيا، واشتد فرحك بنزولك البلاء.

وبالإسناد:

في صفة العارف

عن أحمد بن عبد الله، قال سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت العباس بن يوسف يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول: من كان حظُّه من الأشياء هو لا يبالي ما فاتته مما هو دونه.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد قال: سمعت أبا جعفر الرازي يقول: سمعت العباس بن حمزة^(١) يقول: سمعت ذا النون يقول:

إن العارف لا يلزم حائّة واحدة إنما يلزم ربه في الحالات كلها.

وبالإسناد:

عن محمد قال: سمعت محمد بن إبراهيم الفارسي^(٢) يقول: سمعت ذا النون يقول: العارف كل يوم أخشع لأنه كل ساعة أقرب.

(١) العباس بن حمزة بن عبد الله بن آشوش، أبو الفضل البسابوري المواقظ، صاحب لسان وبيان، رحل في طلب الحديث، وسمع بدمشق أحمد بن أبي الحواري وصاحب ذا النون بمصر، كان يصوم النهار ويقوم الليل توفي رضي الله عنه في شهر ربيع الأول سنة ٢٨٨هـ.

انظر ترجمته في: تاريخ دمشق، ٣٦٢/١٩، السلمي: طبقات الصوفية، هامش ص ٢٥.

(٢) محمد بن إبراهيم الفارسي، أبو عمرو الزجاجي، البسابوري صاحب أبا عثمان، والحنيد، والنوري، والخواص، وغيرهم وأقام بمكة، وكان شيخ الصوفية بها، وحج مشيخ حجة، توفي سنة ٣٤٨هـ.

انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٣٥/١١، السلمي: طبقات الصوفية، ١٦٣.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي، ثنا عبد الكريم عن أبيه قال: سئل ذو النون عن العارف فقال: كان ها هنا فذهب.

سئل الجُنَيْد^(١) عن هذا الكلام فقال:

العارف لا يحصره حال عن حال، ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل، فهو مع كل أهل مكان بمثل الذي هم فيه، يجد مثل الذي يجدون، وينطق بمعانيها لينتفعوا.

وبالإسناد:

قال ذو النون: ركضت أرواح الأنبياء (صلى الله عليهم أجمعين وسلم تسليمًا) في ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا) إلى روضة الوصال.

أخبرنا محمد بن القسم، ثنا المسعودي، ثنا الغاثي، ثنا عبد الكريم بن هوازن قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول: سمعت محمد بن أحمد ابن سهل^(٢) يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول:

أعرف الناس بالله سبحانه أشدهم تحيرًا فيه.

أخبرنا اليكري وابن سَكِينَةَ قال ابن سَكِينَةَ قال ابن عبد الكريم، ثنا أبي قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول:

قيل لذي النون: بم عرفت ربك؟

فقال: عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي.

(١) (أحمد بن محمد، أبو القاسم الحارثي، وكان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريري. أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه بالعراق، تفقه على أبي نورا، وكان يثني في حلقته، صاحب الشريفة السقضي، والخارثي الخراسي وغيرهما. مقبول على جميع الأئمة توفي رضي الله عنه سنة ٢٩٧ هـ. أسند الحديث. وسئل من العارف فقال: (من نطق عن... يسوءك وأنت ساكت).

انظر ترجمته في: السمي: طبقات الصوفية، ١٥٥، القشيري: الرسالة، ٢٥، أبو نعيم: حلية الأولياء، ٢٥٥/١٠، ابن خوري: صفة الصوفية، ٢٣٥/٢، الشعراني: الطبقات، ٩٨/١، ابن كثير: البداية والنهاية، ١١٣/١٦، ابن علكان: وفيات الأعيان، ١٤٦/١، الخطيب: تاريخ بغداد، ٢٤١/٧، ابن العماد: شذرات الذهب، ٢٢٨/٢، مزكين: تاريخ التراث العربي، ٤٥٤/٢، طبعة القاهرة ١٩٧٩ م.

(٢) (محمد بن أحمد بن سهل) أبو الفضل الصوفي، النيسابوري الأصل، حدث عن سعيد بن عثمان بن عباس الخواطر: صاحب ذي النون، وكان ثقة، توفي رحمه الله في الهجرة سنة ٣٤٧ هـ.

انظر ترجمته في: الخطيب: تاريخ بغداد، ٣٤٠/١، السمي: طبقات الصوفية، هامش ٢٠.

وقال: الزهاد مُلوك الآخرة [هم] وفقراء العارفين.

وقال: علامة العارف ثلاثة:

« لا يُطفئ نور معرفته نور ورعه.

« ولا يعتقد باطلاً من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم.

« ولا تحمله كثرة نعم الله تعالى عليه على هتك أستار محارم الله تعالى.

وذكر تاج الإسلام عن ذي النون أنه قال: بأول قدم تطلبه تجده.

وقال: كيف يبعد عن الله من لا يُدّ له من الله.

ومن باب التوحيد

أُتينا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد وأحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون يقول:

الذي اجتمع عليه الحقائق في حقائقهم أن الله غير مفقود فيطلب، ولا ذو غاية فيدرك فمن أدرك موجوداً فهو بالموجود مغروراً، إنما الموجود عندنا معرفة وكشف علم بلا حال.

ما أحسن ما قال: وهذا معنى ما سمعته عن أحد من الطائفة أصلاً بمثل هذا التحقيق ولقد أوضح الطريق غاية الإيضاح حيث نفى الحال في هذا الضرب من العلم.

أخبرنا محمد بن قاسم، ثنا حمّد بن محمد بن أحمد، ثنا الفضل الشافعي، ثنا أبو عبد الرحمن الشلمي قال: قال ذو النون: من كان في توحيده ناظراً إلى نفسه لم ينجّه توحيده من النار.

أخبرنا ابن الأخضر، عن ابن الغزال، عن حمّد، عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن إبراهيم، ثنا عبد الحكم بن أحمد بن سالم الصّدفي قال:

سمعت ذا النون المصري:

يقول: قرأت في باب بُرايمي مصر بسريانية^(١) فتدبرته فإذا فيه: (يقدر المقدور والقضاء يضحك).

(١) على أحد أبواب الميم في مصر مكتوب باللغة السريانية.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي، ثنا ابن عبد الكريم، ثنا أبي قال: سمعت أبا حاتم السجستاني^(١) يقول: سمعت أبا نصر الطوسي^(٢) السراج يحكي عن يوسف بن الحسين قال: قام رجل بين يدي ذي النون المصري فقال: أخبرني عن التوحيد ما هو؟

قال: هو أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه، وليس في السموات العلى والأرضين السفلى مدبر غير الله تعالى، كل ما تصور في وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك.

أخبرنا أبو محمد بن يحيى ثنا ابن أبي منصور، ثنا أبو الفضل، ثنا الحافظ أبو نعيم بن عبد الله قال: سمعت محمد بن إبراهيم يقول: سمعت علي بن حاتم العثماني بمصر^(٣) يقول: سمعت ذا النون يقول: القرآن كلام الله.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، عن عثمان بن محمد، عن أحمد بن محمد أبو الحسن الأنصاري. قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: قال ذو النون المصري يوماً، وأتاه رجل فقال له: أوصني.

قال: بما أوصيك إن كنت أتيت منه في علم الغيب بصدق التوحيد فقد سبق لك قبل أن تخلق إلى يومنا هذا دعاء النبيين والصدّيقين وذلك خير لك من وصيتي وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء. وفي رواية: فإن النداء لا ينقذ العرقى. وهي رواية عبد الكريم القشيري.

أخبرنا بها عبد الوهاب عن ابن عبد الكريم عنه وفيه من هذا الباب الإقرار بالسابقة.

(١) أبو حاتم السجستاني، هو سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الخثمي، السجستاني، البصري، أبو حاتم لغوي، مقرئ. روى عن أبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، والأصمعي وغيرهم وروى عنه المبرد، وابن دريد، وتوفي بالنصرة سنة ٢٥٥ هـ. ترك عدداً من المؤلفات الهامة مثل إعراب القرآن، القراءات وغيرها. انظر ترجمته في: كحالة: معجم المؤلفين، ٢٨٥/٤، ابن حلكان: وفیات الأعيان، ٢٧٣/١، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢٥٧/٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ٢/١١.

(٢) أبو نصر عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى السراج الطوسي، الصوفي، الزاهد صاحب كتاب اللمع، والملقب بطاووس الفراء. توفي رضي الله عنه سنة ٣٧٨ هـ. سمع جعفر الخليلي، وأبا بكر محمد بن داود الدقي، وأحمد بن محمد الساج.

انظر ترجمته في: مقدمة كتاب اللمع، دكتور عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي، سرور، السلمي: طبقات الصوفية، هامش ص ٥٥، كحالة: معجم المؤلفين، ٨٩/٦، ابن العماد: شذرات الذهب، ٩١/٣، البغدادي: هدية العارفين، ١/٤٤٧.

(٣) علي بن حاتم بمصر العثماني، لم أقف له على ترجمة.

ومن باب العقل والعاقل

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن محمد ابن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: بالعقول يجتنى ثمرة القلوب.

أخبرنا محمد بن اسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر بن حبيب العامري، ثنا ابن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن ياكويه الشيرازي. قال: سمعت بكر بن أحمد يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: ما خلق الله عز وجل على عبد من عباده خلعة أحسن من العقل.

ومن دلائل العقل الخمول

أخبرنا يونس، ثنا ابن الغزال أبو بكر، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول: من أعلام الخمول:

« ترك الكلام لمن يكفيه الكلام.

« ونفي الخوض في إظهار العلم عند القراء.

« ووجدان الألم لكراهية الكلام عند المحاورة والموعظة.

أتينا عبد العزيز بن أبي نصر بن المبارك، ثنا محمد بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل، ثنا الحافظ، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سألت ذا النون عن كمال العقل، فقال: إذا كنت قائماً بما أمرت به تاركاً لتكليف ما كفيته فأنت كامل العقل.

وبالإسناد:

عن الحافظ، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد، قال: قال ذو النون:

اعلموا أن العاقل يعترف بذنبيه ويحسن ذنب غيره ويوجد بما لديه ويؤهد فيما عند غيره، ويكف أذاه ويحتمل الأذى من غيره.

ومن باب التَّؤدَّة والإفضال

ما أَخْبَرَنَا بِهِ يُونُسُ بْنُ يَحْيَى، ثنا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ، ثنا حَمْدُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ، ثنا أَبِي، ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُصْقَلَةَ، ثنا سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ قَالَ: قَالَ ذُو النُّونِ:

ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ التَّؤدَّةِ:

« الثَّانِي فِي الْأَحْدَاثِ.

« وَالتَّوَقُّرُ فِي الزَّلْزَالِ.

« وَالتَّوَقُّقُ فِي الْمَقَالِ.

وِثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْإِفْضَالِ:

« صَلَةُ الْقَاطِعِ.

« وَإِعْطَاءُ الْمَنَاعِ.

« وَالْعَفْوُ عَنِ الظَّالِمِ.

ومن باب مقام الشيوخ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ الثَّقَفِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ ذَا النُّونِ الْمَصْرِيَّ قَالَ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ حُكْمٌ لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى أَحَدٍ.

ومن باب الْمَكْر مَكْرًا بِالْعَامَةِ

حَدَّثَنَا أَبُو الشَّيْخِ مُحَمَّدُ بْنُ اللَّيْثِ بِالْمَوْصِلِ، بِدَكَانِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَبْكِي، ثنا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، تَابَ الْإِسْلَامَ الْحُسَيْنُ بْنُ نَصْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَمِيسٍ بِسَنَدِهِ قَالَ:

قَالَ ذُو النُّونِ: عَلَامَةُ سَخَطِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ: خَوْفُهُ مِنَ الْفَقْرِ.

مَكْرُهُ بِالْمُرِيدِ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ، ثنا مُحَمَّدَانُ بْنُ نَاصِرٍ وَابْنُ عَبْدِ الْبَاقِي قَالَا: ثنا حَمْدُ بْنُ أَحْمَدَ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، ثنا أَبِي، ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُصْقَلَةَ، ثنا سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ ذَا النُّونَ عَنِ الْآفَةِ الَّتِي يَخْدَعُ بِهَا الْمُرِيدُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ: بُرُؤِيَّةُ الْكِرَامَاتِ وَالْأَلْبَاطِ وَالْآيَاتِ. قِيلَ: فَبِمَ يَخْدَعُ قَبْلَ وَصُولِهِ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ؟ فَقَالَ: بِوُطْءِ الْأَعْقَابِ وَتَعْظِيمِ النَّاسِ لَهُ وَالتَّوَسُّعِ لَهُ فِي الْمَجَالِسِ وَكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَكْرِهِ وَخَدَعِهِ.

ومن ذلك ما أخبرنا به يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل، ثنا أحمد بن عبد الله، بالإسناد قال: سمعت ذا النون وسئل: أي الحجاب أخفى الذي يحتجب به المريد عن الله.

فقال: ويحك ملاحظة النفس وتدبيرها هذا من خفي المكر.

وأما مكره بالعارف

ما حدثنا به محمد بن اسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا محمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا حنبل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الحسين محمد بن محمد بن عبيد الله^(١)، ثنا أحمد بن عيسى الوشاء بتيسر. قال: سمعت سعيد بن الحكم^(٢) يقول سمعت ذا النون يقول:

لكل قوم عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله. قال ابن خميس: المحب بدلاً من العارف.

ومن مكره بالطائفة

ما أخبرنا به يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

أشد المريدين نفاقاً من لحظ لحظة أو نطق بكلمة بلا حجة استبانها فيما بينه وبين ربه.

ثم سئل عن الحجة فغير نفسه بحجة كان قبل الفعل في الوقت غافلاً عنها.

ولقد سمعت صاحبنا عبد العزيز المهدوي يجلسه بتونس يصرح بمثل هذا وينتهي عنه أصحابه ويتشدد في ذلك ورأينا جماعة ممن يدعي المعرفة يقع في هذا كثيراً يخرج عنه أمر ما على وجهه. فإذا سئل عنه ربما يلوح له عندما يسأل عن ذلك وجه آخر أعلى منه فيجيب به ويسكت عن الأول.

بالإسناد:

قال: وسمعت ذا النون وقد سئل عن أساس قسوة القلب. المريد يحثه عن علوم رضي الله نفسه بتعليمها دون استعمالها والوصول إلى حقائقها.

(١) أبو الحسين محمد بن محمد بن عبد الله الخرجاني رحل، جوال، سمع عمران بن موسى، وابن خزيمة وأبا العباس السراج وغيرهم، روى عنه أبو العيم. توفي بعد سنة ٣٦٠ هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١/٣٠٤.

(٢) سعيد بن الحكم) له أقف له على ترجمة فيما بين يدي من مراجع.

ومن ذلك

ومن باب العثرات

ما أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد ابن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى، ثنا يوسف بن الحسين قال: قال ذو النون:

ما هلك من هلك إلا بطلب أمرٍ قد أخفاه أو إنكار أمرٍ قد أبراه يعني على غير بصيرة. أخبرنا العماد أبو الشتاء، عن ابن خميس وهو تاج الإسلام بسنده عن ذي النون أنه قال:

كلُّ مدَّعٍ محجوب يدعواه عن شهود الحق، لأن الحق شاهد لأهل الحق، فإن الله تعالى هو الحق، وقوله الحق فلا يحتاج يدعي إذا كان الحق شاهداً له؛ وأما إذا كان غائباً فحينئذ يدعي لأن الدعوى إنما تقع للمحجوبين.

صحيح ما قاله رضي الله عنه من كل وجه وعلى كل حال والذي يربط باب الدعوى هو ما تقول أن الدعوى لا يصح في الطريق، فإذا ظهرت فلا تظهر إلا من ثلاثة أشخاص: كاذب

« أو مأمور بها.

« أو صاحب غلبة حال غيره.

وكيف ما كانت فلا تكون إلا مع الحجاب فالكاذب مخذول متدرج. والمأمور مؤيد منصور وصاحب الحال موقوف على المشيئة قد يخذل وقد ينصر ولا رابع لهم أصلاً.

ومن روايته في المكر

وهذا المكر يتعلق بملازمة هذا الوقت لغلبة الجهل عليهم وفساد أصلهم.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي أنبأ محمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن محمد بن عبيد الله، ثنا أحمد بن عيسى الوشاء، ثنا أبو عثمان سعيد بن الحكم قال: سمعت ذا النون يقول سئل جعفر بن محمد عن السفلة فقال: من لا يبالي ما قال، ولا ما قيل فيه.

هذا الباب يحتاج إلى ميزان.

ومن باب التصوف والصوفي

ما أخبرنا به عبد الوهاب بن علي بن علي، ثنا ابن عبد الكريم بن هوازن، ثنا أبي، قال: سمعت أبا حاتم السجستاني قال: سمعت أبا نصر السراج يقول: مثل ذو النون عن التصوف فقال:

هم قوم آثروا الله تعالى على كل شيء فأثرهم الله تعالى على كل شيء. وقال أيضاً: الصوفي إذا تطلق أبان نطقه عن الحقائق وإن سكنت نطقته عنه الجوارح بقطع العلائق.

قال: مثل عن التصوف، هل هو مشتق أو لقب، فقال: قيل في الأصل صفوته وستره ذلك الصفا بالتصوف على ستر العمل. وكتابه عما يوجب الرياء.

ومن باب ترتيب الأحوال والمقامات

حدثنا يونس بن يحيى قال، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا أحمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، قال: قرئ على أبي الحسين أحمد بن محمد بن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكم إيمانه خاف الله، فإذا خاف الله تولدت من الخوف هبة الله، فإذا أسكن درجة الهيبة دامت طاعته لربه، فإذا أطاع تولد من الطاعة الرجاء، فإذا سكن درجة الرجاء، تولدت من الرجاء المحبة، فإذا استحكمت معاني المحبة في قلبه سكن بعدها درجة الشوق، فإذا اشتاق أداه الشوق إلى الأنس بالله، فإذا أنس بالله اطمأن إلى الله، فإذا اطمأن إلى الله كان ليله في نعيم، ونهاره في نعيم، وسره في نعيم، وعلايته في نعيم.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا ظفر، ثنا محمد بن أحمد، حدثني أحمد بن عبد الله بن ميمون، قال: سمعت ذا النون يقول: وقد سئل عن أول درجة يلقاها العارف؟ قال: التحير، ثم الافتقار، ثم الاتصال، ثم انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد بن يعقوب البغدادي، ثنا أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن هاشم.

قال: قلت لذي النون كم الأبواب إلى الفطنة؟

قال: أربعة:

« أولها الخوف.

« ثم الرجاء.

« ثم المحبة.

« ثم الشوق.

ولها أربعة مفاتيح.

« فالقوّضُ مفتاح باب الخوف.

« والنافلة مفتاح باب الرجاء، وحب العباد.

« والشوق مفتاح باب المحبة وذكر الله الدائم بالقلب.

« واللسان مفتاح باب الشوق، وهي أربع درجات^(١) إلى الله:

فأقربها منه درجة:

« الشوق: وهي درجة الولاية فإذا هممت بالارتقاء في هذه الدرجة فتناول مفتاح باب الخوف، فإذا فتحته وصلت إلى باب الرجاء فتناول مفتاحه، فإذا فتحت وصلت إلى باب المحبة فتناول مفتاحه، فإذا فتحت أفضيت إلى باب الفطنة مفتوحاً لا غلق عليه، فإذا دخلته فلا أضلّك تطيق ما ترى فيه، حينئذ يحوز شرفك الأشراف ويعلم ملكك مُلك الملوك. واعلم أي أخي أنه ليس بالخوف تنال الفرض ولكن بالفرض تنال الخوف، ولا بالرجاء تنال النافلة، ولكن بالنافلة تنال الرجاء كما أنه ليس بالأبواب تنال المفاتيح ولكن بالمفاتيح تنال الأبواب.

واعلم أنه من تكامل فيه الفرض فقد تكامل فيه الخوف، ومن جاء بالنافلة فقد جاء بالرجاء، ومن جاء بتحية العباد فقد وصل إلى الله، ومن شغل قلبه ولسانه الذكر، قذف الله في قلبه تور الاشتياق إليه، وهذا سر الملكوت فاعلمه واحفظه حتى يكون الله جلّ ثناؤه هو الذي يتناوله من يشاء من عباده.

ومما حقّ هذا الباب وإن كان من الثعوت ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن عبد الله القريائي صاحبنا، ثنا أبو محمد بن يحيى العباسي، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت

(١) في نسخة الأصل المخطوط (درج).

ذا النون يقول: كل مُطيع مستأنس وكل عاصٍ مستوحش، وكل مُجِبّ ذليل خائف هارب، وكل راج طالب.

ومن باب الموعظة والتذكّر

ما أخبرنا به العماد أبو الثناء، ثنا الإمام تاج الإسلام يسنده إلى ذي النون المصري قال ذو النون رحمه الله: كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضاً للعالم وتراً لها واليوم يزداد الرجل بعلمه للعالم حباً ولها طلباً. كان الرجل يتفق ماله على علمه، واليوم يكسب الرجل بعلمه مالاً، وكان يرى على صاحب العلم زيادة في باطنه وظاهره واليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر.

وقال أيضاً إنما دخل الفساد على الخلق من سبعة أشياء:

الأول: ضعف التّوبة لعمل الآخرة.

والثاني: صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم.

والثالث: غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل.

والرابع: آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق.

والخامس: اتبعوا أهواءهم ونبدوا سُنّة نبيهم عليه الصلاة والسلام وراء ظهورهم.

والسادس: جعلوا قليل زلات السلف حُجّة لأنفسهم، ودفنوا كثير مناقبهم.

ومن هذا الباب

ما حدثنا به ابن الأخضر عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا ابن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الحسن بن مقسم، قال: سمعت الحسن بن علي بن خلف يقول: سمعت إسماعيل يقول: سمعت رجلاً سأل ذا النون، فقال: رحمك الله، ما الذي أنصبت العباد وأضناهم؟

فقال له: ذكر المقام، وقلة الزاد، وخوف الحساب، ولم لا تذوب أبدان العمال وتذهل عُقولهم والعرض على الله أمامهم وقراءة كتبهم بين أيديهم والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في الأخيار والأشرار، ثم قال: مثلوا هذا في نفوسكم واجعلوه نصب أعينكم. أخبرنا العماد أبو الثناء، ثنا ابن خميس تاج الإسلام يسنده إلى محمد بن الحسن الجوهري^(١) قال: سمعت ذا النون يقول:

(١) محمد بن الحسن الجوهري، كنيته (أبو بكر) وهو من أهل بغداد، ومن تلاميذ ذي النون المصري، كان رجلاً جليلاً.

أيها الناس هذا أوّلُ ينصح فيه الأحياء إذ الأموات في غمرتهم يعمهون حين غدا الدين غريباً منبوذاً، وغدا أهله غرباء مهيؤون قد أقبلوا على أكل الحرام وتركوا طلب الحلال ورفضوا المعروف وأقبلوا على المنكر، وتركوا الجهاد فأظلمت الأرض بعد نورها ورضيت العلماء من العلم يعلمهم فانتبهوا أيّها الأموات أبناء الأموات وإخوان الأموات وجيران الأموات. وعن قليل أنتم أموات قد أخلتكم الدور وعمّرتكم القبور ألا فقد برح الخفا لمن فهم كثر الحفا وخلت العلماء وقلت الخطباء، وكثرت الدواهي وقلت النواهي، وكثر الأشرار وقلت الأخيار، وافتكها الآثام، وقطعوا الأرحام ورفضوا بالسلاّم، وجلس بعضهم مجالس العلماء.

يقولون ما لا يعلمون، عبيد الدنيا فهم لها متصنعون، وعليها يتخشعون غنيهم فقير وجارهم ذليل، لا يبالي غنيهم ما طوي عليه جاره من جوع أو غري، إن سألوا أخوا وإن سئلوا شخوا. لبسوا الثياب على قلوب الذباب اتخذوا مساجد الله التي يذكر فيها اسمه لرفع أصواتهم وجمع إخوانهم لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة.

أخبرنا ابن الأخضر عبد العزيز، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان قال أحمد بن عبد الله، ثنا أيضاً عثمان بن محمد العثماني، ثنا عبد الله بن جعفر المصري، ثنا عبيد الله بن محمد البرقي قالاً: قال أبو الفيض ذو النون:

الدنيا لله أمة والخلق لله عبيد خلقهم للطاعة، وضمن لهم أرزاقهم، ونهاهم عن أمته وحذرهم وأنذرهم، فحرصوا على ما نهاهم الله عنه، وطلبوا الأرزاق وقد ضمنها الله لهم، فلا هم على أمته قدروا، ولا في أرزاقهم استزادوا ثم قال: عجباً لقلوبكم لا تتصدع ولأجسامكم لا تتضع إذ كنتم تسمعون ما أقول لكم ولا تعقلون، ثم قال:

عَجِباً لِقَلْبِكَ كَيْفَ لَا يَتَضَعُ
وَلِرُكْنِ جِسْمِكَ كَيْفَ لَا يَتَضَفَعُ
فَاكْحَلْ بِتَحْلُولِ الشَّهَادَةِ الَّذِي الدُّجَى
إِنْ كُنْتَ تَفْقَهُمْ مَا أَقُولُ وَتَسْمَعُ
مَنَعَ الْقُرْآنَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ
مُقِلَّ الْعَيُونَ بِلَيْلِهَا أَنْ تَهْجِعُ
فَهَمُّوا عَنِ الْمَلِكِ الْكَرِيمِ كَلَامِهِ
فَهُمَا تَذِلُّ لَهُ الرُّقَابُ وَتَخْضَعُ

أخبرنا محمد بن اسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي والمحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي،

ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول:

من ذبح حنجرة الطمع بسيف الإياس وردم خندق الحرص ظفر بكيمياء الخدمة، ومن استقى بحبل الزهد على دلو العزوف، استقى من حب الحكمة، ومن سلك أودية الكمد حيا حياة الأبد، ومن حصد عشب الذنوب بمنجل الورع أضاءت له روضة الاستقامة، ومن قطع لسانه بشفرة الصمت وجد عذوبة الراحة، ومن تدرع درع الصدق قوي على مجاهدة عسكر الباطل، ومن فرح بمدحة الجاهل ألبسه الشيطان ثوب الحماقة.

وبالإسناد:

قال وسمعت يقول: أسفرت منازل الدجى، وثبت حجج الله على خلقه، فأخذ يحظه ومضيع لنفسه فمناورة حكمته وحجته كتابه فقامت الدنيا بيهجتها فأقعدت المرید وألهمت الغافل ولا المرید يطلب دواؤه ولا الغافل عرف داءه.

ثم خص الله خصائص من خلقه، فعرفهم حكمته، فنظروا بين أعين القلوب إلى محبوب فساحت أرواحهم في ملكوت السماء، ثم عادت إليهم بأطيب جنى ثمار السرور، فعند ذلك صيروا الدنيا معبراً والآخرة منزلاً، همتهم وقلوبهم عند ربهم.

فأول ابتداء نعمة الله على من اختص الله من خلقه أهاجت النفوس على مناظرة العقول فعند ذلك أقام لها شواهد من أهل المعرفة يقف به عند العجز والتقصير، وهما حالان يورثان ألهم، ويحثان على الطلب ولن تعنى النفس إلا بالعلم بالله.

أخبرنا يونس، ثنا ابن الغزال، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرازي^(١) بنيسابور قال: سمعت يوسف بن الحسين قال أحمد بن عبد الله وقال أحمد بن العلاء الصعدي، والسياق له، ثنا أحمد بن محمد بن عيسى الرازي، ثنا يوسف بن الحسين، ومحمد بن أحمد قالوا: سمعنا ذا النون يقول:

طوبى لمن أنصف ربه عز وجل.

قيل: وكيف ينصف ربه؟

قال: يقر له بالآفات في طاعته، وبالجهل في معصيته، وإن أخذه بذنوبه رأى عدله، وإن غفر له رأى فضله، وإن لم يقبل منه حسنته لم يره ظالماً لما معه من الآفات، وإن قبلها رأى إحسانه لما جاد به من الكرامات.

(١) محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرازي بنيسابور، هو: محمد بن عبد الله بن شاذان وتقدمت ترجمته.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم قال: سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت إسماعيل يقول: سمعت ذا النون يقول: وقد مرّ به قوم على الدواب وأنا جالس معه. فقالوا: هل ترى إلا كنيفاً على كنيف.

أخبرنا بقریب من هذه الحكاية أبو عبد الله بن خزر عن صاحبنا عبد الحليم العماد بمدينة سلا منقطع التراب.

قال: كنت معه جالساً في بعض شوارعها فمر بنا زعيم من زعماء البلد من بني عشرة فنظرت إليه وهو ذو شارة حسنة ومنظر بهيج تحته فرش عتيق. فقال لي: يا أبا عبد الله هل ترى إلا تراباً راكباً على تراب فوعظني.

ومن باب الوصايا والنصائح

ما حدثنا به العماد عن تاج الإسلام قال: قال رجل لذي النون: والله إني لأحبك فقال له ذو النون:

إن كنت عرفت الله فحسبك الله وإن لم تعرفه فاطلب من يعرفه حتى يدلك على الله تعالى، وتعلم منه حفظ الحرمة لمولاه.

وقال: اصحب الذين وصفهم الله تعالى في كتابه وهم أهل التقوى الذين هم على سمت محبته لعلك أن ترقى في ملكوت السموات فتكون للأبرار جليساً وللأخيار في أمن ذلك المقليل أنيساً وإن كنت على التقوى عارفاً فالنجا النجا فيما بقي من عمرك.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر بن حبيب العامري، ثنا ابن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه قال: سمعت فارساً البغدادي يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول:

قلت لذي النون في وقت مفارقتي له: من أجالس؟ قال: عليك بصحبة من تذكرك الله عز وجل رؤيته، ويقع هيئته على باطنك، ويزيد في عملك منطقته، ويهديك في الدنيا عمله، ولا يعصي الله ما دمت في قربه يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله، يريد وهو تارك لما يدلك عليه أي هو خالٍ من الفضائل لأن الرجل قد يكون على عمل من أعمال البر يقتضيه حاله ويدلك بقوله على عمل من أعمال البر يقتضيه حاله ولا يقتضيه حاله فيريد بقوله بلسان فعله أي أفعاله مستقيمة لا غير.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أحمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله،

ثنا عثمان بن محمد العثماني، ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عيسى الرازي، ثنا محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري قال: سمعت ذا النون يقول:

احذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعاً قلت: وكيف ذلك؟

قال: لأن المخدوع من ينظر إلى عطايه فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطايه.

ثم قال: تعلق الناس بالأسباب وتعلق الصديقون بموَلَى الأسباب.

ثم قال: علامة تعلق قلوبهم بالعطايا طلبهم منه العطايا. ومن علامة تعلق قلب الصديق بولي العطايا انصباب العطايا عليه وشغله عنها به.

ثم قال: ليكن اعتمادك على الله في الحال لا على الحال.

ثم قال: اعقل فإن هذا من صفوة التوحيد.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل، ثنا أبو نعيم الحافظ، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: قال ذو النون:

ثلاثة من أعلام [التوحيد]^(١):

« اغتمام القلب بمصائب المسلمين.

« وبذل النصيحة لهم متجرعاً لمرارة ظنونهم.

« وإرشادهم إلى مصالحهم، وإن جهلوه وكرهوه.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالاً ثنا أحمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عمر بن ظفر^(٢) قال ثنا جعفر بن أحمد، ثنا عبد العزيز بن الأرحجي^(٣)، ثنا ابن جهضم قال أحمد بن محمد الرازي، ثنا محمد بن أحمد بن سلمة قال: سمعت ذا النون يقول: وقد سألته عند الفراق أن بوصيني.

فقال: لا يشغلنك عيوب الناس عن عيب نفسك، لست عليهم ب قريب.

(١) ما بين معنيتين زيادة يقتضيه السياق.

(٢) عمر بن ظفر) المغالي تلقى مسد، بغداد، أبو حمص وأخبرنا بها، توفي رحمه الله عن إحدى وثمانين سنة وكانت وفاته في سنة ٥٥٢ هـ.

أحمد الذهب: تذكرة الحفاظ، ١٢٩٥/١٥.

(٣) عبد العزيز بن الأرحجي) هـ: عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل بن شكر، البغدادي، الأرحجي، أبو القاسم، محدث، توفي رحمه الله في شهر شعبان سنة ٥٤٤ هـ له مصنفات منها مصنف في العبادات.

انظر ترجمة معجم المؤلفين، ٢٠٢٣/٥، مذكر: تاريخ التراث العربي، ٣٩٠/١، ابن العباد، مشغرات الذهب، ٣/

٢٠٢١، حديث: تاريخ بغداد، ٥٦٥/١٠.

ثم قال: إن أحب عباد الله إلى الله عز وجل أعقلهم عنه وإنما يستدل على تمام عقل الرجل وتواضعه في عقله حسن استماعه للحديث وإن كان به عالماً، وسرعة قبليه للحق وإن جاء ممن هو دونه، وأورثه على نفسه بالخطأ إذا جاء منه.

أخبرنا العماد أنبأ الحاج قال: قال ذو النون: ليس بلذي لب من داس في أمر ديناه، وحمق في أمر آخرته، ولا من سَفِه في مواطن حلمه وتكبر في مواطن تواضعه ولا من فقد منه الهوى في مواطن طمعه ولا من غضب من حق إن قيل له ولا من زهد فيما يرغب العقول في مثله ولا فيما يزهد الأكياس في مثله ولا من استقل الكثير من خالفه عز وجل واستكثر قليل الشكر من نفسه، ولا من طلب الإنصاف من غيره لنفسه ولم ينصف من نفسه غيره، ولا من نسي الله في مواطن طاعته وذكر الله في مواطن الحاجة إليه، ولا جمع العلم فعرف به ثم أثر عليه هواه عند متعلمه، ولا من قلَّ منه الحياء من الله على جميل ستره، ولا من أعقل الشكر عن إظهار نعمه، ولا من عجز عن مجاهدة عدوه لضعفه إذ صبر عدوه على مجاهدته، ولا من جعل علمه ومعرفة تظرفاً وتزيئاً في مجلسه.

ثم قال: أستغفر الله إن الكلام كثير وإن لم تقطعه لم ينقطع، وقام. وبه قال ذو النون: لم تخرجوا من ثلاثة: النظر في دينكم بإيمانكم والتزود لآخرتكم من دنياكم والاستعانة بربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه وبه.

وقال ذو النون: من نظر في عيوب الناس عني عن عيوب نفسه، ومن عني بالفردوس والنار شغل عن القيل والقال، ومن هرب من الناس مسلم من شرهم، ومن شكر المزيد زيد له. أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الله، ثنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشاء، أبو عثمان سعيد بن الحكم تلميذ ذي النون.

قال: مثل ذو النون ما سبب الذنب؟

قال: اعقل ويحك ما تقول؟ فإنها مسائل الصديقين سبب الذنب النظرة، ومن النظرة الخطرة، فإن تداركت الخطرة بالرجوع إلى الله ذهبت، وإن لم تداركها امتزجت بالوساوس فتولد منها الشهوة وكل ذلك بعده باطن لم يظهر على الجوارح فإن تداركت الشهوة، وإلا تولد منها الطلب فإن تداركت الطلب، وإلا تولد منه الفعل.

أخبرنا العماد أنبأ الحاج قال: قال محمد بن الحسين الجوهري: دخلت أنا وأبو الفضل ذات يوم على ذي النون وعنده نفر من المريدين وقد ذهب بهم الفكر وكأن على رؤوسهم هبة من فائتقنا برؤيته قبل أن نجلس فسلمنا عليهم فردوا السلام.

ثم قال ذو النون: اللهم كما جمعتنا على ذكرك فلا تخزننا بعذابك واجعلنا من أحبائك، واشغلنا بخدمتك.

فقال بعضهم: أوصنا بوصية ينفعنا الله بها.

فقال:

« أثروا الله على جميع الأشياء.

« واستعملوا الصدق فيما بينكم وبينه.

« وأحبوه بكل قلوبكم.

« والزموا بابه واشتغلوا به.

« وتوسدوا الموت إذا تمتم واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم.

« وكونوا كأنكم لا حاجة لكم إلى الدنيا ولا بد لكم من الآخرة.

« واحفظوا ألسنتكم ولتخزنكم ذنوبكم وليكن افتخاركم بربكم.

« وكونوا من خالصي الله فتسلموا ويسم منكم الناس فتتألوا غداً مناكم.

ثم قال:

« أستغفر الله فإن للكلام حلاوة في الدنيا وما أعظم مؤنته في الآخرة.

ثم قال:

« ليسأل الصادقين عن صدقهم وفي دون ما قلت كفاية.

أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

« إياك أن تكون في المعرفة مدعياً.

« وتكون بالزهد متحرفاً.

« أو تكون بالعبادة متعلقاً.

فقيل له: برحمتك الله فسر لنا ذلك.

فقال: أما علمت أنك إذا أشرت في المعرفة إلى نفسك بأشياء أنت مغرور من حقائقها كنت مدعياً. وإذا كنت في الزهد موصوفاً بحالة وبك دون الأحوال كنت متحرفاً، وإذا علق قلبك

بالعبادة وظننت أنك تنجو من الله بالعبادة لا باقله في العبادة كنت بالعبادة متعلقاً لا بوليئها
والمثان عليك به.

وبالاسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا الحسن بن أبي الحسن المصري، ثنا محمد
ابن يحيى بن آدم، ثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الخواص قال: سمعت ذا النون يقول:
من أدرك طريق الآخرة فليكثر مسألة الحكماء، وليكن أول شيء يسأل عنه العقل لأن
جميع الأشياء لا تدرك إلا بالعقل، ومتى أردت الخدمة لله فاعقل لمن تخدم ثم اخدم.

أخبرنا العماد قال أنبأ تاج الإسلام قال: قال إبراهيم البغدادي صحبت ذا النون من
إخميم إلى الإسكندرية فلما صرنا في بعض الطريق وكان وقت إفطاره أخرجت قرصاً وملحاً
كان معي.

فقلت: هلم رحمتك الله.

فقال لي: ملحك مدقوق؟

قلت: نعم، قال: ليس تفلح. فنظرت إلى مزوده وإذا فيه قليل مويق شعير يستف كل ليلة
منه ما قسم له حتى جئنا إسكندرية وقد تقاصرت إلى نفسي فلما أردت فراقه قلت له: يا أبا
الفيض عظمي بموعضة أحفظها عنك.

قال: وتفضل؟

قلت: نعم إن شاء الله.

فقال: يا إبراهيم احفظ عني خمساً فإن أنت حفظتهن لم تبال ماذا أصبت بعدهن.

قلت: وما هن رحمتك الله؟

قال: عائق الفقر، وتوسد الصبر، وعاد الشهوات، وخالف الهوى، وافزع إلى الله في أمورك
كلها، فعند ذلك يورثك هذه الخمسة خفياً: العلم، والعمل، وأداء القرائض، واجتناب المحارم،
والوفاء، بالعهود.

ولن تصل إلى هذه الخمسة إلا بخمس:

• علم غزير

• ومعرفة شافية

• وحكمة بالغة

« وبصيرة نافذة

« ونفس راجية،

والويل كل الويل لمن بلي يخمس:

حرمان، وعصيان، وخذلان، استحسان النفس بما يرضي الله، والازدراء على الناس بما يأتي.

« وأقبح الفح خمس:

« قبح الفعال.

« ومساوئ الأعمال.

« ثقل الظهور بالأوزار.

« والتحسين على الناس بما لا يحب الله.

« وعبارزة الله فيما يكره.

« وطوبى ثم طوبى لمن أخلص خمسة:

« من أخلص علمه وعمله

« وحيه وبغضه

« وأخذه وعطاؤه

« وكلامه وضمته

« وقوله وفعله.

« واعلم يا إبراهيم أن وجود الحلال خمسة:

« تجارة بالصدق

« وصناعة بالنصح

« وصيد البر والبحر

« وميراث حلال الأصل

« وهدية من موضع أرضها،

« فكل الدنيا مقبول إلا خمسة:

« خبز يشبعك

« وماء يرويك

- « وثوب يسترك
- « ويبيت يكتك
- « وعلم تستعمله.
- ويحتاج أيضاً أن يكون معه خمسة أشياء:
- « الإخلاص
- « والنية
- « والتوفيق
- « موافقة الحق
- « وطيب المصم والمليس.
- « وخمسة أشياء فيها الراحة:
- « ترك قرناء السوء
- « والزهد في الدنيا
- « والصمت
- « وحلاوة الطاعة إذا غبت عن أعين المخلوقين
- « وترك الإضرار على عباد الله حتى لا ترى أحداً يعصي الله.
- وعندها تسقط عنك خمس:
- « المرءاء
- « والجدال
- « والأرياء
- « والتزوين
- « وحب المنزلة.
- « وخمس فيهن جمع الهم:
- « قطع كل علاقة دون الله
- « وترك كل لذة فيها حساب
- « والتبرم بالصديق والعدو

- « وبصيرة نافذة
- « ونفس راجية.
- والويل كل الويل لمن يُلِي بخمسين:
- حرمان، وعصيان، وخذلان، استحسان النفس بما يرضي الله، والازدراء على الناس بما يأتي.
- وأقبح القبح خمس:
- « قبح الفعّال.
- « ومساوئ الأعمال.
- « ثقل الظهور بالأوزار.
- « والتحقين على الناس بما لا يحب الله.
- « ومبارزة الله فيما يكره.
- وطوى ثم طوى من أخلص خمسة:
- « من أخلص علمه وعمله
- « وحبه وبغضه
- « وأخذه وعطاؤه
- « وكلامه وصمته
- « وقوله وفعله.
- واعلم يا إبراهيم أن وجود الحلال خمسة:
- « تجارة بالصدق
- « وصناعة بالنصح
- « وصيد البر والبحر
- « وميراث حلال الأصل
- « وهدية من موضع ترضاها.
- فكل الدنيا فضول إلا خمسة:
- « حيز يشبعك
- « وماء يرويك

- « وثوب يمشرك »
- « ويبت يكنك »
- « وعلم تستعمله »
- ويحتاج أيضاً أن يكون معه خمسة أشياء:
- « الإخلاص »
- « والنية »
- « والتوفيق »
- « موافقة الحق »
- « وحبيب المظعم والملبس »
- « وخمسة أشياء فيها الراحة:
- « ترك قرناء السوء »
- « والزهد في الدنيا »
- « والصمت »
- « وحلاوة الطاعة إذا غبت عن أعين المخلوقين »
- « وترك الإضرار على عباد الله حتى لا ترى أحداً يعصي الله »
- « وعندها تسقط عنك خمس:
- « المراء »
- « والجدال »
- « والرياء »
- « والتزّين »
- « وحب المنزلة »
- « وخمس فيهن جمع اللهم:
- « قطع كل علاقة دون الله »
- « وترك كل لذة فيها حساب »
- « والتبرم بالصدق والعذو »

« وخفة الحال

« وترك الادحار.

« وخمس يا إبراهيم يتوقعهن العالم:

« نعمة زائلة

« أو بلية تازلة

« أو منية فاضية

« أو فتنة قاتلة

« أو ترك قدم بعد ثبوتها.

حسبك يا إبراهيم إن عملت بما علمتك.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن فضالة، ثنا سعيد بن عثمان، قال: سمعت ذا النون وأباه رجل فقال: يا أبا الفيض دلني على طريق الصدق والمعرفة؟

فقال: يا أخي أد إلى الله صدق حالك التي أنت عليها على موافقة الكتاب والسنة، ولا ترق حيث لا ترق، فتزل قدمك، فإنه إذا ذل بك لم تسقط، وإذا ارتقيت أنت تسقط، وإياك أن تترك ما تراه يقيناً لما ترجوه شكاً.

أخبرنا عماد الدين أبو الثناء محمود اللبان، ثنا تاج الإسلام أبو عبد الله بن خميس بسنده إلى يوسف بن الحسين قال: قال سمعت ذا النون وهو يوصي رجلاً ويقول له:

ليكن أثر الأشياء عندك وأحبها إليك أحكام ما افترض الله عليك واتقاء ما نهاك عنه، فإن تعبدك الله به خير لك وأفضل مما تختاره لنفسك من أعمال البر التي لم تجب عليك، وأنت ترى أنها أبلغ لك فيما تريدك التي تؤدب نفسه بالفقر والتقلل وما أشبه ذلك.

إنما ينبغي للعبد أن يراعي أبداً ما وجب عليه من فرض فيحكمه على تمام حدوده وينظر إلى ما نهى عنه فيتقيه على أحكام ما ينبغي، فالذي قطع العباد عن ربهم عز وجل وقطعهم عن أن يذوقوا حلاوة الإيمان، وعن أن يبلغوا حقائق الصدق وحجب قلوبهم من النظر إلى الآخرة وما أعد الله فيها لأوليائه وأعدائه حتى يكونوا كأنهم مشاهدين، إنما قطعهم تهاونهم عن أحكام ما فرض عليهم في قلوبهم، وأسماعهم، وأبصارهم، وألسنتهم، وأيديهم وأرجلهم، وبطونهم، وفروجهم. ولو وقفوا على هذه الأشياء وأحكموها لأدخل عليهم البر لإدخالاً بعجز أبدانهم وقلوبهم عن حمل ما رزقهم من حسن معونته وفوائده كرامته ولكن أكثر القرءاء والمُشاك حقروا

محقرات الذنوب وتهاونوا بالقليل منها ومما فيهم من العيوب فحرموا ثواب لذة الصادقين في العاجل واستغفر الله مِنْ^(١) يقول ولا يفعل.

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، ثنا محمد بن أحمد المذكر عن بعض أصحابه قال: قال ذو النون لفتى من النُّشَاك:

يا فتى خذ لنفسك سلاح الملامة واقمعها برد الظلامة، تليس غداً سرايل السلامة، واقصرها في روضة الأمان وذوقها مضض فرائض الإيمان تظفر بنعيم الجنان، وجرعها كأس الصبر ووطنها على الفقر حتى تكون تام الأمر فقال له الفتى: وأي نفس تقوى على هذا؟

فقال: نفس على الجوع صبرت، وفي سرايل الظلام تحطرت، نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثمنًا، نفس تدرعت رهبانية القلق، ودّعت الدجى إلى واضح الفلق، فما ظنك بنفس في وادي الخنادس سلكت، وهجرت اللذات فملككت، وإلى الآخرة نظرت وإلى العيناء أبصرت، وعن الذنوب أقصرت، وعلى النزر من القوت اقتصرت ولججوش الهوى قهرت، وفي ظلام الدياجي زهرت، فهي بقناع الشوق مختمرة وإلى عزيزها في غلس الدجى مشمرة قد نبذت المعاش ورعت الحشائش هذه نفس خدوم علمت ليوم القدوم وكل ذلك بتوفيق الحي القيوم.

أخبرنا العماد، أنبأ تاج الإسلام عن ذي النون أنه قال:

أوصى^(٢) أخاه ذا الكفل فقال له:

يا أخي كن بالخير موصوفاً ولا تكن للخير وصافاً.

وقال تاج الإسلام. قال محمد بن الحسين الجوهري سمعت ذا النون يقول: ينبغي لمن علم أن له مقاماً بين يدي الله عز وجل ليسأله عما سلف في هذه الدار أن لا يؤثر القليل الحقيق على الجزيل الكثير، ولا الثاني والتقصير على الجهد والتشمير، ولا سيما إذا كان ممن قد أكده الله منه بإتقان العلم، ولقّح عقله بذلّالات الفهم، أن لا يتحير في ضلّمة الغفلة، التي تحير فيها الجاهلون، والعجب كل العجب لأهل هذه الصفة كيف استوحشوا من طاعة الله وأنسوا بغيره، وركنوا إلى الدنيا وثقلب حالاتها وكثرة آفاتها، ولا زادتهم الدنيا إلا هواناً ولا ازدادوا لها إلا إكراماً. فما من مستيقظ من وسنته يخلع وثيق الغل من عنقه ويهتك جلاباب الران عن قلبه، وإن من

(١) في نسخة المخطوط (مما).

(٢) في نسخة المخطوط (أوصى أخاه).

أنصح النصحاء لك يا أخي من حملك من أمرك على المحجة وأمرك بالرحلة ولم يحسن لك (سوف، وأرجو) ولعل ويكون فما رأيت هذه الخصال تورث صاحبها إلا الخسارة والندامة فكابدوا التسويف بالعزم، وبأدروا التفريط بالحزم، فقد وضع لكم الطريق والله المستعان والمرشد والدليل.

وقال أيضاً: سمعت ذا النون، وقد سأله رجل فقال له: يرحمك الله ما أعون ما يجده العبد على تسكين الشهوة؟

قال: الصيام بالنهار، والقيام بالليل، وحذف الشهوات، والإغفال عنها، وترك محادثة النفس بذكرها.

فقال له السائل: فإن الرجل يصوم بالنهار ويقوم بالليل ولا يأكل الشهوات ويجد في نفسه حركة واضطراباً،

فقال له: ذلك من فضل شهوة مقيمة فيه من الأول، فليقطع أسباب المادة فيها جهده ويسكنها عن نفسه بالهموم والأحزان ويسكن سلطانها بذكر الموت فإن القوم ما وجدوا شيئاً هو أعون لهم على الزهد فيها والانقطاع عنها، والتخلي منها من ذكر الموت وتقريب الأجل، وقصر الأمل، وما يشغل القلوب. اقطع عن نفسك الشهوات واستقبل المراقبة لمن هو عليك رقيب، واحفاظة على طاعة من هو عليك حسيب، نسأل الله عز وجل التوفيق على بلاغ الطريق والخروج من كل ضيق إنه قوي شفيق.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

من وثق بالمقادير استراح، ومن صحح استراح، ومن تقرب قرب، ومن صفا صفي له، ومن توكل وثق، ومن تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه.

وقال أيضاً:

من تقرب إلى الله يتنفذ نفسه حفظ الله عليه نفسه. أخرجه التاج في المناقب، وكذلك خرج أيضاً عنه فيه فقال: قيل لذي النون: بم ينال العبد الجنة؟ فقال: بخمس:

«استقامة ليس فيها زوغان»

«واجتهاد ليس معه سهو»

«ومراقبة لله في السر والعلانية»

«وانتظار الموت بالتأهب له»

« والحاسبة لنفسك قبل أن تحاسب.

وقال: كن عارفاً خائفاً ولا تكن عارفاً واصفاً.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا ابن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرازي بنيسابور يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: قلت لذي النون: لما أردت توديعه: أوصني رضي الله عنك بوصية أحفظها عنك.

فقال: لا تكن خصماً لنفسك على ربك، تستريده في رزقك وجاهك ولكن كن خصماً لربك على نفسك، فإنه لا يجتمع معك عليك ولا تلفين أحداً بعين الازدراء والتصغير، وإن كان مشركاً خوفاً من عاقبتك فلعلك تسلب المعرفة ويرزقها.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله قال سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول: سمعت عبد الحكيم بن أحمد الصوفي يقول: سمعت ذا النون يقول:

تعوذوا بالله من النبطي إذا استعرب. وسبب ذلك، ما حدثنا به يونس بن يحيى عن أبي بكر ابن عبد الباقي عن أبي الفضل عن أحمد بن عبد الله عن محمد بن إبراهيم قال: سمعت عبد الحكيم بن أحمد بن سلام يقول: سمعت ذا النون يقول:

رأيت في برية موضع يقال له دندرة فإذا كتاب فيه مكتوب احذروا العبيد المعتقين والأحداث المتقربين والحمد المتعبدين والقبض المستعربين.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، ثنا أحمد بن محمد بن سهل النيسابوري، ثنا أبو الفضل، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان بن عباس الخياط قال سمعت ذا النون يقول: لا تنقض بمودة من لا يحبك إلا معصوماً.

وبالإسناد:

قال وسمعت به يقول:

من صحبك ووافقك على ما تحب وخالفك فيما يكره، فإنما يصحب هواه ومن صحب هواه فإنما هو طالب راحة الدنيا.

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد قال: سمعت محمد بن إبراهيم الفارسي يقول: سمعت

فارساً يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

يا معشر المريدين من أراد منكم الطريق فليلق العلماء بالجهل والزهاد بالرغبة، وأهل المعرفة بالصست.

أخبرنا العماد أبو الشتاء محمود اللبان، ثنا تاج الإسلام الحسين بن نصر قال: قال ذو النون المصري (رضي الله عنه): ينبغي أن تطلب الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحكم.

ومن روايته في هذا الباب ما حدثنا به عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن إبراهيم بن أحمد حدثني مالك بن جميل الواسطي قال: سمعت الشمشاطي^(١) يقول: سمعت ذا النون رحمه الله يقول:

أوحى الله إلى موسى (عليه السلام) يا موسى كن كالطير الواحد أي يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من القراح، إذا جئته الليل أوى إلى كهف من الكهوف استئناساً بي، واستراحاً من عصائي يا موسى آثت على نفسي أن لا أتم لمدير دولتي عملاً، يا موسى لأقطعن آمن كل مؤمل يؤمل غيري ولأقصمن ظهر من استند إلى سواي ولأطيلن وحشة من استأنس بعيري ولأعرضن عمن أحب حبباً سواي.

يا موسى إن لي عبداً، إن تاجوني أصغيت إليهم، وإن دنوا مني قربتهم، وإن تقربوا مني أكنفتهم، وإن والبوني واليتهم، وإن صافوني صافيتهم، وإن عملوا لي جازيتهم، هم في حماي وبني يفتخرون، أنا مدير أمورهم، وأنا سايس قلوبهم، وأنا متولي أحوالهم، لم أجعل لقلوبهم راحة في شيء إلا في ذكري، فذكري لأسقامهم شفاء، وعلى قلوبهم ضياء لا يستأنسون إلا بي ولا يحطون بحال قلوبهم إلا عندي ولا يستقر بهم القرار في الإيواء إلا إلي.

ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ما حدثنا به أبو محمود بن أبي نصر بن المبارك، ثنا ابن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن إسحاق، ثنا أحمد بن الحسين الأنصاري، ثنا أبو عصمة^(٢) قال كنت عند ذي النون وبين يديه فتى حسن يملي عليه شيئاً.

قال: فمرت امرأة ذات جمال وخلق.

(١) الشمشاطي (علي بن محمد العدوي، الشمشاطي، أبو الحسن أبو القاسم الأديب، اللغوي، العالم، أقام بالجزيرة وتوفي بدمشق. ترك مصنفات منها شرح الحماسة، مختصر فقه أهل البيت، غريب القرآن، توفي سنة ٤٥٣ هـ.

انظر كحالة: معجم المؤلفين، ٢١٤/٧.

(٢) أبو عصمة (له ألف من كتب في برحمته.

قال: فجعل الفتى يسارق النظر إليها.

قال: ففطن له ذو النون فلوى بعنق الفتى وأنشأ يقول:

دَعِ الْمَضُوعَاتِ مِنْ مَاءِ وَطِينٍ وَاشْغِلْ هَوَاكَ بِخَوَرِ خُرْدٍ عَيْنٍ
وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله قال: سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت محمد بن زبّان يقول: رأى ذا النون عليّ خفّاً أحمر فقال:

اتزع هذا يا بني فإنه شهوة ما لبسه النبي (صلى الله عليه وسلم) إنما لبس النبي (صلى الله عليه وسلم) خفين سادجين أسودين. هذا وإن لم يكن لبس الحفّ الأحمر من باب المنكر فالتأسي برسول الله (صلى الله عليه وسلم) أولى ولا سيما عند هذه الطائفة التي مذهبها اتباع النبي (صلى الله عليه وسلم).

وقد حكي:

عن أحمد بن حنبل^(١) إمام الأمة رضي الله عنه أنه ترك أكل البطيخ فكان إذا شغل عن ذلك يقول:

ما بلغتني كيف كان يأكله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلذلك لا آكله فعلى هذا جرت أفعال الطائفة رضي الله عنها.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أحمد بن محمد بن ناصر وابن عبد الباقي قالوا: ثنا أبو الفضل بن أحمد قال: ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم قال: سمعت الحسن بن علي بن خلف قال سمعت إسرائيل يقول: كنت مع ذي النون في حقيفة يعني في النيل وأجد في فمي بلة فبزقتها في الماء.

فقال لي: يا... تعست يا بعض تهرق على نعمة الله.

(١) الإمام أحمد بن حنبل هو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل النخعي، إمام المذهب الحنفي، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، أصله من مرو، ولد ببغداد سنة ٢٤٤هـ لم رحل لطلب العلم متفلاً لدراسة الحديث واستقر ببغداد. وكان من المناقب من بغداد إلى مصر قال في حقه: «خرجت من بغداد وما خلفت بها أنقى ولا أقف من ابن حنبل». توفي رحمه الله سنة ٢٤١هـ بعد أن ترك بصمات واضحة ومؤلفات هامة في الفقه والحديث.

انظر ترجمته في: ابن قنفذ القسطليني: كتاب الوفيات، ١٧٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤٧/١، الخطيب: تاريخ بغداد، ٤١٢/٤، أبو نعيم: حلية الأولياء، ١٦١/٩، ابن العماد: شذرات الذهب، ٩٦/٢، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد، كسالة: معجم المؤلفين، ٩٦/٢، سزكين: تاريخ التراث العربي، ١٩٦/٢، طبعة القاهرة ١٩٧٩م، ابن تيمية: ردي: النجوم الزاهرة، ٣٠٤/٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٢٥/١٠.

هذا وإن كان ليس هذا الفعل من باب المنكر فتركه على هذا النظر أولى والقوم رضي الله عنهم أهل حضور مع الله في حرركاتهم وفيما فيه وإليه يتحركون وربما يقول من لا معرفة له بما تواطأنا عليه أن ذا النون قال منكراً من القول في قوله: تعست يا بغيض فهو أولى بأن ينكر عليه. قيل له: ليس كما ظننت وإن القوم لما كانوا أهل الله حاضرين معه في أفعالهم ولا نشك أن الماء الغرات من أكبر النعم التي تكون بها حياة الأشياء وقوامها كالخيز وغيره لكن فسخ المشارع في غسل التجاسات في القذورات به فلم يترك الملعون إبليس هذا الفقير الحاضر مع الله حتى أغفله عما يقتضيه بآيه فكان دُعَاءُ ذِي النُونِ تَعَسْتُ يا بغيض على الشيطان الذي أنساه ذكر نعمة ربّه في الماء.

وقد روينا ما يشبه هذا عن سيد الطائفة شيخنا أبي مدين بجاية وذلك أنه وقع بينه وبين الشيخ أبي الحسن بن الدقّاق^(١) خرج فانقطع ابن الدقّاق عن زيارته. فقال الشيخ: ما بال أبي الحسن لا يصل إلينا فقالوا: وقعت عنده حشمة وحجل ما جرى منه بين يديك. فقال: لا تفعل قوتوا له يأتي إلينا فأتى إليه أبو الحسن محتشماً.

فقال له: يا أبا الحسن نحن تنقطع لماذا؟ شيطاني خاصم شيطانك وانفصل أمرهما وننقطع نحن في أي شيء؟ لا تفعل يا ولدي. وأضاف ذلك الواقع إلى الشيطان. قال تعالى عن صاحب موسى: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ﴾^(٢).

أخبرنا عبد العزيز، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أحمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن أحمد البغدادي في كتابه، وحديثي عنه عثمان بن محمد، حديثي أبو محمد عبد الله بن سهل قال: قلت لذي النون متى أمر بالمعروف؟ قال: إذا كان شفقتك على غيرك، وحالفت العباد خيبة ربك.

ومن باب المكاتبات

ما حدثنا به يونس بن يحيى الباشمي، ثنا ابن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي. ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

اعتل رجل من إخواني فكتب إليّ أن ادعوا الله لي.

(١) الشيخ (أبو الحسن البغدادي) خدمت «محنة»

(٢) سورة الكهف، الآية ٦٣.

فكتبته إليه: سألتني أن أدعو الله لك يزيل عنك النعم، واعلم يا أخي أن القلة مجراه يأنس بها أهل الصفا والهمم والضياء في الحياة ذكرك للشفاء ومن لم يعد البلاء نعمة فليس من الحكماء، ومن لم يأمن الشفيق على نفسه فقد آمن أهل التهمة على أموره، فليكن معك يا أخي حياء يمنعك عن الشكوى والسلام.

قلنا لما كانت الشمس معدن الحياة استعار الضياء للحياة وجعله عين ذكره للشفاء، والشفاء عبارة عن تقوية الحياة وتضعيف ما يضادها وهنا كلام لا يتمكن لنا بسطه إلا مع المتكلم.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا محمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالوا، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا أبو بكر البغدادي، قال: قال لي أبو الحسن علي بن الحسن كتب الوليد بن عتبة الدمشقي^(١) إلى ذي النون بكتاب يسأله فيه عن حاله: فكتب إليه ذو النون:

كتبته إليك تسألني عن حالي فما عسيت أن أخبرك به ومن حالي، وأنا بين خلال موجعات أبكي منهن أربع خب عيني للتظرو، ولساني للفضول، وقلبي للرياسة، وأجاني عدو الله إبليس فيما يكره الله، وأفلقني منها عين لا تبكي من الذنوب المنتنة، وقلب لا يخشع عند نزول الموعظة، وعقل ومن فهمه في محبة الدنيا، ومعرفة كلما قلبتها. وحدثني بالله أجهل وأضناني منها أنني عدمت خير خصال. الإيمان - الحياء - وعدمت خير زاد الآخرة التقوى وفيت أيامي بمحبة الدنيا وتضييعي قلباً لا أقني مثله أبداً.

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي ببغداد، ثنا ابن عبد الكريم بن هوازن القشيري، ثنا أبي، قال: أرسل ذو النون إلى أبي يزيد رجلاً وقال له: إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة. فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة. فقال ذو النون:

هنيئاً له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا.

ومن روايته في هذا الباب ما حدثنا به العماد أبو الننا قال: ثنا تاج الإسلام أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن حميس قال ذو النون:

كانت العلماء تكتب بعضهم إلى بعض بثلاث:

من أحسن سريره أحسن الله علانيته.

(١) (أبو بكر بن محمد) الدمشقي، ح. قلت على: رحمه الله فيما بين يدي من مراجع

« ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

« ومن أصلح آخرته أصلح الله له أمر دنياه.

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي بن خنّس قال: سمعت إسماعيل يقول: سمعت ذا النون يقول:

كتب رجل إلى عالم ما الذي أكسبك علمك من ربك وما أفادك في نفسك ودينك.
فكتب إليه العالم:

أثبت العلم الحجة، وقطع عمود الشك والشبهة، وشغلت أيام عمري بطلبه ولم أدرك منه ما فاتني. فكتب الرجل:

العلم نور لصاحبه، ودليل على حظه، ووسيلة إلى درجات السعداء.

فكتب إليه العالم: أبلّيت إليه في طلبه حدّ الشباب، وأدركني حين علمت الضعف عن العمل به ولو اقتصرت منه على القليل كان لي فيه مرشد إلى السبيل.

ومن باب نعتة للطائفة رضوان الله عليها

ما أخبرنا به العماد أبو النّسابة محمود قال: ثنا شيخنا تاج الإسلام قال: قال يوسف بن الحسين مثل ذو النون عن حملة القرآن، فقال: هم الذين أمطرت عليهم سحب الأشجان فأنصبوا الركب والأبدان، وتسربلوا الخوف والأحزان، وشربوا بكأس اليقين وراضوا أنفسهم رياضة الموقنين فكان قرّة أعينهم فيما قلّ ورجا وبلغ وكفى وستر، وواروا كحل أبصارهم بالسهر وغضوها عن النظر، وأزموها العبر. وأشعروها الفكر. فقاموا ليلهم أرقاً واستمليت آفاقهم نسفاً، وتبادرت دموعهم سحاً لكم^(١) توقاً، نهارهم صيام سعباً، وليلهم قيام تعباً، متبتلين إليه في ساعات الليل والنهار، قد نصبت منهم الأبدان وتغيرت منهم الألوان، صحبوا القرآن بأبدان ناحلة وشفاة ذائبة ودموع وابلة، وزفرات قاتلة، فحال بينهم وبين نعيم المتنعمين، وغاية آمال الراغبين. فأضاءت عبراتهم من وعيده، وشابت ذوائبهم من تحذيره فكان زفير النار تحت أقدامهم وكان وعيده نصب قلوبهم، ترمضهم فوارعه وتشفيهم منافعهم، لم يشفوها بحمله ولم يغبوا عن عدله، ولم يرغبوا عنه، آمنوا بتنزيله، وجاهدوا في سبيله بغيرة وبيان، وحجة وبرهان، فلم رأيتهم رأيت قوماً جعلوا الركب للتراب مهاداً، والتراب لجباههم وساداً، تقربوا بخاص

(١) من أخصه (سبحانك).

القربان، مضوا على شرائع الإسلام والإيمان، واستناروا بنور الرحمن، فأقل ما لبثوا أن أُنجزهم القرآن موعوده ووفى لهم عهده، وأحلهم سعوده فقالوا به الرغائب، وعانقوا فيه الكواعب، وآمنوا به المعاطب، نظروا إلى الدنيا بأعين قالية وأنفس مريضة، أترهم لم يشتهوا من الأموال كنوزها، ومن المطايا عزّها، ومن القصور مشيدها. بلى ولكنهم نظروا بتوفيق الله تعالى ومحبتة فرقصوا الدنيا قبل أن ترفضهم، وتركوها قبل أن تتركهم وسمعوا صوت المتنادي يقول:

﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعدّت للمتقين﴾^(١).

فما عاجوا ولا انتظروا واستبطأوا أنفسهم وخافوا أن يحال بينهم وبين السياق فشتموا وقصدوا إلى الله عزّ وجلّ إيماناً به ووفاء بعهده وإيقاناً بمعرفته كما قال تعالى:

﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾^(٢).

احتملوا في الدنيا المصائب لما يرجون في الآخرة من الرغائب، فلم يجدوا ألم البلاء ولم يحسوا ببعض الأذى استصغروا عند تحقيق المعرفة بالله عزّ وجلّ كلّ ما نالهم، طيبة بذلك نفوسهم، صحيحة لله تعالى نياتهم، سليمة لأولياء الله صدورهم، عرفوا شدة فقرهم إليه قطعوا الرجاء من غيره، عزّفت أنفسهم عن الدنيا وتطلعت إلى الآخرة قلوبهم، فما نظروا إلى الدنيا نظرة راغب، ولا تزودوا منها إلا كزاد الراكب، خافوا الهلاك فأسرعوا ورجوا النجاة فأدخلوا سبيلاً إلى الله، لا عن العلم مقصرين ولا غافلين، جعلوا القرآن صراطهم المستقيم فثبتوا عليه أقدامهم وأصمّوا إليه آذانهم فكان لهم إلى الخير داعياً وإلى النجاة دليلاً هادياً.

﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾^(٣).

وقد ورد عنه في نعت الصفوة الأخيار كلام يجتمع مع هذا في ألفاظ كثيرة والله أعلم باختلاف المجالس.

قوله في نعت الصفوة الأخيار

رضوان الله علينا وعليهم ورحمته.

ما أخبرنا به أبو محمد بن أبي نصر بن المبارك، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل، ثنا حماد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان

(١) سورة ال عمران، الآية رقم (١٣٣).

(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم (٢٣).

(٣) سورة الزمر، الآية رقم (١٨).

الخياط، ثنا ذو النون أبو الفيض بن إبراهيم المصري فقال:

إن لله صفوة من خلقه، وإن لله خيرة من خلقه.

ف قيل له: يا أبا الفيض فما علامتهم؟

قال: إذا خلع العبد الراحة وأعطى المجهود في الطاعة، وأحب سقوط ابتزلة ثم قال:

مَنَعَ الْقُرْآنَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ مَقِلَ الْعَيُونَ بِإِلَهِهَا أَنْ تَهْجِعَ

فَهُمُوا عَنِ الْمَلِكِ الْكَرِيمِ كَلَامِهِ فَيُهَا تَذَلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ

فقال له بعض من كان في المجلس حاضراً: يا أبا الفيض من هؤلاء القوم رحمك الله؟

قال: ويحك هؤلاء قوم جعلوا الركب لجباههم وساداً، والتراب لجنوبهم مهاداً، هؤلاء قوم

خاطط القرآن لحومهم ودماءهم فعزلهم عن الأزواج وحركهم بالإدلاج فوضعوه على عليّ

أفندتهم فانفرجت وضموه إلى صدورهم فانشرحت، وتضرعت همهم به فكلمحت، فجعلوه

لظلمتهم سراجاً، ولنومهم مهاداً، ولسيلهم منهاجاً، ولحجبتهم أفلاجاً، يفرح الناس ويحزنون،

وينام الناس ويسهرون، ويفطر الناس ويصومون، ويأمن الناس ويخافون، فهم خائفون يحذرون،

ويجلون، مشفقون، مشكورون، يُبادرون من الفوت ويستعدون للموت يتصغر جسيم ذلك

عندهم لعظم ما يخافون من العذاب، وخطر ما يوعدون من الثواب، درجوا على شرائع القرآن،

وتخلصوا بخالص القربان، واستناروا بنور الرحمن، فما لبثوا أن أنجز لهم القرآن موعوده، وأوفى

لهم عهوده، وأجلهم شعوده وأجارهم وعيده، فنالوا به الرغائب وعانقوا به الكواعب وآمنوا به

العواطب، وحذروا به العواقب لأنهم فارقوا بهجة الدنيا بعين قالية، ونظروا إلى ثواب الآخرة

بعين راضية، واشتروا الباقية بالفاينة. فنعيم ما تجروا! ربحوا الدارين وجمعوا الخيرين واستكملوا

الفضلين، بلغوا أفضل المنازل بصبر أيام قلائل، قطعوا الأيام باليسير، حذار أيام قمطير، وسارعوا

في المهلة، وبادروا خوف حوادث الساعات ولم يركبوا أيامهم باللهم واللذات، بل خاضوا

الغمرات لنباقيات الصالحات أو هن والله قوتهم التعب، وغير ألوانهم النصب، وذكروا ناراً ذات

لهب، مسارعين إلى الخيرات منقطعين عن اللذات يرسون من الريب والختاء، فهم خرس

فصحاء، وعُغمي بُصراء. فعنهم تقصّر الصفات، وبهم ترفع النقسات وعليهم تنزل البركات،

فهم أحلى الناس منطقاً ومذاقاً، وأوفى الناس عهداً وميثاقاً، سراج العباد ومنار البلاد، ومصابيح

الدجى ومعادن الرحمة، ومنايع الحكمة، وقوام الأمة، تجافت جنوبهم عن المضاجع، فهم أقبل

الناس للمعذرة وأصفحهم بالمغفرة وأسمحهم بالعطية، فنظروا إلى ثواب الله بأنفس زائقة، وأعين

رامئة، وأعمال موافقة، فخلوا عن الدنيا مطلي رحالهم، وقطعوا منها جمال آمالهم، لم يتدع لهم

خوف ربهم من أموالهم تليداً، ولا غنيداً، أفتراهم لم يشتهوا من الأموال كنوزها، ولا من

الأوبار خزورها ولا من المطايا عزيزها، ولا من القصور مشيدها، بلى ولكنهم نظروا بتوفيق الله عز وجل وإلهامه لهم فحرّكهم ما عرفوا بصبر أيام قلائل قضوا أبدانهم عن المحارم، وكفوا أيديهم عن أنوان المطاعم، وهربوا بأنفسهم عن المآثم، فسلكوا من السبيل رشادة، ومهدوا للرشد مهادة، فشاركوا أهل الدنيا في آخرتهم عزوا عن الرزايا، وغصص المتايا، هابوا الموت وسكراته، وكرباته وقجعاته، ومن القبر وضيقه، وممكر ونكير، ومن ابتدارهما وانتهارهما وسؤالهما ومن المقام بين يدي الله عز وجل.

وقال رضي الله عنه في نعت المشتاقين رضي الله عنهم

أخبرنا أبو الثناء عماد الدين بالموصل قال: أخبرنا تاج الإسلام أبو عبد الله قال: قال يوسف ابن الحسين وصف ذو النون المشتاقين فقال:

ساقهم من صريف المودة شربة فماتت شهوتهم في القلوب من خوف عواقب الذنوب، وذهلت أنفسهم عن المطاعم، من حذر فوت المناعم. في دار يستطاب فيها المكار قد أنجلوا الأبدان بالجرع والأحزان، وصفوا القلوب من كل كدر فهي معلقة بمواصلة المحبوب.

ثم قال يا حسن عرايس الأشجان في رياض الكتمان وقد تمت في صحن مروج القلوب، قد سقوه من ماء المني فالأحزان تبهجهم والشوق يقلقهم، ثم تنفس وقال:

شَوْقٌ أَضْرَبُ بِمُفْجَةِ الْمُتَشَاقِ وَحَزْنٌ سَوَّابٌ بِعَبْرَةِ الْأَمَاقِ
لَعِبْتُ يَدَ الْغَبَرَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ وَكُذِّبْتُ بِهَ لَعِبَتِ يَدُ الْأَشْوَاقِ

وقال في نعت الأبدال وتميزهم عن سائر الرجال رضي الله عنهم

أخبرنا يونس بن يحيى بن أبي الحسن الهاشمي، بمكة قال: أخبرنا أبو بكر يحيى بن أبي منصور، ثنا عبد الباقي بن محمد بن عبد الواحد الغزال قال: ثنا أبو الفضل حماد بن أحمد الحداد، قال: ثنا الحافظ أبو نعيم ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم قال: ثنا العباس بن يوسف الشكلي^(١) قال حدثني محمد بن عبد الملك قال: قال عبد الباري قلت لذي النون: صف لي الأبدال قال: إنك لتسألني عن دياجي الظلم لأكشفها لك.

(١) العباس بن يوسف الشكلي وكنيته: أبو الفضل كان من قدماء مشايخ بغداد، ومات رحمه الله يوم الأحد بالعشي في رجب سنة ٣٩٤ هـ. روى عن المعري السقضي، وكان صالحاً، كان يقول: من كان بالله مشغولاً فلا تسأله عن الإيمان. انظر ترجمته في: الخصب: تاريخ بغداد، ١٥٣/١٢، السلمي: طبقات الصوفية، هامش ٢١، الجملي: نفحات الأنس، ٢٢٠.

عبد الباري هم قوم ذكروا الله تعظيماً لرهبهم لمعرفتهم بجلاله فهم حجج الله على خلقه ألبسهم النور الساطع من محبته ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته، وأقامهم مقام الأبطال لإرادته، وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته، صَهَّر أبدانهم بمراقبته، وطبَّبهم بطيب أهل معاملته وكساهم خللاً من تسج مردته، ووضع على رؤوسهم تيجان كرامته، ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب، فهي معلقة بمواصلته، فيحومهم إليه نائرة وأعينهم إليه بالغيب ناظرة قد أقامهم على باب النظر من قربه، وأجلسهم على كراسي أطباء أهل معرفته.

ثم قال: إن أتاكم عليل من فقدي فداووه، أو مريض من تبرقي فعالجوه، أو خائف مني فأثمّوه، أو آمن مني فحذّروه، أو راغب في مواصلي فمشّوه، أو راحل نحوي فزودوه، أو جبان في متاجرئي فشجّعوه، أو آيس من فقدي فعذّوه، أو راج لإحساني فبشّروه، أو حسن الظن بي فباسطوه، أو محب لي فواظبوه، أو معظّم لقدري فعظّموه، أو مستوضع نحوي فأرشدوه، أو مسيء بعد إحسان فعاتبوه، ومن واصلكم في فواصلوه، ومن غاب عنكم فافتقدوه، ومن ألزمكم حناية فاحتملوه، ومن قصر في واجب حقّي فاتركوه، ومن أخطأ خطيئة فناصحوه، ومن مرض من أوليائي فعوذّوه، ومن حزن فبشّروه، ومن استجار بكم ملهوف فأجبروه، يا أوليائي لكم عاتيت، وفي إياكم رغب ومنكم الوفاء طلبت، ولكم اصطفت واثبتت، ولكم استخدمت واختصت لأنني لا أحب استخدام الجيارين ولا مواصلة المتكبرين، ولا مصافاة الخلطين، ولا مجاورة المخادعين، ولا قرب المعجيين، ولا مجالسة البطالين، ولا موالاة الشرهين، يا أوليائي حزائي لكم أفضل الجزاء، وعطائي لكم أجزل العطاء، وبذلي لكم أفضل البذل، وقضلي عليكم أكثر الفضل، ومعاملي لكم أوقى المعاملة ومطالبتي لكم أشد المطالبة. أنا مجتبي القلوب وأنا علام العيوب، أنا مراقب الحركات، أنا ملاحظ اللحظات، أنا المشرف على الخواطر، أنا العالم بمجال الفكر فكونوا دعاء الذي لا يعز عليكم ذو سلطان سوائي، فمن عاداكم عاديته، ومن والاكم واليته، ومن آذاكم آذيته، ومن أحسن إليكم جازيته، ومن هجركم قليته.

وقال أيضاً في نعت أهل الحبة والوفاء المخصوصين بتجليات الصفاء رضي الله عن جميعهم

وما وصف رضي الله عنه أحداً من الطائفة بصفة قدسية إلا وكان هو الراقي في ذروتها والمحل الأقدس لها.

أخبرنا يونس بن يحيى بن أبي الحسن الهاشمي العباسي رضي الله عنه بمكة، قال، ثنا يحيى

ابن عبد الله بن محمد بن جعفر من أصله، ثنا أبو بكر الدينوري^(١) المفسر سنة ثمان وثمانين ومائتين، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي^(٢) قال: سمعت ذا النون يقول:

إن لله عبداً ملأ قلوبهم من صفاء محض محبته، وهيج أرواحهم بالشوق إلى رؤيته، فسبحان من شوق إليه أنفسهم، وأدنى منه همهم، صفت له صدورهم، سبحانه موفّقهم ومؤنس وحشّتهم، وطيب أسقامهم.

إلهي لك تواضعت أبدانهم، وإلى الزيادة منك انبسطت أيديهم فأذقتهم من حلاوة الفهم عنك ما طيب به عيشهم، وأدمت به نعيمهم، ففتحت لهم أبواب سمواتك، وأبحت لهم الجولان في ملكوتك، بك أنست محبة الحبين، وعليك معول شوق المشتاقين، وإليك حنت قلوب العارفين، وبك أنست قلوب الصادقين، وعليك عكفت رهبة الخائفين، وبك استجارت أفئدة المقصّرين، قد يئست الراحة من فتورهم، وقأ طمع الغفلة فيهم، فهم لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا يعينهم، ولا يفترون عن التعب والسهر بالسننهم، ويتضرعون إليه بمسكنتهم، ويسألونه العفو عن زلاتهم والصفح عما وقع الخطأ به في أعمالهم.

فهم الذين ذابت قلوبهم بفكر الأحزان، وخدموه خدمة الأبرار، الذين توقفت قلوبهم بسره وعاملوه بخالص من سره حتى خفيت أعمالهم على الحفظة، فوقع بهم ما أملوا من عفو، ووصلوا إلى ما أرادوا من محبته. فهم والله الزهاد السادة من العباد الذين حملوا أثقال الزمان فلم يألموا بحملها وتقروا في مواطن الامتحان فلم تزل أقدامهم عن مواضعها حين مال بهم الدهر، وهانت عليهم المصائب، وذهبوا بالتصدق والإخلاص عن الدنيا.

إلهي: فيك نالوا ما أمّلوا، كنت لهم سيدي مؤيداً، ولعقولهم مؤدياً، حتى أوصلتهم أنت إلى مقام الصادقين في عملك، وإلى منازل المخلصين في معرفتك، فهم إلى ما عند سيدهم متطلعون، وإلى ما عنده من وعيده ناظرون، ذهب الآلام عن أبدانهم لما أذاقهم من حلاوة مناجاته، ولما أفادهم من طرائف الفوائد من عنده.

فيا حسنهم والليل قد أقبل بخنادس ظلمته، وهذأت عيونهم عنهم بأصوات خليقته، وقد قاموا إلى سيدهم الذي له يأملون، فلو رأيت أيها البطل أحدهم وقد قام إلى صلاته، فلما وقف

(١) أبو بكر أحمد بن داود بن أحمد أبو حنيفة الدينوري، كان ثعلبياً وروياً ثقة، ورعاً، زاهداً، وصنف في كثير من العلوم من كتاب تفسير القرآن، ولحن العامة، الشعر والشعراء، النبات، إصلاح المنطق، وغير ذلك. توفي رحمه الله سنة ٢٨٨هـ، وقيل سنة ٢٩٠هـ.

انظر ترجمته في: الداء في طبقات المفسرين، ٤٢/١، كتبخانة معجم المؤلفين، ٣١٨/٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ٧٢/١، القفطي إنباه الرواق، ٤١/١.

(٢) محمد بن أحمد الشمشاطي، انظر ما تقدم من ترجمته الشمشاطي.

في مجراه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، فاتحله قلبه وذهل عقله، فقلوبهم في ملكوت السموات معلقة، وأبدانهم بين يدي الخلق عارية وهمومهم بالتفكر دائمة، فما ظنك بأقوام أخيار أبرار، قد خرجوا من رزق الغفلة واستراحوا من وثاق الفترة، وأنسوا بيقين المعرفة، وسكنوا إلى روح الحياة والمراقبة، بلغنا الله وإياكم هذه تأملوا وفقكم الله ما أدرج في هذه النعوت من الأسرار والفوائد تروا عجباً.

وقال أيضاً في:

نعت النجباء والمستخلصين والأصفياء الأوصياء (رضوان الله على جميعهم) وريحانه

أخبرنا محمد بن اسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، ثنا محمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول:

إن لله خالصة من عباده، ونجباء من خلقه، وصفوة من برئته، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها في الملكوت معلقة، أولئك نجباء الله من عباده، وأمناء الله في بلاده والدعاة إلى معرفته والوسيلة إلى ذنبه، وهيئات بعدوا وفاقوا ووارتبه بطون الأرض وفاجها على أنه لم تخل الأرض من قائم لله بحجته على خلقه لأن لا تبطل حجج الله، ثم قال: وأين أولئك قوم حجبه الله عن آفات الدنيا وفنتها ألا وهم الذين قطعوا أودية الشكوك باليقين، واستعانوا على أعمال الفرائض بالعلم، واستدلوا على فساد أعمالهم بالمعرفة، وهربوا من وحشة الغفلة، وتسربوا بالعلم لإبقاء الجاهالة، واحتجزوا عن الغفلة بخوف الوعيد وجدوا في صدق الأعمال، لإدراك القوت، وخلوا عن مطامع الكذب، ومعانقة الهوى وقطعوا عرى الارتباب بروح اليقين، وجازوا ظل الدجى وأدحضوا حجج المبتدعين باتباع السنن، وبأدروا الانتقال عن المكروه قبل فوت الإمكان، وسارعوا في الإحسان تعريضاً للنعوذ عن الإساءة، وثلثوا النعم بالشكر استجلاباً لمزيدة وجعلوه نصب أعينهم عند خواطر انهمم وحركات الجوارح من زينة الدنيا وغرورها، فزهّدوا فيها عيانياً، وأكلوا منها قصداً، وقدموا فضلاً، وأحرزوا ذخراً، وتزوّدوا منها التقوى وشقروا في طلب النعيم بالسير الحثيث والأعمال الزكية، وهم يظنون بل لا يشكون أنهم مقصرون وذلك أنهم عقلوا فغرفوا، ثم اتقوا وتفكروا، ثم تفكروا فاعتزوا حتى أبصروا فلما أبصروا استولت عليهم طرقات أحزان الآخرة فقطع بهم الحزن حركات ألسنتهم عن الكلام من غير وعي خوفاً من الترتين فيسقطنوا من عين الله فأمسكوا، وأصبحوا في الدنيا مغنومين، وأمسوا فيها مكروبين مع عقول صحيحة ويقين ثابت وقلوب شاكرة، وألسن ذاكرة، وأبدان وجوارح مطيعة، أصل صدق وتصح وسلامة، وذكر، وحياء، وصبر، وتوكل، ورضا، وإيمان، عقلوا عن الله أمره فشغلوا

الجوارح فيما أمروا به، وقطعوا الدنيا بالصبر على لزوم الحق، وهجروا الهوى بدلالات العقول، وتمسكوا بحكم التنزيل وشرائع السنن، ولهم في كل تارة منها دمة ولده وفكره وعبره لهم مقام على المزيد للزيادة. فرحمة الله علينا وعليهم وعلى جميع المؤمنين والصالحين.

وقال أيضاً في نعت السائرين أصحاب الثّجب والحُجب رضوان الله عليهم وروحه وريحانه

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا ابن أبي منصور بن محمد، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا أبو بكر الدينوري، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي قال: سمعت ذا النون يقول:

«إِنَّ لله عبداً ففتقوا الحُجب، وعلوا الثّجب، حتى كشفت لهم الحجب، فسمعوا كلام الرب.

«إِنَّ لله عبداً على الأرائك يسمعون كلام الله إذا كلم الحُجبين في المشهد الأعلى، لأنهم عبدوه سرّاً فأوصل إلى قلوبهم طرائف البر. عملوا ببعض ما علموا، فلما وقفوا في الظلام بين يديه هدى قلوبهم إلى ما لا يعلمون فحسرت ألبيّتهم لمعرفة الوقوف بين يديه.

وقال أيضاً في نعت العابدين أهل الرياضة

وبالإسناد:

عن محمد بن أحمد الشمشاطي قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

إِنَّ لله عبداً أسكنهم دار السلام فأخمسوا البطون عن مطاعم الحرام، وأغمضوا الجفون عن مناظرة الآثام، وقيدوا الجوارح عن فضول الآثام وطووا الفرش وقاموا على الأقدام في جفون الظلام. فطلبوا الحور الحسنان من الحي الذي لا ينام، فلم يزلوا في نهارهم صياماً، في ليالهم قياماً، حتى أتاهم ملك الموت عليه السلام.

وقال في نعت الحائفين وحلية أهل الخشية الخاشعين

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن إبراهيم حدثني سالم بن جميل الواسطي قال: سمعت الشمشاطي يقول: قال ذو النون: وقد ذكر ما ذكر الله لموسى في أوليائه وهو ما ذكرناه في باب الوصايا والنصائح، فقال ذو النون:

هم يا أخي قوم قد ذوّب الحزن أكبادهم، ونحل الخوف أجسامهم. وغير السهر ألوانهم، وأفلق خوف البعث قلوبهم، قد سكنت أسرارهم إليهم وتدللت قلوبهم عليه فتوسّسهم عن

الطاعة لا تشلو وقلوبهم من ذكره لا تخلو، وأسرارهم في الملكوت تعلو لخشوع يخشع إذا
سكتوا. والدموع تخبر عن حفي حرقهم إذا كمدوا، وقد سدوا فرج الشهوات بحلاوة المناجاة،
فليس للغفلة عليهم مدخل، ولا للهوى فيهم عطمع، وقد حجب التوفيق بينهم وبين الآفات،
وحالت العصمة بينهم وبين اللذات، فهم على بابه يكون، وإليه ييكون، ومنه يكون فيا طوبى
للعارفين ما أهنأ عيشهم، وما أئد شربهم، وما أجل حبيبهم.

وقال في نعت الصادقين في أحوالهم مع الله سبحانه

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا أبو بكر الدينوري، ثنا محمد بن أحمد
الشمشاطي قال: سمعت ذا النون يقول:

إن لله عبداً عاملاً بالتصديق فعداً يسلمون من صراط دقيق، ويفتح لهم حجاب المضيئ،
ويسامحهم الشفيق الرقيق، جعلوا الصيام غداً يسكنون مع الخور في الشرفات، ويأكلون مما
اشتهت أنفسهم من الشهوات في جنات عدن مع القاصرات، وقد أتاها جبريل بالزيادة من
صاحب السموات فمن مثل هؤلاء القوم، وقد كشف لهم حجاب عالم الخفيات، ونظر إليهم
صاحب البر والكرامات.

وبالإسناد: في نعت الثائرين

وقال ذو النون: إن لله عبداً علموا أن الخريق إليه، والوقوف غداً بين يديه، فثارت القلوب
إلى محجوب الغيوب فتخرجوا مرارة مذاق خوف الخافات، واستغنوا الظلام في رضا صاحب
السموات، فسفاهم من أعين العمى والزيادات، وغوصهم في بحار السلامة، فهم غداً يسلمون
من أهوال الزلازل والسيوفات، فيسكنون الغرفات.

وبالإسناد: في نعت المهيمومين

عن أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان.
قال أحمد بن عبد الله وحده: محمد بن إبراهيم بن أحمد قال: قرأت على أبي الفضل
محمد بن أحمد بن سهل، حدثكم أبو عثمان سعيد بن عثمان الخياط قال: سمعت ذا النون،
وسأله الحسين بن محمد عن صفة مهيمومين فقال له ذو النون:

لو رأيتم رأييت قوماً نهم هموم مكتوبة. تحقت من ناب المعرفة فإذا وصلت المعرفة إلى
قلوبهم سقاها بكأس سر السوء من مؤاسة مبر محبته، فهاهو بالشوق على وجوههم فعندما لا
يحيطون بحال النهم، إلا بعداء محبوبيهم، فهو رأييتهم رأييت قوماً قد أزعجتهم الهمم عن

أوطانهم، وثبتت الأحزان في أسرارهم فهمهم إليه سائرة وقلوبهم إليه من الشوق طائرة قد أضجعت الخوف على فرش الأنعام، وذبحهم الرجاء بسيف الانتقام، وقطع لياط قلوبهم كثرة بكانهم عليه، وزهقت أرواحهم من شدة الولة إليه، قد هذ أجسامهم الوعيد، وغير ألوانهم السهر الشديد، إلى الهرب من المواطن والمساكن والأغلاق، إلى أن تفرقوا في الشواهد والغياض والآكام، أكلهم الحشيش وشربهم الماء القراح، يتلذذون بكلام الرحمن، ينوحون به على أنفسهم نوح الحمام، فرحين في خلواتهم لا تقتر لهم جارحة في الخلوات ولا تستريح لهم قدم تحت ستور الظلمات، فيا لها نفوس طاشت بهمها، والمسارة إلى مجيئها فما أملت من اتصال النظر إلى ربها فنظرت فأنست ووصلت وعرفت ما أراد بها فركبت اللجب، وفتت الحجب حتى كشفت عن همتها الكرب، فنظرت بهم مجيئها إلى وجه الله الواحد القهار، ثم أنشأ ذا النون يقول:

رجال أطاعوا الله في السر والظهر	فما شروا اللذات جناً من الذخر
أناس عليهم رخصة الله أنزلت	فظلوا سكوناً في الكهوف وفي القفر
يراعون نجم الليل لا يرقذونه	فباتوا بإذمان الشهد والظفر
فداخل هم القوم للخلق وخشة	فعاخ بهم أنس الجليل إلى الذكر
فأجسامهم في الأرض هونا مقيمة	وأرواحهم تشرى إلى معدن الفخر
فهذا نعبه القوم إن كنت تبغني	وتغفل عن مولاك آداب ذي القدر

ومن روايته في هذا الباب

ما حدثنا به عبد العزيز بن أبي نصر، عن يحيى بن عبد الباقي، ثنا أحمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا قنبر بن الحسين الصوفي، ثنا أحمد بن محمد بن الفضل، ثنا أبو الحسين الرازي، ثنا يوسف بن الحسين. قال: سمعت ذا النون يقول: سمعت عابداً يقول: إن لله عبداً أبصروا فبصروا، فلما نظروا عقلوا، فلما عقلوا علموا، فلما علموا انتفعوا، فلما انتفعوا نفعا، فلما نفعا رفع الحجاب فيما بينهم وبينه، فنظروا بأبصار قلوبهم إلى ما دخر لهم من حفي محبوب العيوب فقتعوا كل محبوب. وكان هم مني والمصاب.

وسيرد من هذا الباب كثير إذا ذكرنا من تقي من العابدات والعابدات في البلدان والبراري والخيال وسواحل البحار وغير ذلك إن شاء الله.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن عيسى، ثنا أحمد بن محمد بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا أحمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله.

أَنشدنا عثمان بن محمد العثماني قال: أَتشدتي العباس بن أحمد لذِي النون المصري رحمه الله:

إِذَا ارْتَحَلَ الْكَرَامُ إِلَيْكَ يَوْمًا لَيْلًا مَشُوكَ خَالًا بَعْدَ خَالٍ
فَبِإِنْ رَحَالَنَا حَطَّتْ لِيَرْضَى بِحُكْمِكَ عَنْ حُلُولٍ وَازْجَالٍ
أَبْخُتَا فِي فَنَائِكَ يَا إِلَهِي إِلَيْكَ مُعْرِضِينَ بِأَغْتِلَالٍ
فُسُسْنَا كَيْفَ بَشَتْ وَلَا تَكَلَّنَا إِلَى تَذْيِيرِنَا يَا ذَا الْمَعَالِي

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله قال، ثنا أحمد بن محمد، ثنا الحسين بن علي بن خلف قال: سمعت إبراهيم بن خلف قال: سمعت إسماعيل يقول: أَنشدنا ذو النون بن إبراهيم المصري:

تَرْجِعُ مَرَضَ وَخَوْفَ مُطَالِبٍ وَاشْفَاكَ مَهْمُومٍ وَحُزْنَ كَثِيبٍ
وَلَوْعَةَ مُشْثَاكِ وَزُمْرَةِ وَالِهِ وَسُقُطَةَ مَشَقَّامٍ بِغَيْرِ طَبِيبٍ
وَفَكْرَةَ جَوَالٍ وَفُطْنَةَ غَائِضِ لِيَأْخُذَ مِنْ طَبِيبِ الصَّفَا بِتَصِيبٍ
أَلْتُ بِقَلْبٍ حَيْرَتُهُ طَوَارِقُ مِنْ الشَّوْقِ خَشَى ذُلُّ ذُلِّ غَرِيبٍ
بِكَاثِمٍ لِي وَجَدًا وَنَحْفِي مُحِبَّةً ثَوْتُ قَاسِشِكُنْتُ فِي فُؤَادِ لَبِيبٍ
خَلَا فُهُمُهُ مِنْ فُهُمِهِ لِحُضُورِهِ قَبْلَ فُهُمِهِ فَهُمْ عَلَيْهِ رَقِيبٍ
يَقُولُ إِذَا مَا شَقُّهُ الشَّوْقُ وَاحِدِي بِكَ الْغَيْشِ يَا أَنَسَ الْمُحِبِّ يَطِيبُ
فَهَذَا لِعَمْرِي عَبْدٌ صَادِقٌ مُهْدَبٌ صَفَا فَاصْطَفَى فَالزُّبُ مِنْهُ قَرِيبُ

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا ابن أبي منصور، ثنا أحمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، ثنا أحمد بن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصري - وذكر يوماً علو المراتب، وقرب الأولياء وفوائد الأصفياء، وأنس المحبين - فأنشأ يقول:

وَفَحِثِ إِلَاهَ فِي غَيْبِ أَنَسٍ مَلِكِ الْقَدَرِ خَادِمِ الَّذِي عَمِدُ
هُوَ عَيْبَةُ وَزَيْهِ خَيْرُ رَبِّ مَا لِقَلْبِ الْفَقَى عَنِ اللَّهِ صَدُ

وَأَنشد ذو النون في باب التوكل

أَنشد عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد قال: قرئ على أبي الحسن الرازي قال: قرئ على ابن الحسين قال: قال ذو النون:

يَجُودُ الْغِنَى وَالْعِزُّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ كَانَ مَوْلَاهُ حَسْبَهُ
إِذَا تَطَيَّبَتْ نَفْسِي بِمَقْدُورِ حَظِّهَا
وَلِذِي النُّونِ مِنْ بَابِ الْقِنَاعَةِ

وبالإسناد:

لَبِثْتُ بِالْعَفَّةِ تَوْبَ الْغِنَى
أَنْطَقَ لِي الصَّبْرُ لِسَانِي فَمَا
إِذَا زَايَتْ النَّيَّةُ مِنْ ذِي الْغِنَى
وَقَالَ أَيْضاً فِي بَابِ التَّقَشُّفِ:

بالإسناد:

لَبَدَّ قَرْوَمٌ فَأَسْرَفُوا وَرَجَالٌ تَقَشَّفُوا
جَعَلُوا الْهَمَّ وَاجِداً وَفَضُّوا كَمَا كَانُوا
بِالْفَتَيَانِ جُئَّةً أَثَرُوهَا فَأُسْعِفُوا

وقال أيضاً في:

باب نعت قلوب العارفين

أخبرنا محمد بن اسماعيل قال، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد قال المحمّدان بن ناصر
وابن عبد الباقي قالّا ثنا حمّد بن أحمد قال أحمد بن عبد الله، قال ثنا محمد بن محمد بن
مقسم، قال: سمعت الحسن بن علي بن خلف يقول: قال لي إسماعيل الشدني ذو النون:

مَجَالُ قُلُوبِ الْعَارِفِينَ بِرَوْضَةٍ
مُغْنِكُهَا فِيهَا وَمَجْنَى ثِمَارِهَا
تَكْتَفِيهَا مِنْ عَالَمِ الشَّرِّ قُرْبَةٌ
وَأَزْوِي ضِدَّهَا صِرْفٌ كَاسَاتِ حُبِّهِ
فِيهَا لِقُلُوبٍ قُرْبَتْ فَتَقَرَّبَتْ
رَضِيهَا قَارَضَاهَا فَحَازَتْ^(١) مَدَى الرِّضَا
لَهَا مِنْ لَطِيفِ الْفَهْمِ عَزْمٌ سَرَتْ بِهِ

(١) غير واضحة في نسخة المخطوط.

أُنشدنا عثمان بن محمد العثماني قال: أُنشدني العباس بن أحمد لذي النون المصري رحمه الله:

إِذَا ارْتَحَلَ الْكَرَامُ إِلَيْكَ يَوْمًا
فَبِإِنْ رَحَلْنَا حَطَّتْ لِرَضَى
أُنْحَنَا فِي فِتَائِكَ يَا إِلَهِي
فَقَسَمْنَا كَيْفَ شِئْتَ وَلَا تَكَلَّنَا
لِيَلْعَمُوكَ خَالًا بَعْدَ خَالٍ
بِحُكْمِكَ عَنْ حُلُولٍ وَارْتِحَالٍ
إِلَيْكَ مُغْرَضِينَ بِلَا اِغْتِيَالٍ
إِلَى تَذْيِيرِنَا يَا ذَا الْمَقَالِي

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله قال، ثنا أحمد بن محمد، ثنا الحسين بن علي بن خلف قال: سمعت إبراهيم بن خلف قال: سمعت إسماعيل يقول: أُنشدنا ذو النون بن إبراهيم المصري:

نَرْجِعُ مَرَضَ وَخُوفٍ مُطَالِبٍ
وَلَوْعَةَ مُشْتَاكِ وَزُفْرَةٍ وَالِهِ
وَفَكْرَةَ جَوَالٍ وَفُطْنَةَ غَائِضٍ
أَلْتُ بِقَلْبٍ خَيْرَتُهُ طَوَارِقُ
يَكَاثُمُ لِي وَجْدًا وَتُخْفِي مَحَبَّةً
خَلَا فُتْنُهُ مِنْ قُتْبِهِ لِحُضُورِهِ
يَقُولُ إِذَا مَا شَقَّ الشُّوقُ وَاحِدِي
فَهَذَا لِعُمْرِي عَبْدٌ صَادِقٌ مُهَذَّبٌ
وَإِشْفَاقٌ مَهْمُومٌ وَخُزْنٌ كَثِيبٌ
وَسَقَطَةٌ مِثْقَالٍ بِقَيْرٍ طَبِيبٌ
لِيَأْخُذَ مِنْ طَيْبِ الصُّفَا بِتَصْبِيبٍ
مِنَ الشُّوقِ حَتَّى ذُلُّ ذُلٍّ غَرِيبٍ
ثَوْتُ فَاشْتَكَاكَ فِي فُؤَادٍ لَبِيبٍ
فَمِنْ فُتْنِهِ قُتْبُهُ عَلَيْهِ رَقِيبٌ
بِكَ الْغَيْشِ يَا أُنْسَ الْغَيْبِ بِطَبِيبٍ
صَفَا فَاصْطَفَى فَالَرَّبِّ مِنْهُ قَرِيبٌ

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا ابن أبي منصور، ثنا أحمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، ثنا أحمد بن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصري - وذكر يوماً علو المراتب، وقرب الأولياء وفوائد الأصفياء، وأُنْسَ المحبين - قائلاً يقول:

وَمُحِبِّ إِلَهِ فِي غَيْبٍ أُنْسٍ
هُوَ عَبْدٌ وَزَيْلُهُ خَيْرُ رَبِّ
مَلِكِ الْقَدَرِ خَادِمُ الَّذِي عَبْدُ
مَا لِقَلْبِ الْفَتَى غِنَى اللَّهُ صَدُّ

وأُنشد ذو النون في باب التوكل

أُتِيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي تَصْرٍ، ثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي، ثَنَا أَبُو الْفَضْلِ بْنُ أَحْمَدَ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، ثَنَا عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرَّازِي قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى ابْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ قَالَ ذُو النُّونِ:

يَجُولُ الْغِنَى وَالْعِزُّ فِي كُلِّ مُوْطِنٍ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ كَانَ مَوْلَاهُ حَشْبُهُ
إِذَا نَضَيْتَ تَفْسِي بِمَقْدُورِ حَظِّهَا
وَلِذِي النُّونِ مِنْ بَابِ الْقِنَاعَةِ

وبالإسناد:

لَبِثْتُ بِالْعِفَّةِ تَوْبَ الْغِنَى
أَنْطَقَ لِي الصَّبْرُ لِسَانِي فَمَا
إِذَا زَأَيْتَ التَّيْهَ مِنْ ذِي الْغِنَى
وَقَالَ أَيْضاً فِي بَابِ التَّقَشُّفِ:

بالإسناد:

لَذَّ قَوْمٌ فَأَسْرَفُوا وَرَجَالٌ تَقَشَّفُوا
جَعَلُوا الْهَمَّ وَاحِداً وَمَطُّوا كَمَا كَانُوا
بِالْمُضْطَّيْنِ جُئْتُهُ أَتْرَوْهَا فَأُسْجِفُوا

وقال أيضاً في:

باب نعت قلوب العارفين

أخبرنا محمد بن اسماعيل قال، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد قال الحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالوا ثنا حماد بن أحمد قال أحمد بن عبد الله، قال ثنا محمد بن محمد بن مقسم، قال: سمعت الحسن بن علي بن خلف يقول: قال لي إسماعيل أنشدني ذو النون:

مَجَالُ قُلُوبِ الْعَارِقِينَ بِرُوضَةٍ
مُعْتَكِرُهَا فِيهَا وَمَجْنَى تَمَارِهَا
تَكْشِفُهَا مِنْ عَالَمِ السِّرِّ قُرْبَةٌ
وَأُزْوِي صَدَاها صِرْفَ كَاسَاتِ حَبِيبِهِ
فِيهَا لِقُلُوبٍ قُرْبَتْ فَتَقَرَّبَتْ
رَضِيهَا فَأَرْضَاهَا فَحَازَتْ^(١) مَدَى الرِّضَا
لَهَا مِنْ لَطِيفِ الْفَهْمِ عَزَمَ سِرَّتِ بِهِ

(١) غير واضحة في نسخة الخطوط.

فإن فقدت خوف الفراق لآلئها
إذا مت حيناً تطلب الأنس من قرب
سرى سرها بين الحبيب وبثها
واضحى مضوناً عن سوى الرب في القلب
قال أيضاً في:

باب الحمد والثناء على الله تبارك وتعالى

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر بن المبارك بن محمود قال أنبأ أبو بكر بن الغزال قال: ثنا أحمد بن أحمد قال ثنا أحمد بن عبد الله قال: ثنا في كتابه محمد بن أحمد البغدادي أبو بكر وقد رأيته، وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني قال: أنشدني محمد بن عبد الملك بن هاشم لذي النون بن إبراهيم المصري رحمة الله عليه:

الحمد لله حمداً لا نفاذ له
ويعجز اللفظ والأوهام مبلغه
بلء السموات والأرضين خلقت
وضعف ما كان أو ما قد يكون إلى
وضعف ما دارت الشمس الشروق به
وضعف أنعمه في كل جارية
شكراً لما عشنا من فضل نعمته
ربي تعالى فلا شيء يحيط به
لا الأئین والحيث والشكيف يذكركه
وكيف يذكركه حمد ولم تزد
أم كيف يذكركه وهم بلا سنة
من أنشأ الشيء قبل الكون مبدعاً
ودهر الدهر والأوقات واختلقت
إذ لا اسماء ولا أرض ولا شبح
ما ازداد باخلاق ملكاً حين أنشأهم
وكيف وهو غيب لا اقتقار له
ولم يدع خلق ما لم يجد خلقه
إحاطة بجميع الغيب عن قدر
وكلهم باضطرار الفقر مغترف

حمداً يفوت مدى الإحصاء والغد
حمداً كثيراً كإحصاء الواحد الضمد
وزوتهن وضعف الضعف في الغد
يوم القيامة أو يفنى مدى الأبد
وما أخفى في سماء أو ترى جدد
وكل نفس والحبس والحبس يد
من الهدى ولطيف الضئع والزبد
وهو المحيط بنا في كل مرتصد
ولا يجد بمقدار ولا أمد
عين وليس له في المثل من أحد
وقد تعالى عن الأشباه والولد
من غير شيء قديم كان في الأبد
بما يشاء فلم تنقص ولم تزد
في الكون سبحانه من قاهر صمد
فلا يريد بهم دفعا لمضطهد
وخلق يضطر بالضرير والأود
عجزاً على سرعة منه ولا ثود
أخصى به كل موجود ومفتقد
إلى فواضله في كل معتمد

العالم الشيء في تضريف حاله
وعلم السر من جوى القلوب وما
ويسمع الجنى من كل الورى ويرى
وما توارى عن الأبصار في ظلم
الأول الآخر القرد المهيم لم
ذاب على غلب لا يزال له
وجل في الكنه عن وصف الصفات عن
من لا يجازى بنعمى من قواضيه
وكل فكرة مخلوق إذا اجتهدت
مسيح بلغات العارفات به
الفالق الثور والظلمات وهي على
إذ مدها قد فوق الريح منشئها
وشدها بالجمال الضم فاضادت
برا السموات سقفا ثم أنشأها
تقلهن مع الأرضين قدرته
وبت فيها ضنوقا من تدابيره
من كل جنس برا أصنافه
فيها الملايك بالشمس خاضعة
فمنهم تحت سوق العرش أربعة
فكل ذي خلفه يدعو المشيئة
يرى السماء بزوجا من كواكبها
منها جواد ومنها راكد أبدا
والشهب تحرق فيما بيتهن إلى
وكل منشرق للسمع يشبهه
ويرفع الغيم في إغصانها فترا
على هواء دقيق في لطافته
وضئ الموث فوق الخلق لا يحا
فالوث مبيت وكل هالكون خلا

ما عاد مثله وما ينقصي ولم يعد
يخفى عليه خفى حال وفي غلب
مدارج الدبر في صفوانه الجلب
تحت الثرى وقزار الغمر والشمب
يعزب ولم يذكر في القزب والبعد
ولم ير ألبا غير ذي فقد
مقال ذي الشك والإحاد والفنيد
ولم تبليه بتدح وصف مستهد
بمدحة لم نول إلا إلى بلد
لم تدبر ما غيره ربا ولم تحيد
ما تقاذف بالأمواج والزبد
فستبحث وهي فوق الماء في ميد
أزكائها بعداد الصخر والجلد
سبعاً طباقاً بلا عوز ولا عمد
وكل ذلك لم يشقل ولم يؤد
من الخلائق من مشنى ومن وحد
وهر أشباحه بين مكسور ومثجرد
لا ينامون طوال الدهر والأمد
كالثور والنسر والإنسان والأسد
في الخلق بالعيشة الرضية الرغد
يحريين في فلك الأفلاك في كبد
والقطب في مركز متهن كالوئد
قدف الشياطين من جناتها الرد
منها شهاب نجوم دائم الرصد
فيها الصواعق بين الماء والبرد
يحيى به كل ذي روح وذو جسد
منه ولا هرت منه إلى سدد
وجه الإله الكريم الدائم الصمد

أَفَنى الْقُرُونِ وَأَفَنى كُلِّ ذِي عُمْرٍ
يَا رَبِّ إِنَّكَ ذُو غَفْرِ وَغَفِيرَةٍ
وَأَجْعَلْ إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ مَوْثِقَنَا
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَمِ مِنْ قَلِيلٍ
وَمِنْ رَوَايَتِهِ فِي نَعْتِ الْعَارِفِينَ

وبالإسناد:

عن أحمد بن عبد الله، ثنا ابن مقسم قال سمعت أبا محمد يقول: سمعت إسرائيل يقول: سمعت ذا النون يقول: سمعت بعض المتعبدين بساحل بحر الشام يقول:

إن لله عباداً عَرَفُوهُ بيقين من معرفته فشمروا قصداً واحتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب، صحبوا الدنيا بالأشجان، وتنعموا بطول الأحزان، فما نظروا إليها بعين راغب، وما تزودوا منها إلا كزاد راكب، خافوا البيات فأسرعوا، ورجوا النجاة فأزمعوا، بدلوا متهج أنفسهم في رضا سيدهم، نصبوا الآخرة نصب أعيانهم وأصغوا إليها بأذان قلوبهم، فلو رأيتهم رأيت قوماً ذليلاً شفاههم، خمصاً بطونهم، حزينة قلوبهم ناحلة أجسامهم، باكية أعينهم لم يصحبوا العلل والتسويف، وقنعوا من الدنيا بقوت طفيف ليسوا من اللباس أطماراً بالية، وسكنوا من البلاد قفاراً خالية، هربوا من الأوطان واستبدلوا الوحدة من الأخدان، فلو رأيتهم رأيت قوماً قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر، وفصل الأعضاء منهم بختاجر التعب، حصص لظول السرى، شعث لفقد الكرى، قد وصلوا الكلال بالكلال، وتأهبوا للنقلة والارتحال رضي الله عنهم.

**باب في ذكر من لقي من العابدين المجتهدين والعبادات
بالبلاذ والسواحل والجبال والشعاب وما نقل عنهم،
من الأحوال رضوان الله عليهم ورحمته، وروحه وريحانه**

فمنهم رضي الله عنهم شات كان حضر مجلسه رضي الله عنه

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد قال ثنا أحمد بن أحمد المتوكل قال ثنا أحمد بن علي بن ثابت، ثنا علي بن القسم الشاهد قال: سمعت أحمد بن محمد بن عيسى الرازي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول:

كان شاب يحضر مجلس ذي النون المصري مدة ثم انقطع عنه زماناً ثم حضر عنده وقد اصفر لونه وتحل جسمه وظهرت آثار العبادة عليه والاجتهاد، فقال له ذو النون:

يا فتى ما الذي أكسبك خدمة مولاك واجتهادك من المواهب التي منحتك بها، ووهبها لك واختصك بها؟ فقال الفتى: يا أستاذ، وهل رأيت عبداً اصطبعه مولاة من بين عبيده واصطفاه وأعطاه مفاتيح الخزائن ثم أسر إليه سراً أحسن أن يفشي ذلك السر ثم أنشأ يقول:

مَنْ سَارَّوْهُ فَأَبْدَى السِّرَّ مُجْتَهِداً لَمْ يَأْمُرْهُ عَلَى الْأَسْرَارِ مَا عَاشَا
وَسَاغِدُوهُ فَلَمْ يَسْعُدْ بِقُرْبِهِمْ وَأَنْذَلُوهُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِحْشَا
لَا يَضْطَفُونَ مُذِيعاً بَعْضُ سِرِّهِمْ حَاشَا وَذَاذِهِمْ مِنْ ذَلِكَ حَاشَا

أخبرنا: الشاب في هذه الحكاية ذا النون من حيث لا يشعر الحاضرون أنه أفاده علم الأسماء الإلهية، ثم أسر إليه من جملة ما أمر إشارة إلى الكتمان فإن المجالس بالأمانة وهذا جليس الحق فأخبر أنه الأمين العليم.

ومنهم رضي الله عنهم شاب اجتمع به في مجلسه الكريم رضي الله عنهما

أخبرنا محمد بن إسماعيل قال ثنا أبو الفرج بن علي قال: ثنا أبو بكر بن حبيب النعماني قال: ثنا علي بن أبي صادق قال: ثنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي قال: ثنا بكر بن أحمد الجيلي قال: سمعت يوسف بن الحسين قال: كنت قاعداً بين يدي ذي النون وحوله ناس وهو يتكلم عليهم والناس يكون وشاب يضحك فقال له ذو النون: ما لك أيها الشاب الناس يكون؟

فأنشأ يقول:

كُلُّهُمْ يَغْبُدُونَ مِنْ خَوْفِ نَارِ وَيَرُونَ النَّجَاةَ خَطًّا جَرِيلاً
لَيْسَ لِي فِي الْجِنَانِ وَالنَّارِ رَأْيٌ أَنَا لَا أَنْتَفِي بِخُبْرِي بِدِيلَا
فقال له: فإن طردك فماذا تفعل؟

فأنشأ يقول:

فَإِذَا لَمْ أَجِدْ مِنَ الْحُبِّ وَضْلاً رُمْتُ فِي النَّارِ مَنُزْلاً وَمَقِيلاً
ثُمَّ أَعْجَبْتُ أَهْلَهَا بِبُكَائِي بُكْرَةً فِي ضَرَبِعِهَا وَأَصِيلاً
مَغْشَرِ الْمُشْرِكِينَ نُوحُوا عَلَيَّ أَنَا عَبْدٌ خَيْرٌ مَوْلَى جَلِيلاً
لَمْ أَكُنْ فِي الذِّمِّ أَدْعِيَتْ مُجِباً فَجَزَانِي مِنْهُ الْعَذَابُ الطَّوِيلَا

ومنهم شاب عجمي غريب اجتمع به في مسجده رضي الله عنه

أخبرنا محمد بن إسماعيل قال، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد قال، ثنا عمر بن ظفر

قال، ثنا جعفر بن أحمد السراج، ثنا عبد العزيز بن علي الأزجي، ثنا علي بن عبد الله بن جهضم، ثنا عباس بن أحمد، حدثني عيسى بن محمد، حدثني أحمد بن علي الأحمسي قال: كنا ذات يوم عند ذي النون وقد ذكر كرامات الله عز وجل لأوليائه فقال بعض حضره: أنت رأيت منهم أحداً يا أبا الفيض.

فقال ذو النون: كان عندي فتى من أهل خراسان أعجمي، بقي عندي في المسجد، سبعة أيام لا يطعم الطعام، وكنت أعرض عليه، فبينما نحن ذات يوم دخل سائل يطلب شيئاً فقال له السائل: ما لي إلى هذا المكان.

فقال له الخراساني: أي شيء تريد؟

فقال: ما سد فاقتي، وستر عورتني. فقام الخراساني إلى المحراب وصلى ركعتين ثم أتاه بشوب جديد، وطبق فيه فاكهة فأعطاه السائل.

قال ذو النون: فقلت له: يا عبد الله لك هذا الجاه عند الله عز وجل وأنت منذ سبعة أيام لم تطعم شيئاً فجئني على ركبتيه وقال: يا أبا الفيض كيف تيسط الألسن بالمسألة، والقلوب بمثلثة بأنوار أرضها عنه.

قال ذو النون: فقلت له: فالراضون لا يسألون شيئاً.

فقال: منهم من يسأل من باب الإدلال، ومنهم من يملؤه غنى به، ومنهم من يستخرج المسألة منه عطفاً على غيره.

ثم أقيمت الصلاة فصلى معنا عشاء الآخرة، وأخذ ركوته وخرج من المسجد كأنه يريد الطهارة فلم أره بعد ذلك.

ومنهم رضي الله عنهم عابد دخل عليه في معبده بالمغرب

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا الحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد قال: قرىء علي أحمد بن محمد بن عيسى، ثنا يوسف بن الحسين قال: قال ذو النون: دخلت على بعض متعبدي المغرب.

فقلت له: كيف أصبحت.

فقال: أصبحت في بحايح نعمة أجول ولسان فضله وإحسانه أقول، نعمائوه على باطنه وضاهره وعصبون رياض بمواهبه علي مشرقة زاهرة.

ومنهم رضي الله عنهم عابد لقيه بيت المقدس شرفه الله

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن يعبد الباقي، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد قال: سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت إسماعيل يقول: سمعت ذا النون يقول: نظرت إلى رجل في بيت المقدس قد استقرّعه الوله.

فقلت له: ما الذي أثار منك ما أرى؟ قال: ذهب الزهاد والعباد بصفو الإخلاص، وبقيت في كدر الانتقاص فهل من دليل مرشد أو من حكيم موقظ.

ومنهم رضي الله عنهم شاب سجد لقيه عند الكعبة المعظمة

أخبرنا عبد الوهاب بن علي بن علي، ثنا ابن عبد الكريم بن هوازن عن أبيه، ثنا محمد بن عبد الله الصوفي، ثنا بكران بن أحمد الجيلي قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول:

رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فقال: أنتظر الإذن من ربي في الانصراف قال: قرأت رقعة سقطت عليه مكتوب فيها من العزيز الغفور إلى عبدي الصادق انصرف مغفوراً لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر يؤيد هذه الحكاية قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (١).

ومنهم رضي الله عنهم مفلوج مجذوم كان بمصر حماها الله

أخبرنا أبو الثناء عماد الدين محمود، ثنا تاج الإسلام الحسين بن خميس. قال: روينا عن ذي النون المصري أنه خرج بمصر يستسقي استعان بمفلوج قد قطع الحزام بيده ورجليه. وسأله أن يستسقي فنظر المفلوج إلى السماء وضحك.

وقال: بقرب كان بيننا البارحة ثم قال: إلهي خلقتني ورزقتني وسررتني

وعن العباد بفطيل ما	خولتني أغنيتي
وإذا مرضت شقيتي	وإذا دعوت أجبتني
وإذا هربت ردتني	وإذا زلت أفلتني
وإذا غصبت رحمتني	وإذا أطعت جزيتني

ثم قال: يا ذا النون: إن الله تعالى يريد قرب القلوب لعمل الجوارح.

قال: فمعلمنا كأفواه القرب.

(١) سورة يوسف. الآية رقم (٦٤).

ومنهم رضي الله عنهم شيخة ذي النون وأستاذته فاطمة النيسابورية^(١) عارفة وقتها

قال السلمي: أتت إليها أبو يزيد البسطامي على جلالة قدره، وكان أبو يزيد البسطامي يقول: ما رأيت في عمري إلا رجلاً وامرأة، والمرأة فاطمة النيسابورية ما أخبرتها عن مقام من المقامات إلا وكان الخبر لها عياناً.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا محمد بن عبد الباقي.

قال: أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب^(٢)، ثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، قال أحمد بن محمد بن مقسم إجازة قال: سمعت محمد بن الحسن بن علي بن خلف قال:

سمعت ابن ملوك وكان شيخاً كبيراً رأى ذا النون المصري قال: وسألته من أجل من رأيت؟

قال: ما رأيت أحداً أجَلَ من امرأة رأيتها بمكة يقال لها فاطمة النيسابورية كانت تتكلم في فهم القرآن فتعجبت منها فسألت ذا النون عنها.

فقال: هي وليّة من أولياء الله تعالى: وهي أستاذتي فسمعتها تقول: من لم يكن الله عز وجل منه على بال فإنه يتخطى في كل ميدان ويتكلم بكل لسان، ومن كان الله منه على يال أخرسه إلا عن الصدق وألزمه الحياء منه والإخلاص.

قال: وقالت فاطمة: الصادق والمقرب في بحر تضرب عليه أمواجه، يدعو ربه دعاء الغريق، يسأل ربه الخلاص والنجاة.

وقالت فاطمة: من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص.

ينظر هذا الكلام إلى مقام الإحسان الذي سأل عنه جبريل محمد عليهما الصلاة والسلام.

(١) (فاطمة النيسابورية) كانت من مصنفات العبدات. وهي أستاذة ذي النون المصري، ورأها أبو يزيد البسطامي، وقال: ما رأيت في عمري إلا رجلاً وامرأة. وما أحدثت عن مقدم من عبادات إلا وكان أخبر لها عياناً. كانت مقيمة بمكة، لوفيت رضي الله عنه سنة ٢٢٣هـ.

انظر ترجمتها في: السعدي: الطبقات الكبرى، ٥٩١، السبكي: جامع الكرامات، ٢/٢٣٢، المناوي: الكواكب الدورية، ١/٤٧٩، السبكي: فكر السيرة للعباد، ٢١.

(٢) (رزق الله بن عبد الوهاب) بن عبد العزيز بن حريش بن سعد بن محمد الشامي، البغدادي، الحنلي، المقرئ، الفقيه الواعظ، قال الذهبي، في صفات القراء: ١٠٥، سنة ٤١٠هـ، وفقر القرآن على أبي بكر الحاملي، وسمع من أبي الحسين أحمد بن المنذر، وأبي حنيفة بن مهدي وحده، وكان يمدح مشقته وفقهه ومحدثه، توفي، رحمه الله في الصف من حصادي الآمالي سنة ٤٨٨هـ عن ثمانين سنة.

انظر ترجمته في: رمزي: تذكرة الحفاظ، ١: ١٢٠٨، بدوي: طبقات القسرين، ١/١٧٧، رقم الترجمة (١٦٩).

فقال له: ما الإحسان؟

قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(١).

والأول: مقام المشاهدة مطلقاً، صاحبها لا يتقيد بفعل فإنه في وقت رؤية الأفعال منه بالإيجاد.

والثاني: مقام المخلصين الذين خلصوا أفعالهم.

سألها ذو النون عن مسائل. وقال لها: عظمي وقد اجتمعنا بالبيت المقدس.

فقلت له: الزم الصدق، وجاهد نفسك في أفعالك.

كانت رضي الله عنها مجاورة بمكة وربما رحلت إلى بيت المقدس ثم رجعت إلى مكة، ماتت فاطمة بمكة في طريق العمرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

ومنهم رضي الله عنهم امرأة مُحبة لقيها متعلقة بأستار الكعبة تبكي

أخبرنا أبو محمد بن يحيى، ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أبو نعيم بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني، حدثني محمد بن إبراهيم المذكري، ثنا العباس بن يوسف الشكلي، ثنا محمد بن يزيد^(٢) قال: سمعت ذا النون يقول:

خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فبينما أنا أطوف إذا أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة وإذا هو يبكي ويقول في مكانه: كتمت بلائي من غيرك وبحت بسرِّي إليك، واشتغلت بك عن سواك، عجبت من عرفك كيف يشلو عنك، ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك. ثم أتشد يقول:

ذُقْشِي طَعْمَ الْوَصَالِ فَرُدَّتْشِي شَرْقاً إِلَيْكَ مَخَامِرُ الْأَحْشَاءِ

(١) حديث: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه)، رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي عن عمرو، وروى من غير حديثه أيضاً.

انظر المعجولني: كشف الحقائق، ٥٧/١، حديث رقم (٦٤٠).

(٢) (محمد بن يزيد) الربيعي، القزويني (أبو عبد الله بن ماجة الحافظ الثقة المعروف بإمامته في الحديث، وهو صاحب كتاب (الشفق) المشهور، ولم أنه يؤلف أو يكتب غيره لكفاه لأنه أحد الصحاح الستة المشهورة من كتب السنة. وغير ذلك أنه تفسير للقراء وغير ذلك كثير، توفي رضي الله عنه سنة ٢٧٣هـ، من أهل قزوين.

انظر ترجمته في: ابن فهد القسطنطيني: كتاب الوفيات، ١٨٧، ابن العباد: شذرات الذهب، ١٦٤/٢، سنن ابن ماجه: المقدمة، طبعة الخليلي، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١٨٩/٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤٠٧/٣، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٥٣٠/٩، الداودي: طبقات القسرين، ٢٧٣/٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ٥٢/١١، ابن عري بردي: الجوه الزاهرة، ١٠٣.

ثم أقبل على نفسه فقال أمهلك فما ارعويت وستر عليك فما استحيت، وسلبك حلاوة المناجاة فما ياليت.

ثم قال: عزيزي ما لي إذا قُضت بين يديك ألتيت علي النعاس، ومنعتني حلاوة مناجاتك لم قرة عيتي لم؟

ثم أنشأ يقول:

رَوَّعْتَ قَلْبِي بِالْفِرَاقِ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَضُرُّ مِنَ الْفِرَاقِ وَأَوْجِعاً
حُسْبُ الْفِرَاقِ بِأَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَنَا وَلَطَالَمَا قَدْ كُنْتُ مِنْهُ مُرَوَّعاً

قال: فَلَمْ أَتَمَلِكْ أَنْ آتَيْتِ الْكَعْبَةَ مُسْتَخْفِياً فلما أَحَسَّ بي تجلجلاً بخمار كان عليه ثم قال لي: يا ذا النون غَضَّ بَصْرُكَ عَنْ مَوَاقِعِ النَّظَرِ فَإِنِّي حَرَامٌ فَعَلِمْتَ أَنَّهَا امْرَأَةٌ. فقلت: واللَّهِ لَقَدْ شَغَلَنِي قَوْلُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ.

فقلت: وَلَمْ عَافَاكَ اللَّهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لِلَّهِ عِبَاداً لَا يَشْغَلُهُمْ سِوَاهُ وَلَا يَمِيلُونَ إِلَيَّ ذَكَرَ غَيْرِهِ، وَأَحْبَبُوا السَّكُونَ، فَاسْتَحِيتِ الْجَوَارِحَ مِنَ الْكَلَامِ.

فقلت: يَا أَمَّةَ اللَّهِ مَتَى تَحْوِي الْهَمُومَ قَلْبَ الْحُبِّ؟

قالت: إِذَا كَانَ لِلتَّذْكَارِ مَجَاوراً وَلِلشَّوْقِ مُحَاضِراً، يَا ذَا النُّونِ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّوْقَ يُورِثُ السَّقَامَ وَتَجْدِيدَ التَّذْكَارِ يُورِثُ الْحُزْنَ.

ثم أنشأت تقول:

لَمْ أَذُقْ طَيِّبَ طَعْمٍ وَضَلُّكَ حَتَّى زَالَ عَنِّي مَحَبَّتِي لِأَنْتَ
قَالَ فَأَجَبْتُهَا شِعْراً:

لَعَمْرُ الْحُبِّ إِذَا تَزَايَدَ وَضَلُّهُ وَغَلَّتْ مَحَبَّتُهُ بِعَقَبِ وَضَالِ

فقلت: أَوْجَعْتَنِي أَوْجَعْتَنِي أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَرْكِ مَنْ دُونِهِ.

ومَنَّهُم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَارِيَةٌ عَارِفَةٌ لَقِيَهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثنا أَبُو الْفَرَجِ بْنُ عَلِيٍّ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ^(١) قَالَ، ثنا إِسْمَاعِيلُ

(١) (إِبْرَاهِيمُ بْنُ دِينَارٍ) هُوَ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَامِدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّهْرَوَانِيِّ، الرَّزَّازِ، الْفَقِيهَ الْحَنْبَلِيَّ، الْحَكِيمَ صَاحِبَ التَّصَانِيفِ فِي مَذْهَبِ الْحَنْبَلِيِّ، شَرَحَ الْهَدْيَةَ وَكَتَبَ مِنْهُ ٩ مَجْلُودَاتٍ بَوَّاهَاتٍ وَلَمْ يَكْمُلْهُ سَنَةَ ٥٥٦ هـ.

أَلْفَ شَرْحَةٍ فِي: (ابن العماد: شذرات الذهب، ١٧٦/٤، كحالة: معجم المؤلفين، ٣١/١).

ابن محمد قال، ثنا عبد العزيز بن أحمد قال: ثنا أبو الشيخ وهو عبد الله بن محمد بن حيان^(١) قال، سمعت أبا سعيد الثقفي يحكي عن ذي النون المصري قال: كنت في الطواف فسمعت صوتاً حزيناً وإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول:

أنت تذرني يا حبيبي يا حبيبي أنت تذرني ونحول الجشم والدمع يبوحان بسرّي
يا عزيزي قد كتفت الحب حتى ضاق صدري

قال ذو النون: فشجاني ما سمعت حتى انتحيت وبكيت.

وقالت: إلهي وسيدي ومولاي بحبك لي إلا ما غفرت لي.

قال: فتعاضلني ذلك، وقلت يا جارية أما يكفيك أن تقول بيحيي لك حتى تقول بيحبك لي.

فقلت: إليك يا ذا النون أما علمت أن الله عز وجل يقول:

﴿يُسَوِّفُ بَأْتِي اللَّهِ يَأْتِي اللَّهُ يَجُودُ وَيُحْيِيهِ﴾^(٢) فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له.

فقلت: من أين علمت أني ذو النون.

فقلت: يا بطال جالت القلوب في ميدان الأسرار ففرقتك. ثم قالت انظر من خلقت فأدبرت وجهي فلا أدري السماء اقتلعتها أم الأرض ابتلعها!

ومنها رضي الله عنهم امرأة متعبدة دخل عليها مصباحاً

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن عبيد الباقي، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن محمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن عيسى الوشاء، ثنا أبو عثمان سعيد بن الحكم. قال سمعت ذا النون وقال أحمد بن عبد الله وحدثنا أيضاً يوسف قال: قال ذو النون دخلت علي متعبدة فقلت لها: كيف أصبحت؟

قالت: أصبحت من الدنيا على فناء ومبادرة للجهاد متأهبة لهول يوم الجواز.

أعترف لله ما أنعم علي بتقصيري عن شكرها، وأقر بضعفي عن إحصائها وذكرها، قد

(١) أبو الشيخ (عبد الله بن محمد بن حيان) الإمام، الحافظ، المسند أبو محمد، المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني صاحب المصنفات الشهيرة مثل كتاب العظمة وغيرها، والتفسير وكتاب الثواب، وطبقات الخلدن بأصبهان، توفي رحمه الله سنة ٣٦٩ هـ.

انظر ترجمته في: كعالة: معجم المؤلفين، ١١٤/٦، الذمعي: تذكرة الحفاظ، ١١٤٧/٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١٣٦/٤، ابن العماد: شذرات الذهب، ٦٨/٣، البغدادي: هدية العارفين، ٤٤٧/١، الدودي: طبقات المفسرين، ٢٢٩/٢٤٦/١.

(٢) سورة المائدة، الآية رقم (٥٤).

غفلت القلوب عنه وهو مُنشئها وأدبرت عنه النفوس وهو يناديها فسيحانه ما أمهله للأثام مع تواتر الأيادي والأنعام.

ومنهم رضي الله عنهم عابد رَحَلَ إليه إلى بلاد المغرب

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر بن حبيب العامري، ثنا علي بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه الشيرازي، أبو بكر بن أحمد القزويني.

قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:

وُصِفَ لي رجل بالمغرب ودُكِرَ لي من حكمته وكلامه ما حملني على لقائه فرحلت إليه - إلى المغرب - فأقمت على بابه أربعين صباحاً على أن يخرج من منزله إلى المسجد ويقعد فكان يخرج وقت كل صلاة يصلي ويرجع كالواله لا يكلم أحداً.

فقلت له: يا هذا إني مقيم ها هنا منذ أربعين صباحاً لا أراك تكلمني؟

فقال: يا هذا لساني سبع إن أنا أطلقته أكلني.

فقلت له: عظمي رحمك الله موعظة أحفظها عنك.

قال: وتُفعل.

قلت: نعم إن شاء الله.

قال: لا تحب الدنيا، وعبد الفقر غنى، واليلاء من الله تعمة، والمنع من الله عطاء، والوحدة مع الله أنسا، والنذل عزاً، والطاعة حرفة، التوكل معاشاً، والله تعالى لكل شيء عدة. ثم مكث بعد ذلك شهراً لا يكلمني فقلت: رحمك الله إني أريد الرجوع إلى بلدي فإن رأيت أن تزيدني في الموعظة فقال: اعلم أن الزهد في الدنيا قوته ما وجد، ومسكنه حيث أدرك ولباسه ما ستره، ومجلسه القرآن حديثه والله الخبار العزيز أتيسه، والذكر رفيقه، والصمت جنته، والخوف سجيته، والشوق مطيته، والنصيحة نهمته. والصبر وسادته، والصديقون إخوانه والحكمة كلامه، والعقل دليله، والجوع أذمه، والبكاء دأبه، والله عدته.

قلت: بما تبين الزيادة من النقصان؟

قال: عند الله الخاسية للنفوس.

ومنهم رضي الله عنهم عارف رَحَلَ إليه إلى اليمن فلقبه

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن محمد بن عبيد الله، ثنا نصر بن شافع المقدسي، ثنا موسى بن علي الإخميمي قال: قال ذو النون:

ووصف لي رجل باليمن، قد برز على الخائفين وسما على المجتهدين، وذكر لي باللب والحكمة، فخرجت حاجاً فلما قصيت نسكي مضيت إليه لأسمع من كلامه، وأنتفع بموعظته أنا وناس كانوا معي يطلبون منه مثل ما أطلب، وكان معنا شاب عليه سيما الصالحين ومنظر الخائفين، وكان مضطراً للون من غير مرض، أعمش العينين من غير عمش ناحل الجسم من غير سقم يحب الخلوة ويأنس بالوحدة فقرأ أبدأ كأنه قريب عهد بالمصيبة فلما أتينا الرجل أستاذنا عليه فخرج إلينا فجلسنا إليه فبدأ الشاب بالسلام وصافحه فأبدى إليه الشيخ البشر والترحيب ثم سلمنا عليه.

فقال الشاب: إن الله تمته وفضله قد جعلك طبيباً لسقام القلوب ومعالجاً لأوجاع الذنوب وبني جرح نعل وداؤه قد استكمل فإن رأيت أن يتلطف لي ببعض من أهمك وتعالجني برفقك. فقال الشيخ: سل ما بدا لك يا فتى.

فقال له الشاب: يرحمك الله ما علامة الخوف من الله؟

قال: أن تؤمنه خوفاً كل خوف غير خوفه.

قال: متى يتبين للعبد خوفه من الله؟

قال: إذا أنزل نفسه من الدنيا منزلة السقيم فهو يحتمي من أكل الطعام مخافة السقام ويصبر على مضض كل دواء مخافة طول الضنا فصاح الفتى صيحة ثم بقي ساعة ثم قال:

رحمك الله ما علامة الحب لله؟

فقال له: حبيبي إن درجة الحب درجة رفيعة.

قال: فأنا أحب أن تصفها لي.

قال: إن المحبين لله تعالى شق لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب عن حلال الله فصارت أبدانهم دنياوية وأرواحهم خبيثة، وعقولهم سماوية تسير بين صفوف الملائكة وتشاهد تلك الأمور باليقين فعبوده تبلغ استطاعتهم حباله لا ضمعا في جنة ولا خوفاً من نار. فشبه الفتى وصاح صيحة كانت فيها نفسه.

قال: فأفك الشيخ عليه يلثمه ويقول: هذا مصرع الخائفين وهذه درجة المجتهدين.

ومنهم رضي الله عنهم عارف وصف له فرحل إليه ليطلبه

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد، ثنا محمد بن أحمد الواعظ، ثنا العباس بن يوسف الشكلي. قال: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون يقول: وصف لي رجل فتى هرب

فقصدته، فأقيمت على يابه أربعين يوماً، فلما كان بعد ذلك رأيته، فلما رأيته هرب مني فقلت له: سألتك بمعبودك إلا وقفت عليّ وقفة؟

فقلت سألتك بالله بم عرفت الله؟ وبأي شيء تعرف إليك الله حتى عرفته؟ فقال لي: نعم رأيت أن لي حبيباً إذا قربت منه قزيتني وأذنانني، وإذا بعدت منه صوّت بي وناداني، وإذا قمت بالفترة رغبني، ومثّاني، وإذا عملت بالطاعة زادني وأعطاني، وإذا عملت بالمعصية صبر عليّ وتأنّاني، فهل رأيت حبيباً مثل هذا؟! انصرف عني، ولا تشغلني، ثم ولى وهو يقول:

حَسْبُ الْحُبِّينَ فِي الدُّنْيَا بِأَنَّ لَهُمْ
قَوْمَ جُسُومِهِمْ فِي الْأَرْضِ سَائِرَةً
لَهُمْ فِي عَلَى خُلُوةٍ بِهِ تُسَدُّدُنِي
يَا رَبِّ يَا رَبِّ أَنْتَ اللَّهُ مُعْتَمِدِي

مِنْ رَبِّهِمْ سَبَباً يُذِنِي إِلَى سَبَبِ
نَعْمِ وَأَزْوَاجِهِمْ تُخْشَلُ فِي الْحُبِّ
إِذَا تَضَرَّعْتُ بِالْإِشْقَاقِ وَالرَّغْبِ
مَتَى أَرَاكَ جَهَاراً غَيْرَ مُخْجَبِ

فصل

ومنه رضي الله عنهم والّهُ لقيهُ في بعض أسفاره في طلب المناجاة

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا الحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي
قالا ثنا محمد بن أحمد قال ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن محمد بن عبيد الله بن يزيد،
ثنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشاء، ثنا سعيد بن عبد الحكم.

قال: سمعت ذا النون يقول: خرجت في طلب المناجاة، فإذا أنا بصوت، فعدلت إليه، فإذا
أنا برجل قد غاص في بحر الوله، وخرج على ساحل الكمد، وهو يقول في دعائه:

أنت تعلم أنني لا أعلم أن الإصرار مع الاستغفار لوم وأن تركي الاستغفار مع معرفتي بسعة
رحمتك عجز، إلهي أنت الذي خصصت خصائصك بخالص الإخلاص، وأنت الذي أسلمت
قلوب العارفين من اعتراض الوموس، وأنت الذي أنشئت المشتائسين من أوليائك وأعطيتهم
كفاية المتوكلين عليك تكلؤهم في مضاجعهم، وتطلع على سائرهم، وسري عندك مكشوف،
وأنا إليك ملهوف.

قال: ثم سكن صرخته فلم يسمع له صوتاً.

ومنه رضي الله عنهم شاب لقيه وهو سائر إلى مكة
فضل عن الطريق فاجتمع به رحمه الله

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد
الله، ثنا أبو العباس بن العلاء، أحمد بن عيسى قال ذو النون:

حججت سنة إلى بيت الله الحرام فضلت عن الطريق، ولم يكن معي ماء ولا زاد.
فأشرفت على الهلكة فلاححت لي أشجار كثيرة ومحراب فطرحت نفسي في فيء شجرة

فلما غربت الشمس إذا أنا بشاب متغير اللون، نحيل الجسم، يؤم المحراب فَرَكَلَ برجله رُبُوعاً من الأرض فظهرت عين تبيض بماء عذب فشرب وتوضأ وقام في محرابه، فقامت إلى العين فشربت ماء عذياً وتوضأت وقمت أصلي بصلاته حتى برق عمود الصبح فلما رأى الصبح وثب قائماً على قدميه ونادى: ذهب الليل بما فيه وأقبل النهار بدواهيه، ولم أقض من خدمتك وطراً. آه خبير من تعبت لغيرك بذنه، وألجأ إلى سواك همه، فلما أراد أن يمضي ناديته، بالذي متحك لذيد الرغبة وأذهب عنك ملال التعب إلا خفضت لي جناح الرحمة فإني غريب، أريد البيت الحرام، وقد ضللت.

فقال: يا بَطَّال وهل قطع بوقده دون البلوغ إليه ثم قال: اتبعني فرأيت الأرض تطوى من تحت أرجلنا حتى رأيت المحجة وسمعت ضججة.

فقال: ها قومك ثم أنشأ يقول:

مَنْ عَاقَلَ اللَّهَ بِثَقْوَاهُ وَكَانَ فِي الْخَلْقِ يَرْغَاهُ
سَقَاهُ كَأْساً مِنْ صَفَا حُبِّهِ نَسَلُوهُ لَذَّةَ ذُنْيَاهُ
فَأَنَعَدَ الْخَلْقَ وَأَقْصَاهُمْ وَأَنَفَرَدَ الْعَقِيدُ بِمَوْلَاهُ

ومنهم رضى الله عنهم العابد الذي لقيه على عرش البلوط في مسيرة بلاد المغرب

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر بن حبيب العامري، ثنا علي بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن ياكويه الشيرازي، ثنا عبد العزيز بن سعيد السُلَاسِي، ثنا يوسف بن الحسين.

وأخبرنا أيضاً: محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي.

وأخبرنا يونس بن يحيى، وعبد العزيز بن الأخضر قالوا، ثنا أبو بكر بن الغزال قالوا، ثنا حمد ابن أحمد.

وأخبرنا أيضاً: الحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد، ثنا أبو الظفر القاشاني، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا سعيد بن عثمان قالوا سمعنا ذا النون يقول: يسما أنا سائر في بلاد المغرب وإذا أنا برجل على عريش من البلوط وعنده عين ماء تجري فأقامت عليه يوماً و ليلة أريد أن أسمع كلامه فأشرف عليّ بوجهه فسمعته يقول:

شهد قلبي لك في النزول، وكيف لا يشهد قلبي بذلك وكل الأمور إليك، أفئحس بمن اعتربك أن يألف قلبه غيرك. هيهات هيهات لقد خاب لديك المقصرون، ثم أدخل رأسه في عريشه، وفاتني كلامه فلم أزل واقفاً إلى أن طلع الفجر، ثم أخرج رأسه فنظر إلى القمر.

فقال: أشرق بنورك السموات، وأنارت بنورك الظلمات وحجبت بجلالك عن العيون، فوصلت به معارف القلوب ثم قال: بالتجاني إليك في حزني لتنظر لي نظرة من ناديتهم فأجاب: سيدي ما أحلى ذكرك أليس قصدك مؤملوك فبالوا ما أمّلوا ونجّدت لهم بالزيادة على ما طلبوا.

فقلت له: يا حبيبي إني مقيم عليك منذ يوم وليلة أريد أن أسمع كلامك فقال لي: قد رأيته يا بطّال حين أقبلت ولكن ما ذهب روعك من قلبي إلى الآن.

فقلت له: ولم ذلك وما الذي أفرعك مني.

فقال: بطائلك في يوم عملك وتركك الزاد ليوم معادك، ومقامك على الظنون يا ذا النون.

فقال له: إن الله كريم ما ظن به أحد شيئاً إلا أعطاه.

فقال: إنه كذلك إذا وافقه العمل الصالح والتوفيق.

فقلت له: يا حبيبي ما ها هنا فتية تأنس بهم؟

فقال: بلى ها هنا فتية متفرقون في رؤوس الجبال.

فقلت له: فما طعامهم في هذا المكان؟

قال: أكلهم انقلب من حبز البلوط ولباسهم الخرق من الثياب، قد يمسوا من الدنيا، ويشت الدنيا منهم، قد لصقوا بالأرض، وتلففوا بالخرق، فلو رأيتهم رأيت رجالاً إذا جنّهم الليل ذبحوا أنفسهم بسكاكين السهر.

فقلت: حبيبي فما مع القوم دواء يتعالجون به من الألم؟

قال: بلى.

قال: وما ذاك الدواء؟

قال: إن أكلوا ضافوا الكلال بالكلال، وجثّوا بالارتحال فتسكن العروق ويهدأ الألم.

فقلت: يا حبيبي فلا ينيرون نجد.

فقال: هكذا تقول يا بطّال القوم أعطوا المجهود من أنفسهم فما دبّرت المفاصل من الركوع، وقوّحت الجباه من السجود، وتغيرت الألوان من السهر، ضجّوا إلى الله بالاستعانة فهم أحلاف اجتهد، يهيمون فلا تقرّبهم الأوطان، ولا يسكنون إلى غير الرحمن فقلت له يا حبيبي أوصني.

فقال: عليك بمعاتب نفسك إذا دعته إلى بليّة، ومناذرتها إذا دعته إلى الفثرة فإن لها مكرأ وخداعاً، فإذا فعلت هذا الفعل أغناك عن المخلوقين، وسلاّك عن مجالسة الفاسقين.

قال ذو النون: فرفعت مغشياً عليّ فما أفقت إلا بخرو الشمس، ثم رفعت رأسي فلم أره ولا العريش فقممت فسررت وفي قلبي منه حسرة.

ومنهم رضي الله عنهم فتى من الغناد العارفين الحكماء لقيه في بعض الطرق رضي الله عنه

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا أحمد بن أحمد المتوكلي، ثنا أحمد بن ثابت^(١)، ثنا عبد الرحمن بن محمد النيسابوري، ثنا محمد بن عبد الله بن شاذان، قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون يقول: بينما أنا أسير في بعض الطرق فإذا فتى حسن الوجه أثر التهجد بين عينيه فقلت: حبيبي من أين قدمت؟

قال: من عنده.

فقلت: وإلى أين؟

فقال: إلى عنده.

قال: فعرضت عليه النفقة فنظر إليّ معضباً ثم ولى. وأنشأ يقول:

وَكَا فِرٌّ بِاللَّهِ أَفْوَالُهُ تَزْدَادُ أَضْعَافاً عَلَى كُفْرِهِ
وَمُؤْمِنٌ آيِسٌ لَهُ دَرْهَمٌ يَزْدَادُ إِيمَاناً عَلَى فَقْرِهِ
لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَمْ يَكُنْ عَاقِلاً يَدُ رَحْلَيْهِ عَلَى قُدْرِهِ

ومنهم رضي الله عنهم امرأة مُحِبَّة عارفة لقيها في بعض أسفاره رضي الله عنها

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي قال ثنا أبو بكر بن حبيب، ثنا أبو سعيد بن أبي صادق، ثنا ابن ياكويه الشيرازي، ثنا بكران بن أحمد قال سمعت يوسف بن الحسين.

قال عبد الرحمن بن علي أيضاً وحدثنا عبد الرحمن بن محمد القزّاز^(٢)، ثنا أحمد بن علي

(١) أبو العباس أحمد بن ثابت الطبرقي الأصمعي، محدث وديب، تلمذ العلم في أصطهان ونيسابور وهراة وغيرها. توفي رحمه الله بعد سنة ٥٢٠ هـ.

انظر بزرگلمان: ٩١٤/٣، نسخة عربية لقاهرة، الذهبي: ميزان الاعتدال، ٤١/١.

(٢) (عبد الرحمن بن محمد القزّاز) وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد الشيباني البغدادي، ويعرف بابن زريق القزّاز، المسمى المعروف: ذكره الذهبي فيمن توفي سنة ٥٣٥ هـ، الظاهر الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٢٦٨/٢٤.

ابن ثابت، ثنا القاضي أبو القسم عبد الواحد بن محمد النحلي، ثنا جعفر بن محمد الخلدی^(١)، ثنا أحمد بن محمد بن مسروق^(٢)، اللفظ له.

وحدثنا أيضاً، يونس بن يحيى وابن الأختصر قالا، ثنا ابن عبد الباقي، ثنا محمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبي، ثنا أحمد بن محمد بن مصقلة، ثنا أحمد بن محمد بن أبان قالا، ثنا سعيد بن عثمان، قال حدثني ذو التون. قال ابن الحسين، وابن مسروق سمعت ذا التون المصري يقول: بينما أنا في بعض مسيري لقيني امرأة فقالت لي: من أين أقبلت؟

قلت: رجل غريب.

فقالت لي: ويحك وهل يوجد مع الله أحزان الغربة، وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء. فقالت لي: ما يبكيك.

قلت: وقع الدواء على قرح فأسرع في نجاحه.

قالت: إن كنت صادقاً فلم بكيت والصادق لا يبكي.

قلت: إن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب.

قالت: هذا ضعف عند الأولياء يا بطال فبقيت متعجباً من كلامها.

فقالت لي: ما لك؟

قلت: تعجباً من هذا الكلام.

قالت: وقد أنسيت الفرحه التي سألت عنها.

قلت: لا.. علّمني شيئاً ينفعني الله به.

قالت: وما أفادك الحكيم في مقامك هذا من القوائد ما تستغني به عن طلب الزوايد.

(١) جعفر بن محمد بن نصير، أبو محمد الخلدی، بغدادی، المتأ والمولد، صاحب الحيد بن محمد، وعرف بصحبته. وصحب أبو الحسن النوري ومسنونه، وأبو محمد الحريري وغيرهم من مشايخ الوقت. كان يقول: عندي مائة وبيقر وثلاثون ديناراً من دولون الصوفية، توفي رحمه الله سنة ٣٤٨هـ.

انظر ترجمته في: السلمي: طبقات الصوفية، ٤٣٤، أبو نعيم: حلية الأولياء، ١٠/٣٨١، ابن العماد: شذرات الذهب، ٢/٣٧٨، الشعراني: الطبقات الكبرى، ١/١٣٨.

(٢) أحمد بن محمد بن مسروق أبو العباس من أهل طوس، سكن بغداد ومات بها، صاحب الخارث بن أسد النخاسي، والمشرق السقطي وغيرهما، توفي رحمه الله بغداد سنة ٢٩٩هـ، أسند الحديث.

انظر ترجمته في: السلمي: طبقات الصوفية، ٢٣٧، أبو نعيم: حلية الأولياء، ١٠/٢١٣، القشيري: الرسالة، ٢٠، ابن حوزي: صفة الصوفية، ٤/١٠٤، ابن العماد: شذرات الذهب، ٢/٢٢٧.

قالت: إن صدقت أحبّ ربّي واشتقّ إليه فإن له يوماً يتجلى فيه على كرسي كرامته لأوليائه وأحبابه فيديقهم من محبته كأساً لا يظمأون بعدها.

قالت: ثم أخذت في البكاء والزفير والشهيق وهي تقول سيدي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها أحداً يساعدني على البكاء أيام حياتي ثم تركتني ومضت، وقال ابن الحسين في حديثه ثم مضت وهي تقول:

إِذَا كَانَ دَاءُ الْعُجْبِ حُبَّ مَلِيكِه فَمَنْ ذُوْنَهُ يَزْجُو طَيْباً مُدَاوِيَا
مَعَ اللَّهِ تَمِضِي ذَهْرَهُ مُثَلِّدَا مُطِيعاً يَزَاهُ كَانَ أَوْ كَانَ غَاصِيَا
يَقُولُونَ لِي قَدْ جِئْتَ مِنْ بَعْدِ صَحْخَةٍ وَمَا بِي جُنُونٌ مِنْ خَلِيلٍ مُوَاتِيَا
وقال أيضاً في حديثه بعد قولها من أين أقبلت.

قلت: من عند حكيم لا يوجد مثله فصاحت وقالت: ويحك وكيف فارقتَهُ وهو أنيس الغرباء، فأوجعني كلامها فبكيت.

فصل

ومنهم رضي الله عنهم عابد محب مجروح الفؤاد لقيه في بعض البراري

أخبرنا يونس بن يحيى قال: ثنا أبو بكر بن الغزال، ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن ابن علي، ثنا ابن ناصر وكل واحد منهما يزيد علي صاحبه فجمعت الروايات وضمنت بعضها إلى بعض قالاً: ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو جعفر أحمد بن علي بن عبد الله بن مهران الخزان^(١) بالكوفة، ثنا عبد الله بن محمد السمناني^(٢)، ثنا أبو يعقوب يوسف بن أحمد البغدادي^(٣) المكفوف، ثنا أبو الفيض بن إبراهيم المصري ذو النون: سنة خمس وأربعين ومائتين بشر من رأي^(٤).

قال: رأيت رجلاً في بركة يمشي حافياً وهو يقول: المحب مجروح الفؤاد ولا راحة له قد

(١) أبو جعفر محمد بن علي بن عبد الله بن مهران البغدادي الوراق، ولقبه: حمدان سمع عبد الله بن موسى وأبا نعيم وغيرهما عنه ابن صاعد، وابن مخلد وغيرهما. قال الدارقطني: ثقة، توفي سنة ٢٧٢ هـ. انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٥٩٠/٢، السيوطي: طبقات الحفاظ، ٢٦٥.

(٢) عبد الله بن محمد السمناني (أحدث الخصال أبو الحسين وقد ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ، ٧٠٣/٢، فيس مات ٣٠٣ هـ وقال صاحب معجم المؤلفين، وهدية العارفين، إنه محدث وله تصانيف في الحديث. انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٧٠٣/٢، كحالة: معجم المؤلفين، ١٣٠/٦، البغدادي: هدية العارفين، ٤٤٣/٢.

(٣) أبو يعقوب يوسف بن أحمد البغدادي المكفوف، لعله: أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن إبراهيم الشيرازي ثم البغدادي الصوفي، أحدث، الحافظ. ولد ببغداد وتولى بها مشيخة الصوفية بالرباط الأرجواني، ورحل في طلب الحديث إلى بلاد فارس، والحجاز، وغيرهما، توفي في رمضان سنة ٥٨٥ هـ.

انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ١٤٥/٤، كحالة: معجم المؤلفين، ٢٦٩/٢.

(٤) (بشر من رأي) مدينة عظيمة كانت على طرف شرقي دجلة بين بغداد وبكرت، بناها المعتصم سنة ٢٢١ هـ. وأنتق على جميعها خمسماية ألف دينار، وبني السارية التي كانت إحدى عجائب، وبني المنوك والأمراء بها قصوراً وكذلك الخلفاء بنوا قصوراً عجيبة.

نظر عجائب التصانيف حول سبب سائرنا في: القرويني: آثار البلاد وأخبار العباد.

زعزعت الجرحه الداء وأزعج الداء الدواء فاجتسعا والقلب بينهما يحول ويرتكض فسلمت عليه.

فقال لي: وعليك السلام يا ذا النون.

قلت: عرفتني قبل هذا؟

قال: لا، قلت: فمن أين لك هذه الفراسة؟

فقال: ممن يملكها، ليست مني هو الذي نور قلبي بالفراسة حتى عرّفني إياك من غير معرفة سبقت لي يا ذا النون، جسمي عليل وقلبي مشغول به، وأنا سائح في البرية، أسير فيها منذ عشرين سنة، لا أعرف بيتاً ولا يكنني سقف يسترني من الشمس إذا كطّنت، ويحفظني من الرياح إذا هبّت، ويكلّوني من الحر والبرد جميعاً، فصف لي بعض ما أنا فيه إن كنت وصافاً ثم جلس وجلّست. فقلت: القلب إذا كان عليلاً جالت الأحزان والأسقام فيه، ليس للقلب مع ما يحول في الأسقام دواء إنما يستجلب الأحزان من استجلبها بطول سقمه ليشكوه أو يشكو إليه فصرخ صرخة ثم قال: ما لي وللشكوى أما لو طال البلوى حتى أصير رميمًا ما تحرّكت لي جارحة بالشكوى.

قال ذو النون: فقلت: طرقت الفكرة في قلوب أهل الرضا فمالت بهم ميلة فزعزعت الجوى ودكدكت الضمير فاختلغا جميعاً فالتويا فعرفا طريق الرضا، منّحهم بالآفة إليه فوهب لهم هبة ثم أخفهم بتخفة الرضا، فصاحت في ببحار قلوبهم موجة فهيجت منها اللذة لا بل هيجت منها هيجان اللذات فشخصت بالحلاوة التي أتحف إليّ من أتحفها فمرّت تطير من خوف الجوى فأني طيران يكون أبهى من قلوب تطير إلى سيدها لقد هبّت إليه بلا أجنحة تطير لقد مرت في الملكوت أسرع من هبوب الرياح ومن يردّها، وهو يدعوها إليه، لقد فتح لها الباب حين هبّت إليه طائفة فدخلت قبل أن تفرع الباب لقد مهد لها مهاداً ففتزعت في روح رياض قدسه فهي له ومعه.

فقال: يا ذا النون زدت الجرح قرحاً وقتلت مما أوجعت يا هذا ما صحبت صاحباً منذ صحبته، أصححك اليوم.

قلت: فقم بنا، فقمنا جميعاً نسير بلا راد فأوغلنا في البرية، وظوينا ثلاثاً.

قال لي: قد جعت.

قلت: نعم، قال فاقسم عليه حتى يطعمك.

قلت: لا والذي فلق الحبة، وبرأ السمّة لا سأنته شيئاً إن شاء أطعم وإن شاء ترك.

قال: فتبسم.

وقال: امض الآن فلقد أفيض علينا من أطايب الأطعمة، ولذائد الأشربة حتى دخلنا مكة سالمين ثم فارقني وفارقت.

قال يوسف: فلقد رأيت ذا النون كلما ذكره بكى وتأشف على صحبته.

ومنهم رضي الله عنهم صبي من أهل اليقين لقيه في التيه

أخبرنا: يونس بن يحيى، ثنا ابن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن إسحاق^(١).

قال: سمعت عمر بن بحر الأسدي^(٢) قال: سمعت أبا الفيض يقول: كنت في تيه بني إسرائيل أريد الحج فرأيت غلاماً أمرد على الخجعة يوم البيت العتيق بلا زاد ولا راحلة.

فقلت لرفيقي إنا لله إن كان مع هذا الغلام يقين وإلا هلك فلحقته.

فقلت: يا فتى.

فقال: لبيك.

فقلت: في مثل هذا الموضع في مثل هذا الوقت بلا زاد ولا راحلة.

قال: فنظر إليّ ثم قال: يا شيخ ارفع رأسك انظر هل ترى غيره؟

فقلت: يا حبيبي اذهب إلى حيث شئت.

ومنهم رضي الله عنهم أسود صاحب حال ومعرفة ولسان لقيه في تيه بني إسرائيل

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا أبو بكر بن المغازل، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أحمد بن محمد بن مقسم.

حدثني أحمد بن عثمان المكي الصوفي، عن أبيه قال، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أيضاً

عثمان قال: سمعت الحسن المذكر يذكر عن بعض شيوخه قال:

قال لنا ذو النون: والسياق لعثمان صحيت في التيه زنجياً مقلقل الشعر كلما ذكر الله ايضاً

لونه.

فقلت له: يا هذا إنك إذا ذكرت الله تحول لونك وانقلبت عينك فجعل يخطر في التيه

ويقول:

(١) أحمد بن إسحاق تقدمت إشارته.

(٢) عمر بن بحر الأسدي تقدمت إشارته، وهو عمر بن بحر.

ذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا نَسِينَا قَدْ ذُكِرَ وَلَكِنْ نَسِيمُ الْغُرَبِ يَبْدُو فَيُبْهِرُ
فَأَخِيَا بِهِ طَوْرًا وَأَخِيَا بِهِ لَهُ إِذَا الْحَقَّ عَنْهُ مُخْبِرٌ وَمُعَبِّرُ

إلى هنا انتهى حديث ابن مقسم، وزاد عثمان قال ذو النون:

فلما طرق سمعي حكمة ذلك الزنجي فعلمت أن لله عبادة تغلي قلوبهم بالأذكار كما تغلي
الأطيار في الأوكار ولو فشتت منهم القلوب لما وجد فيها غير حب المحبوب قال: ثم بكى ذو
النون وأشد يقول:

وَأَذْكُرُ أَصْنَافاً مِنَ الدَّهْرِ خَشَوَهَا وَذَاذَ وَشَوْقٍ يَنْبَغُ ثَانِ عَلَى الذُّكْرِ
قَدْ كُرِيَ أَلِيفُ الْحُبِّ تَمْزِجُ بِهَا تَحُلُّ مَحَلَّ الرُّوحِ فِي طَرَقِهَا يَسْرِي
وَذِكْرُ يَعْزِي النَّفْسَ مِنْهُ لِأَنَّهُ لَهَا مُثْلِفٌ مِنْ خَيْثُ يَذْرِي وَلَا تَذْرِي
وَذِكْرُ غَلَا مِثْلِي الْمُقَارِقُ وَالذَّرِي يَحُلُّ عَنِ الْأَرْصَافِ بِالْوَهْمِ وَالْفِكْرِ

ولما حكيت هذه الحكاية بحلب لصاحبنا عبد الله بدر الحبشي المسعود^(١) قال: عبد الله
حدثني بمثلها شيخنا مكّي بن عباس الواسطي المقرئ المجاور، وكان صاحب معرفة صادق الحال
لا يفتر قال: كان ببيعداد أستاذ حبشي من أستاذي الخليفة، وكان رجلاً صالحاً صادق فكنت
أراه إذا استفرغه الحال ابيضّ رحمهما الله، نفعت بهما وبالصالحين.

ومنهم رضي الله عنهم جارية سوداء والهة في حب الله لقيها في تيه بني إسرائيل عارفة
أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا أبو بكر بن
حبيب العامري قال، ثنا أبو سعيد الخياري^(٢) قال: ثنا أبو عبد الله بن ياكويه النشيرازي، ثنا علي
ابن حفص الشيباني^(٣) حدثني محمد بن محمد بن زنجويه^(٤)، ثنا أبو بكر محمد بن هارون

(١) (عبد الله بدر الحبشي المسعود) هو: أبو عبد الله بدر بن عبد الله الحبشي، الصوفي، المسعود، من تلاميذ محيي الدين بن
عربي وناسخ كتبه، وأتاه ترك بعض الكتب هي: (الإنباء على طريق الله) قبل هو مما سمعه من شيخه ابن عربي، توفي
رحمه الله سنة ٦٣٨هـ نفس العام الذي توفي فيه شيخه.

انظر كحالة: معجم المؤلفين، ٣٩/٣، ومخطوط تاج الرسائل ومنهاج الوسائل في إيضاح المعاني الروحانية، ٤٢٦
تصرف حارفي تحقيقه ومسنده من قريب إن شاء الله.

(٢) أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري، البسابوري، أصله من الري، صاحب قديماً يحيى بن معاذ
الري، ومثله من شيوخ الكرخاني، ثم رحل إلى بسابور، إلى أبي حفص، وضمه وأخذ عنه طريقته، وكان في وقته من
أوضح المتأخرين في سيرته ومنه انشأ التصوف ببسابور. مات رحمه الله أبو عثمان في سنة ٢٩٨هـ.

انظر ترجمته في: السلي: طبقات الصوفية، ١٧٠، أبو عيم: حلية الأولياء، ٢٤٤/١٠، الشعراني: الطبقات الكبرى،
١٠١/٢، الفشيري: الرسالة، ٢٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ١١٥/١١.

(٣) (علي بن حفص الشيباني) لم نقف على ترجمته له.

(٤) (محمد بن محمد بن زنجويه) الحافظ أبو بكر البغدادي الغزال صاحب الإمام أحمد، واسع الرحلة. سمع يزيد بن

الصوفي^(١)، ثنا محمد بن الحسين المصري قال: سمعت ذا النون المصري يقول: بينما أنا أسير في تيه بني إسرائيل، إذا أنا بجارية سوداء استلبها الولد من حب الرحمن شاخصة ببصرها نحو السماء.

فقلت: السلام عليك يا أختاه.

ف قالت: وعليكم السلام يا ذا النون.

ف قلت لها: من أين عرفني يا جارية؟

ف قالت: يا بطل، إن الله عزّ وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم أدارها حول العرش فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف^(٢)، فعرفت روحي روحك في ذلك الجولان.

قلت: إني لأراك حكيمة علميني شيئاً مما علمك الله.

ف قالت: يا أبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كلما كان لغير الله، ويبقى القلب مصفى ليس فيه غير الرب عزّ وجل فعند ذلك يقيمك على الباب ويوليكَ ولاية جديدة ويأمر الخزان لك بالطاعة فقلت: يا أختاه زِيديني.

ف قالت: يا أبا الفيض خذ من نفسك لنفسك وأطع الله إذا خلوت بحبك إذا دعوت.

ومنهم رضي الله عنهم امرأة سائحة مُجِبَّة لَقِيَهَا فِي النَّيِّ

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا أبو بكر بن حبيب، ثنا ابن أبي صادق قال: حدثني ابن ياكويه قال، ثنا عبد الواحد بن بكر قال، ثنا محمد بن أحمد ابن يعقوب قال: حدثني أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون بن إبراهيم يقول: كنت في تيه بني إسرائيل ومعني صاحب لي.

وحدثنا عبد العزيز بن الأخضر واللفظ له، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عثمان بن محمد بن عثمان العثماني، ثنا محمد بن أحمد الواعظ، ثنا

هارون، وعبد الرزاق، ومحمد بن يوسف الفريابي وغيرهم حدّث عنه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم، توفي رحمه الله في سنة ٢٥٨ هـ.

انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ: ٥٥٤/٢.

(١) (محمد بن هارون الصوفي) الهاشمي: لم يقل عنه شيئاً الذهبي في الترجمة وقال: لم يكن شيئاً هكذا.

انظر السلمي: طبقات الصوفية، هامش ٢٥٢، الذهبي: ميزان الاعتدال، ١٤٤/٣.

(٢) حديثه (إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام)، لم أقف على تحريجه.

العباس بن يوسف الشكلي، ثنا سعيد بن عثمان قال كنت مع ذي النون في تيه بني إسرائيل فبينما نحن نسير إذا أنا بشخص قد أقبل.

فقلت: يا أستاذ.. شخص.

فقال لي: انظر فإنه لا يضع قدمه في هذا المكان إلا صديق فنظرت فإذا امرأة.

فقلت إنها امرأة صديقة ورب الكعبة فابتدراها فسلم عليها فردت السلام ثم قالت: ما للرجال ومخاطبة النساء.

فقال لها: إني أخوك ذو النون ولست من أهل التهم.

فقلت: مرحباً حيّك الله بالسلام.

فقال لها: ما حملك على الدخول إلى هذا الموضع.

قالت: آية في كتاب الله قوله عز وجل ﴿لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾^(١). فكلما دَخَلْتُ إلى موضع يُعصى الله فيه لم يهتني القرار فيه يقلب قد أذهلته شدة محبته وهام بالشوق إلى رؤيته.

فقال لها: صف لي المحبة.

فقلت: يا سبحان الله أنت عارف تتكلم بلسان المعرفة تسألني.

فقال: يحق للسائل الجواب.

فقلت: نعم المحبة عندي لها أول وآخر.

فأولها: لهج القلب بذكر المحبوب والحزن الدائم والشوق اللازم، فإذا صاروا إلى أعلاها شغلهم وجدان الخلوات عن كثير من أعمال الطاعات، ثم أخذت في الزفير والشهيق.

وأنشأت تقول:

أَجِبُّكَ حُبِّي حُبَّ الْهَوَى وَحُبِّي لَأَنْتَ أَهْلُ لَذَاكَ
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَى فَذِكْرُ شَيْءٍ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُ لَهُ فَكَشْفُكَ لِلْحُجُبِ عَنِّي أَزَاكَ

ثم شغقت شهقةً فإذا هي قد فارقت الدنيا.

وفي حديث عبد الرحمن أول المحبة تبعث على الكد الدائم حتى إذا وصلت أرواحهم إلى

(١) سورة النساء، الآية رقم (٩٧).

أعلى الصفا جرعهم من محبته لذيد الكؤوس وليس في حديثه ذكر الآية ولا ذكر موتها ولا تنبيه نفسه عن اتهم.

ومنهم رضي الله عنهم امرأة لقيها بأرض البحة

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج بن علي، ثنا عبد الملك بن عبد الله الكروجي^(١)، قال: أنبأنا محمد بن علي بن عمير قال ثنا أبو الفضل محمد بن محمد الفامي^(٢)، قال ثنا أبو سعيد محمد بن أحمد بن يوسف، حدثني محمد بن المنذر شكر^(٣)، قال: حدثني محمد بن يعقوب الفرجي^(٤) قال: سمعت ذا النون يقول: رأيت امرأة تنحو أرض البحة، قال: فناديتها. فقالت: وما للرجال أن يكلموا النساء لولا ضعف عقلك لرميتك بشيء.

فقلت لها: بالله كيف تعرفين الزيادة.

قالت: يتفقد الأحوال انصرف.

قال: فما ناطقها بعد ذلك.

(١) عبد الملك بن عبد الله الكروجي (اختلص الصادق، أبو الفتح الهروي، المجاور، توفي في سنة ٥٤٨ هـ، أورده الذهبي، أن: وفاة الإمام الحافظ السبحي المروزي، النظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٤/١٣١٣.

(٢) أبو الفضل محمد بن محمد الفامي، لم أقف له على ترجمة.

(٣) الحافظ الثقة الرحالة أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر بن سعيد الهروي، ولقبه (شكر) سمع محمد بن رافع، وعلي بن حشرم، وأحمد بن عيسى المصري. وعمر بن شبة وغيرهم. جمع وصنف التصانيف، وتوفي رحمه الله، في أحد الربيعين بهراة، سنة ٣٠٣ هـ.

انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٢/٧٤٨.

(٤) محمد بن يعقوب الفرجي (أبو جعفر، الصوفي، من أهل سامراء، أنفق مالا كثيرا على العلماء والفقراء وله مصنفات في معاني التصوف والنور، وصفات المريدن وغيرهما، توفي سنة ٢٩٠ هـ.

انظر الزركلي: الأعلام، ٨/١٦٦، كعالة: معجم المؤلفين، ١٢/١١٧، الأنساب، ٤٢٨، طبقات الصوفية، ١٤٦.

فصل

ومنههم رضي الله عنهم عابد مصطفى لقيه بين جبال الشام

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن، ثنا محمد بن ناصر السلمي، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا أبو بكر الدينوري، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي، قال: سمعت ذا النون يقول:

بينما أنا سائر بين جبال الشام إذا شيخ على تلعة من الأرض قد سقطت حاجباه على عينيه
كبراً، فتقدمت إليه فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ثم جعل يقول:

يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريباً، ويا من قصده الزاهدون فوجدوه حبيباً ويا من استأنس به
المجتهدون فوجدوه محبباً ثم أنشأ يقول:

ولهُ خصائصُ مُطَطِّفونَ حُبّه اختارهم في سالف الأزمانِ

اخترهم من قبل فطرة خلقه فهُم وذائع حكمه وبيان

ثم صرخ صرخة فإذا هو ميت.

ومنههم رضي الله عنهم عابد محب لقيه بجبال بيت المقدس

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا حمد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا أبو الحسن محمد بن محمد، ثنا أحمد بن عيسى الوشاء.

قال: سمعت أبا عثمان سعيد بن عبد الحكم يقول: سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم يقول: بينما أنا أسير ليلة ظلماء في جبل المقدس إذ سمعت صوتاً حزيناً وبكاءً جهيراً وهو

يقول: يا وحشته بعد أنساه، ويا غربته عن وطنه، وافقره بعد غناه، واذلاه بعد عزّاه. فتبعث الصوت حتى قربت منه فلم أزل أبكي لبكائه حتى إذا أصبحنا نظرت إليه فإذا هو رجل ناحل كالشئ المحترق.

فقلت: يرحمك الله تقول مثل هذا الكلام.

فقال: دعني فقد كان لي قلب فقدته ثم أنشأ يقول:

كَانَ لِي قَلْبٌ يَعِيشُ بِهِ فَرَمَاهُ الْحُبُّ فَاخْتَرَقَا
فقلت له:

لَمْ تَشْتَكِ أَلَمَ الْبَلَا وَأَنْتَ تَنْتَحِلُ الْحَبْ
إِنَّ الْغُرْبَ هُوَ الصُّبُور عَلَى الْبَلَاءِ لَيْزٌ أَحَبُّ
خُبُّ الْإِلَهِ هُوَ السُّرُور مَعَ الشُّفَاءِ لِكُلِّ كَرْه

ومنها رضي الله عنهم عابد هرم لقيه بعض جبال الشام

أخبرنا عبد العزيز بن أبي نصر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا أبو الفضل أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا محمد بن محمد، ثنا أحمد بن عيسى الوشاء، ثنا سعيد بن الحكم قال: سمعت ذا النون يقول:

بينما أنا أسير في بلاد الشام فإذا أنا بعابد خرج من بعض الكهوف فلما نظر إليّ استتر بين تلك الأشجار ثم قال: أعوذ بك يا سيدي ممن يشغلني عنك يا مأوى العارفين، وحبیب التوايين، ومعين الصادقين، وغاية أمل المحبين، ثم صاح واغماه من طول اليكاه، واكرباه من طول المكث في الدنيا.

ثم قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين به حلاوة الانقطاع إليه، ولا شيء ألدّ عندهم من ذكره، الخلوة بمناجاته، ثم مضى وهو يقول: قدوس قدوس قدوس فناديته: أيها العابد قف لي، فوقف لي وهو يقول: اقطع عن قلبي كل علاقة واجعل شغله بك دون خلقتك فسلمت عليه، ثم سألته أن يدعو الله لي فقال: خَفَّ الله عنك مؤن نصيب السير إليه، وأذاك إلى رضاه حتى لا يكون بينك وبينه علاقة ثم سعى بين يدي كالبهارب من السبع.

ومنهم رضي الله عنهم عابد صاحب أنس لقيه بجبل المقطم^(١)

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر بن حبيب، أبو سعيد بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن باكويه، ثنا أبو الطيب السامري^(٢) قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصري يقول:

وصف لي رجل في جبل المقطم فقصدته فرأيت رجلاً متعبداً فمكث معه أربعين يوماً لا أكلمه فاستخرت الله تعالى يوماً في كلامه، وسألت الله تعالى أن يوفقه لي.

فقلت: أيها الشيخ فيما النجاة.

فقال: في التقوى والمراقبة.

فقلت: زدني.

فقال: فؤ من الخلق ولا تشاؤن بهم.

فقلت: زدني.

فقال: إن لله عبداً نظروا إلى باطن الدنيا لما نظر الخلق إلى ظاهرها فأماتوا منها ما خشوا أن يكذبهم إنهم قوم صافوه بالعقول، ودققوا له الفطن فسقاهم كأساً من محبته فهم في عطشهم أروياء وفي ريقهم عطاش.

قال: فقلت: زدني.

قال: إنهم أروياء في توكلهم.



(١) جبل المقطم بمصر، وهو جيب مشرف على القرافة عليه مساجد وضوايح لا نبت فيها ولا ماء - كان هذا زمان المؤلف - أما الآن فالأمر مختلف كثيراً فقد أصبح على جبل المقطم أفضل المساكن والأرض الخضراء. ومن علامات هذا الجبل أن الميث لا يبي، وبها موتى كثيرة لم يبل منهم شيء. هكذا يقول القزويني وسأل الموقس عمرو بن العاص أن يبيعه سطح المقطم بسبعين ألف دينار فكذب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فكذب إليه أنه استخيره لأي شيء يدل ما يدل؟ فقال الموقس: إنما نجد في كتبنا أنه غراس الجنة! فقال عمر: غراس الجنة لا نجد إلا للمؤمنين، وأمره أن يحمله مقبرة.

انظر: آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، ص ٢٢٠.

(٢) أبو الطيب السامري، عبد الله بن الحسين بن حسن، السامري (أبو أحمد) مرقى، لغوي، نشأ ببغداد، ونزل مصر ووفى بها سنة ٣٨٦هـ. ترك بعض المؤلفات منها: اللغات في القرآن الكريم.

انظر: التوكلي - الأعلام، ٢٠٨/٩. كحالة: معجم المؤلفين، ٤٥/٦.

انظر: آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، ص ٢٢٠.

ومنها رضي الله عنهم عابد موحد مغزى لقيه بعض جبال المغرب

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا عمر بن ظفر، ثنا جعفر ابن أحمد، ثنا عبد العزيز بن علي الأزجي، ثنا علي بن عبد الله بن جهضم، ثنا عبيد الله بن محمد بن الحسن العيشي حدثني محمد بن عبد الله القرشي عن ذي الكفل^(١) أخيه ذي النون قال: سمعت ذا النون يقول:

بينما أنا في جبال المغرب إذ وقعت على رجل عابد في رأس جبل فسلمت عليه فأطرق إلى الأرض ثم رفع رأسه وقال: وعليكم السلام.

قال ذو النون: ما مقامك في هذا المكان؟

فقال: معي بضبعة قد هربت بها من الأسواق، وقد جئت بها لأدفعها في هذا المكان.

قلت: وما بضاعتك هذه؟

قال: عقد توحيد وخالص ضمير مكتوني.

فقلت: لو أنست بالناس.

فقال: منهم هربت وقد قصدت إلى من قصد غيري من الراجين فوجدوه مؤنساً، ثم رفع طرفه نحو السماء.

وقال: أنت أنت.

قال ذو النون: فرفعت طرفي في موضع رفع طرفه ورددت طرفي فلم أزه.



ومنها رضي الله عنهم عابد شاب عارف صاحب حال لقيه بعض جبال بيت المقدس.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا محمد بن عبد الله بن حبيب، ثنا علي بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله بن ياكويه، ثنا أحمد بن هارون الفارسي، ثنا الحسن بن محمد بن أحمد المقرئ، ثنا أحمد بن محمد الأنصاري. قال: سمعت أحمد بن محمد النيسابوري. قال: سمعت ذا النون يقول:

بينما أنا في بعض جبال بيت المقدس سمعت صوتاً وهو يقول: ذهبت الآلام عن أبدان

(١) ذو الكفل اسم ذي النون المصري له ألف له على ترجمة وافية فيما بين يدي من مراجع.

الخدام وولّيت بالطاعة عن الشراب والطعام وألّقت أبدانهم طول القيام بين يدي الملك العلام
فَتَبَعْتُ الصوت، فإذا شاب أمرد قد علا وجهه اصفرار يميل ميل الغصن إذا ماله الريح، عليه
سُمْلَةٌ قد انتثر بها، وأخرى قد انتشج بها، فلما رأيته توارى عني بالشجر.

فقلت له: أيها الغلام ليس أخفاء من أخلاق المؤمنين فكلمني وأوصني فخر ساجداً وجعل
يقول: هذا مقام من لا ذك واستجار بمعرفتك وألف محبتك فيا إله القلوب وما تحويه جلال
عظمتك احببني عن القاطعين لي عنك.

قال ذو النون: ثم غاب عني قلم أره.



ومنها رضي الله عنهم عابد صاحب حال ومحبة وشوق ومعرفة لقيه بجبل اللكام^(١)

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله،
ثنا عثمان بن محمد العثماني، ثنا محمد بن زيد السائح^(٢)، ثنا محمد بن جعفر بن سهل
السامري^(٣) قال: سمعت ذا النون يقول:

بينما أنا سائر في جبل اللكام مررت على وادٍ كثير الأشجار والنبات فبينما أنا واقف أتعجب
من حسن زهرته، ومن خضرة العشب في حياته إذ سمعت صوتاً أظن مدامعي، وهاج بلايل
حزني، فاتمعت الصوت حتى وقف بي بباب مغارة في سفح ذلك الوادي، فإذا الكلام يخرج
من جوف المغارة، فاطلعت فيها فإذا أنا برجل من أهل التبعد والاجتهاد فسمعتة يقول:
سبحان من أفرح قلوب المشتاقين في رياض الطاعة بين يديه، سبحان من أوصل الفهم إلى
عقول ذوي البصائر، فهي لا تعتمد إلا عليه، سبحان من أورد حياض المودة تقوس أهل
الحمية، فهي لا تحن إلا إليه ثم أمسك فقلت: السلام عليك يا حليف الأحرار وقرين
الأشجان.

(١) جبل اللكام هو جبل بالشام يسكنه نقيب عليه الأولياء من خواص أهل الشام، إذ هم من الأبدال لا يريدون على ذلك ولا يقصرون ولا يسكنون إلا جبل اللكام، كلما مات منهم واحد قام ببلده آخر.

انظر القزويني: أنوار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٠٦.

(٢) محمد بن زيد السائح لم أفت على ترجمة له ولمعه أبو إبراهيم السائح.

انظر متاوي: الكواكب النورية، ٣٥٧/١.

(٣) محمد بن جعفر بن سهل السامري الخوافي (أبو بكر) محدث وأديب، سكن الشام، وتوفي بفسطاط من شهر ربيع
الأول سنة ٣٢٧هـ، ترك مؤلفات هامة منها: اعتلال القلوب، فضيلة الشكر، مكارم الأخلاق وغيرها.

انظر ترجمته في: كحالة: معجم المؤلفين، ١٥٩/٤، ابن كثير: البداية والنهاية، ١٩٠/١١، الدهلي: تذكرة الحفاظ، ١٣.

٩٨٠، ابن عربي روي: النجوم الزاهرة، ٢٦٥/٣، المغازي: هدية العارفين، ٣٤١/٢.

فقال: وعليك السلام ما الذي أوصلك إلى من قد أفردّه خوف المسائلة عن الأنام، واشتغل بحاسبة نفسه عن التطيع في الكلام.

قلت: أوصلني إليك الرغبة في النصح والاعتبار.

فقال: يا فتى إن لله عزّ وجلّ عبداً قدّح في قلوبهم زبد الشغف نار الوهم فأرواحهم لشدة الاشتياق تسرح في الملكوت وتنتظر إلى ما دخر لها في حجب الجبروت.

قلت: صفهم لي قال أولئك قوم أووا إلى كتف رَحْمته ثم قال سيدي بهم الحقني ولأعمالهم فوقني.

قلت: ألا توصني بوصية.

قال: أحب الله شوقاً إلى لقائه فإن له يوماً يتجلى فيه لأوليائه وأنشأ يقول:

قَدْ كَانَ لِي وَضَحٌ فَأَقْنَيْتُهُ	وَكُنْتُ لِي جُفْنٌ فَأَذْقَيْتُهُ
وَكُنْتُ لِي جَنْمٌ فَأَبْلَيْتُهُ	وَكُنْتُ لِي قَلْبٌ فَأَطْبَيْتُهُ
وَكُنْتُ لِي يَدَا سَيِّدِي نَاطِرٌ	أَرَى بِهِ الْجَوْفَ فَأَعْمَيْتُهُ
عَبْدُكَ أَضْحَى سَيِّدِي مُوَثَّقاً	لَوْ شِئْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ ذَاوِثُهُ

.. ..

ومنهم رضي الله عنهم عجوز عارفة لقيها في بعض جبال الشام

أخبرنا محمد بن إسماعيل قال، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر بن حبيب قال، ثنا ابن أبي صادق، ثنا ابن ياكويه، ثنا عبد الله بن أبي القاسم، ثنا عبد الملك بن هاشم قال: سمعت ذا النون يقول:

كنت سائراً في بعض جبال الشام فإذا أنا بكوخ فتصدته فإذا أنا بعجوز قد عميت من البكاء فدنوت منها فسلمت وقلت: يا عجوز حدثيني ما الغنى؟

قالت: الزهد في الدنيا.

قلت: فما الزهد؟

قالت: ترك طلب المفقود حتى تفقد الموجود.

فصل

ومنهم رضي الله عنهم جارية لقيها على شاطئ نيل مصر تدعو

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا أبو بكر بن عبد الباقي، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عبد الله بن محمد، ثنا أبو بكر الدينوري، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي قال سمعت ذا النون المصري يقول: بينما أنا سائر على نيل مصر إذا أنا بجارية تدعو، وهي تقول في دعائها، يا من هو عند ألسن الناطقين، يا من هو عند قلوب المذاكرين، يا من هو عند فكرة الحامدين، يا من هو على نفس الجبارين والمتكبرين. قد علمت ما كان متي يا أمل المؤمنين قال:

ثم صرخت صرخة خرت مغشية عليها.

ومنهم رضي الله عنهم امرأة [^(١)] لقيها بساحل البحر

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا عمر بن ظفر وشهادة بنت أحمد ^(٢) قالاً ثنا أحمد بن جعفر السراج، ثنا عبد العزيز بن علي، ثنا علي بن عبد الله بن جهضم، ثنا محمد بن عبد الله الشكلي.

قال: حدثني محمد بن جعفر القنطري ^(٣) وحدثنا ابن الأخضر قال، ثنا يحيى بن عبد

(١) من المصنفين كلمة غير واضحة بالخطوط

(٢) شهادة بنت أحمد بن الفرج المكنية، أحد عشر ربيعة بن الحسن بن علي الحافظ المحدث وهي من طبقة ابن الخشاب الأسدي وغيرهما، وكان ربيعة قد ولد سنة ٥٢٥ هـ. انظر السوطي: طبقات الحفاظ، ٤٩٠.

(٣) محمد بن جعفر القنطري (أورد ابن الخوارزمي في صفة الصفوة باسمه) محمد بن مسلم بن عبد الرحمن القنطري أبو بكر) وكان يزل قطرة الرمد، ويشبه بقر بن الحارث في الزهد، والورع، والشغل عن الدنيا وأهلها. توفي رحمه الله يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٢٦٠ هـ.

انظر ابن الخوارزمي: صفة الصفوة، ٤٣٢/١، ابن الخطيب: تاريخ بغداد، ٢٥٦/٣.

الباقى، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا المفسر أبو بكر الديبوري، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي وكل واحد منهما يزيد على صاحبه فضمنت الزيادات بعضها إلى بعض وجمعت بين الروايتين في السياق فأما القنطري فقال: قال ذو النون، وأما الشمشاطي فقال سمعت ذا النون يقول:

بينما أنا أسير على ساحل البحر إذ بصرت بجارية عليها أطمار شعر وإذا هي ناحلة ذابلة فدنوت منها لأسمع ما تقول: فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان، وعصفت الرياح فاضطربت الأمواج.

فبينما هي كذلك إذ بصرت بحوت ينساب بين الموجين. فرمت بطرفها نحو السماء فصرخت ثم سقطت إلى الأرض، فلما أفاق نحيب ثم قالت:

سيدي بك تغرد المتفردون في الخلوات، ولعظمتك ولعظيم رجاء ما عندك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات، ولجلال قدسك وهيبتك اصطفقت الأمواج المتلاطمات، ولموانستك استأنست بك الوحوش في الفلوات، ولجودك وكرمك قصداً إليك، يا صاحب البرّ والمسامحات، أتت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار، والفلك الدوار، والبحر الزخار، والقمر النوار، وكل شيء عندك بمقدار.

يا مؤنس الأبرار في خلواتهم يا غيّر من خطت به النُرّال
من نال حبك هل ينال تفجّعاً القلب يعلم أن ذاك مُحال
فقلت: زينا من هذا.

فقالت: إليك عني ثم رفعت طرفها نحو السماء وقالت:

أحبك خبّين حبّ الوداد وحباً لأنك أهل لَذاك
فأما الذي هو حبّ الوداد فحبّ شغلِك به عن سواك
وأما الذي أنت أهل له فكشْفك للخبّ حتى أراك
فلا الحقد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك^(١)

ثم شهقت شهقة فإذا هي قد فارقت الدنيا، فبقيت أتعجب مما رأيت منها، فإذا أنا بنسوة قد أقبلن، عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيننها عني فغسلنّها، ثم أقبلن بها في أكفانها.

(١) لا يخفى على قتيبة القارئ مدى التشابه أو المقابلة إن صح القول بين هذه الأبيات والأبيات التي ذكرت من قبل، وأنها هي نفسها الأبيات التي قالتها رابعة العدوية. علماً بأن رابعة العدوية توفيت سنة ١٣٥هـ أي قبل زمن ذي النون بما يزيد على مائة عام تقريباً. النظر وتأمل وراجع.

فقلن لي: تقدم فضل عليهما فتقدمت فصليت عليهما وهن خلفي ثم احتملنها ومضين.

~ ~ ~

ومنهم رضي الله عنهم امرأة لقيها بين زروع سواد نيل مصر

أخبرنا يونس بن يحيى، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حماد بن أحمد، ثنا أحمد بن عبد الله بن محمد، ثنا أبو بكر الديقوري، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي قال سمعت ذا النون يقول:

دخلت إلى سواد نيل مصر فقممت بين زروعها. فإذا بامرأة سوداء قد أقبلت إلى سنبلة ففركتها، ثم امتنعت عليها فتركتها وبكت.

وتقول: يا من بذرت حباً يابساً في أرضه ولم يك شيئاً أنت الذي صيرته حشيشاً ثم تنبتة عوداً قائماً، وجعلت فيه حباً متراكماً، ودورته فكونته بتكوينك وأنت على كل شيء قدير. وقالت: عجبْتُ لمن هذه قدرته كيف يعصى، وعجبت لمن هذه مشيئته كيف لا يطاع، وعجبت لمن هذا صنعته كيف يشتكى، فدنوتُ منها.

فقلت: من يشكو أمل المؤمنين.

فقلت لي: أنت يا ذا النون إذا اعتلت فلا تجعل علّتك إلى مخلوق مثلك، واحتلب دواؤك من ابتلاك وعليك السلام لا حاجة لي في مناظرة البطالين.

ثم أنشأت تقول:

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَذُرْ فِي أَيِّ الْخَلْقِ تَنَزُّلُ

~ ~ ~

ومنهم رضي الله عنهم الواله في حب الله سعدون المجنون^(١)

له به رضي الله عنهما اجتماعات

اجتماعه به في مقبرة البصرة.

أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، ثنا أبو الفضل بن أحمد، ثنا أبو نعيم الحافظ، ثنا عثمان بن محمد العثماني قال: قرئ علي أبي الحسن أحمد بن موسى بن

(١) (سعدون المجنون) عرف في بغداد بأنه من غلاء الطوائف. قال عنه الفتح بن شحرف: كان سعدون صاحب محبة لله، صام ستين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنوناً. توفي رحمه الله بعد سنة ٥٢٥ هـ.

انظر ابن الجوزي: صفة الصفوة: ٤٨٩/١، إمامي: نفحات الأنس، ٢٤١، ابن تقي بريدي: النجوم الزاهرة، ١٣٣/٢، فوات الوفيات، ١٦٨/١.

عيسى الرازي حدثكم يوسف بن الحسين. قال: حدثني بعض الصوفية وهو فتح بن شحرف قال: سمعت ذا النون يقول:

رأيت سعدون في مقبرة البصرة في يوم حار يناجي ربه ويقول بصوت عالٍ أحد أحد فسلمت عليه فردّ عليّ السلام.

فقلت: بحق من ناحيته ألا وقتت. فوقف ثم قال لي: قل وأوجز.

قلت: أوصني بوصية أحفظها منك أو تدعو لي بدعوة فأنشأ يقول:

يا طالب العلم ها هنا وهنا ومعدن العلم بين جنبتيك
إن كنت تبغي الجنان نسكها فأدرب الدمع فوق خديك
وقم إذا قام كل مجتهد يدعوه كيما يقول لبنيك
ثم مضى وقال: يا غياث المستغيثين أغثني.

فقلت له: ارفق بنفسك فلعله يلحظك بلحظة فيغفر لك، فصرف يده من يدي وغدا وهو يقول:

أنسك به فلا أبغي سواه مخافة أن أضلّ ولا أراه
فحسبك حسرة وضئى وسقما بطردك من مجالس أوليائه
ومنها اجتماع آخر بالبصرة في استسقاء

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو بكر العامري، ثنا أبو سعيد بن أبي صادق الحيري، ثنا ابن باكويه، ثنا بكران بن أحمد، حدثني محمد بن أحمد بن يعقوب حدثني أحمد بن عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

خرج الناس إلى الاستسقاء بالبصرة فخرجت فيمن خرج فبينما أنا مار بين الناس إذا بيدني قبضتا على رجلي فقلت: من أنت خلّ عني؟

فقال: أنا سعدون المجنون أين تريد يا أبا الفيض؟

قلت: أريد المصلي أدعو الله.

فقال: بقلب سماوي أو بقلب جاف.

فقلت: لا بل بقلب سماوي.

قال: الفخر يا ذا النون لا تُبهرج فإن الناقد بصير.

وقال: تدعو الله وأؤمن على دعائك أو أدع الله وتؤمن على دعائي.

فقلت: تدعو الله وأؤمن عليه فضفّ قدميه ثم قال: إلهي بحق البارحة إلا أمطرتنا.
قال ذو النون: فوالله لقد رأيت الغيوم قد ارتفعت عن اليمين والشمال حتى التفت فجاءنا
المطر كأفواه العرالي.

فقلت له: بحق معبودك: أي شيء كان بينك وبين الله البارحة.

فقال لي: لا تدخل بيبي وبين قرة عيني.

قلت: لا بد أن تخبرني.

فأنشأ يقول:

أَنْشَأْتُ بِهِ فَلَا أَبْغِي سِوَاهُ مَخَافَةَ أَنْ أَضِلَّ فَلَا أَرَاهُ

فَحَبَسْتُكَ حُسْرَةً وَضُئِي وَتَغَمَّأَ يَطْرُدُكَ عَنْ مَجَالِسِ أَوْلِيَاهُ^(١)

ومنها اجتماع آخر بمجلسه بفسطاط مصر

أخبرنا عبد العزيز بن الأخضر، ثنا يحيى بن عبد الباقي، ثنا حمّد بن أحمد، ثنا أحمد بن
عبد الله، ثنا عثمان بن محمد العثماني.

قال: قرئ على أبي الحسن أحمد بن موسى بن عيسى الرازي، حدثكم يوسف بن الحسين.

قال: قال الفتح بن شُحُوف وكان سعدون صاحب محبة لله لهج بالقول صام سنين حتى
جفّ دماغه فسماه الناس محتوناً لتردد قوله في المحبة قال الفتح: فغاب عنا زماناً وكنت إلى
لقائه مشتاقاً لما كان وصف لي من حكمة قوله: فبينما أنا بفسطاط مصر قائماً على حلقة ذي
النون فرأيت عليه نجمة صوف على ظهره مكتوب لا تباع ولا تشتري، وذو النون يتكلم في علم
الباطن فناداه سعدون متى يكون القلب أميراً بعد ما كان أسيراً.

فقال ذو النون: إذا أطع الخبير على الضمير فلم يز في الضمير إلا حبه لأنه الجليل العزيز.

قال فصرخ صرخة خرو مغشياً عليه ثم أفاق من غشيته.

وهو يقول:

وَلَا خَيْرَ فِي شَكْوَى إِلَى غَيْرِ مَشْكَا وَلَا بَدَ مِنْ شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرُ

ثم قال: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ غِبْ عَنِّي حَبِيبِي وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

ثم قال: يَا أَيُّهَا الْفَيْضُ إِنَّ مِنَ الْقُتُوبِ قُلُوباً تَسْتَغْفِرُ قَبْلَ أَنْ تَذُنِبَ.

قال: نعم تلك قلوب تشاب قبل أن تطيع.

(١) بالرفع من تكبر النبيين فإن الاجتماع محض وموقع محضين.

قَالَ: يَا أبا الْفَيْضِ اشْرَحْ لِي ذَلِكَ فَقَالَ: يَا سَعْدُونَ أُولَئِكَ أَقْوَامٌ أَشْرَقَتْ قُلُوبُهُمْ بِضِيَاءِ رُوحِ الْيَقِينِ فِيهِمْ قَدْ فَطَمُوا النَّفُوسَ مِنْ رُوحِ الشَّهَوَاتِ فَهَمُّ رَهْبَانٍ مِنَ الرُّهَابِيِّينَ، مَلُوكٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَأَمْرَاءُ فِي الزُّهَادِ لِلْغَيْثِ الَّذِي مَطَرٌ فِي قُلُوبِهِمْ الْوَلَهَةُ بِالْقُدُومِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَوْقًا فَلَيْسَ فِيهِمْ مِنْ أَنْسٍ لِمَخْلُوقٍ، وَلَا مُسْتَرْزَقٍ مِنْ مَرْزُوقٍ فَهِيَ بَيْنَ الْمَلَأِ حَقِيرٌ ذَلِيلٌ، وَعِنْدَ اللَّهِ خَطِيرٌ جَلِيلٌ. قَالَ: يَا ذَا النُّونِ قُمْتَنِي يَصِلُ إِلَيْهِ.

فَقَالَ: يَا سَعْدُونَ صَحَّحَ الْعَزَمَ يَطْرَحُ الْأَذَى وَوَسَّلَ الَّذِي بِسِيَاسَتِهِ تَوَلَّى.

قَالَ الْفَتْحُ: فَأَدْخَلَ سَعْدُونَ رَأْسَهُ فِيمَا بَيْنَ الْحَلَقَةِ فَمَا رَأَيْتَهُ بَعْدَ.

وَمِنْهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْوَالَهُ فِي حُبِّ اللَّهِ شَيْبَانَ الْمَصَابِ لَقِيَهُ بِجَبَلِ لُبْنَانَ فَمَاتَ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الْقَرَحْمَنِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، ثَنَا عَمْرُ بْنُ ظَهْرٍ، ثَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ، ثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَلِيٍّ الْأَرْجِي، ثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَهْضَمٍ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَيْسَى الرَّازِي، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُسْلِمَةَ، حَدَّثَنِي سَالِمٌ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا سَائِرٌ مَعَ ذِي النُّونِ فِي جَبَلِ لُبْنَانَ إِذْ قَالَ لِي مَكَانَكَ يَا سَالِمُ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ فَعَابَ عَنِّي فِي الْجَبَلِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَأَنَا أَنْتَظِرُهُ إِذْ هَلَجَتْ عَلَيَّ النَّفْسُ أَطْعَمَتْهَا مِنْ ثَبَاتِ الْأَرْضِ وَسَقَيْتَهَا مِنْ مَاءِ الْغُدْرَانِ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الثَّلَاثِ رَجَعْتُ لِي مُتَغَيِّرُ النُّوْنِ ذَاهِبَ الْعَقْلِ فَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ مَا رَجَعْتُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ يَا أبا الْفَيْضِ أَسْنَعُ عَارِضُكَ؟

فَقَالَ: لَا دَعْنِي مِنْ تَخَوُّفِ الْبَشَرِيَّةِ إِنِّي دَخَلْتُ كَهْفًا مِنْ كَهَوفِ هَذَا الْجَبَلِ فَرَأَيْتُ رَجُلًا أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ وَأَسْنَعُ أَغْبَرُ نَحِيفًا نَحِيلًا كَأَنَّمَا أُخْرِجَ مِنْ قَبْرِهِ ذَا مَنْظَرٍ مَهُولٍ وَهُوَ يَصْلِي فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا سَلَّمَ قَرَنَ عَلَيَّ السَّلَامَ وَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَمَا زَالَ رَاكِعًا وَمَسْجُودًا حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ وَاسْتَنَدَ إِلَى حَجَرٍ يَحْدَاهُ اخْتِرَابَ يَسِيحٍ وَلَا يَكَلِمَتِي فَبَدَأَنِي بِالْكَلَامِ.

فَقُلْتُ لَهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، أَوْصِنِي بِشَيْءٍ أَدْعُ اللَّهَ لِي بِدَعْوَةٍ.

فَقَالَ: يَا بَنِي أَتَسَلَّتْ اللَّهُ بِقُرْبِهِ تَمَّ سَكَتٌ، ثُمَّ قُلْتُ: رَدَّنِي.

فَقَالَ: يَا بَنِي مَنْ أَسَمَهُ بِقُرْبِهِ أَعْضَاءُ أَرْبَعٍ خَصَالٍ:

غَيْرُ مَنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ.

وَعِلْمٌ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ.

وَعَطَى مِنْ غَيْرِ مَالٍ.

وَأَتَمُّ مَنْ غَيْرِ جَمَاعَةٍ.

لَمْ يَنْهِنِ شَيْئًا قَالَهُ بَقِيَ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ مِنْ غَيْرِ مَاءٍ إِلَى جَنْبِ الْكَهْفِ، وَقَالَ

لي يا بني كم فاتني من الغرائض صلاة أو صلاتان أو ثلاث قلت: قد فأتك صلاة ثلاثة أيام
بالباليهين.

فقال:

إِنْ ذُكِرَ الْحَبِيبَ هَيَّجَ قَلْبِي ثُمَّ حَبَّ الْحَبِيبُ أَذْهَلَ عَقْلِي
وقد استوحشت من ملاقات الخلق وقد أنست بذكر رب العالمين، انصرف عني بسلام.
فقلت له: رحمك الله وقفت عليك ثلاثة أيام رجاء الزيادة وبليت.
فقال: أحببت مولاك ولا ترد بحجة بدلاً والخيون لله تعالى هم تبجأ العباد وعلم الزهاد
وهم أصفياء الله وأحياءه. ثم صرخ صرخة فحركته فإذا هو قد فارق الدنيا فما كان إلا هنيهة
وإذا جماعة من العباد منحدرين من الجبل حتى وارود التراب فسألت ما اسم هذا الشيخ.
قالوا: شيبان المصاب^(١).

قال سالم: سألت أهل الشام عنه، فقالوا: كان مجنوناً خرج من أذى الصبيان.
قلت: تعرفون من كلامه شيئاً قالوا نعم كلمة واحدة كان يلقي بها إذا ضجر.
إذا بك لم أجن يا حبيبي فيمن أجن.
قال سالم: فقلت عمي والله عليكم.

ومنهم رضي الله عنهم واللة عارف يؤمى بالجنون لغلب الحال عليه لقيه بجبل اللكام^(٢)
أخبرنا بعض مشيختنا قال: بلغنا عن ذي النون المصري. قال: وصف لي رجل من أهل
المعرفة في جبل اللكام فقصدته فلقيني جماعة من المتعبدين فسألتهم عنه.
فقالوا: يا ذا النون تسأل عن المجانين.
فقلت: ما الذي رأيتم من جنونه.
قالوا: نراه في أكثر أوقاته هائماً ساهياً بكم فلا يجيب، ويتكلم فلا يفقه ما يقول ويتوحد في
أكثر أوقاته على نفسه ويكي.

(١) روي عن أبي جني (شيبان الراعي) غير الاسم فقط وبعده هو الذي أطلق عليه الخوامي في نفاحات الأنس (شيبان بن
علي) ولكنهم في غمض النفاحات حاولوا أن يجعلوه (شيبان الراعي) خطأ لأنه لا يفتي على أحد. وكان له عتبات
رمادية. ذكره أبو عبد الله في كتابه.

خدا. الخوامي: نفاحات الأنس. ٥٥٣. وأما ترجمة شيبان الراعي المتعارفة في النجوم الزاهرة. لأن نفري بردي، ١/٢
٦٣٦. اختلط التفتيش. ٢٥١. الكواكب الدرية. ٢٦٥.

(٢) هذا هو جبل اللكام وعلاقته بالأولاد في مكة.

فقلت في نفسي: ما أحسن أوصاف هذا المجنون.

ثم قلت لهم: دلّوني عليه؟

فقالوا: إنه في الوادي الغلاني.

فانطلقت إلى الوادي فأشرفت على وادٍ وعري. فجعلت أنظر يميناً وشمالاً، فإذا أنا بصوت محزون شبح من وجد قلب وهو يقول:

يَا ذَا الَّذِي أَلَسَ الْفُؤَادَ بِذِكْرِهِ أَأَنْتَ الَّذِي مَا إِنْ سَوَاهُ أُرِيدُ

تَفْسِي اللَّيَالِي وَالزَّمَانَ بِأَسْرِهِ وَهَوَاكَ غَضَّ فِي الْفُؤَادِ جَدِيدُ

قال ذو النون: فاتبعته الصوت، فإذا أنا بفتى حسن الوجه، حسن الصوت، وقد ذهب تلك الحاسن، وبقيت رؤسومها تحيل قد اصفرَّ واحترق، وهو شبيه بالواله الحيران.

فسلمت عليه فردَّ السلام وبقي شاخصاً يقول:

أَعْمَيْتَ عَيْنِي عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا فَأَلَيْتَ وَالزُّوْجَ شَيْءٌ غَيْرَ مُفْتَرِقِ

إِذَا ذَكَرْتُكَ وَأَفَى مَقَلَّتِي أَرْقُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَلَقِ

وَمَا تَطَابَقَتِ الْأَجْفَانُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا رَأَيْتُكَ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ

قلت: أو مجنون أنت؟!

قال: قد شُيِّتَ فيه.

فقلت: مسألة؟

فقال: مل.

قلت: أخبرني ما الذي حبَّب إليك الانفراد، وقطعك عن المؤانسين، وهيمتك في الأودية؟

فقال: تحبني له هيمتي، وشوقي إليه هيجني، ووجدني به أقر دني.

ثم قال:

يَا لَيْتَ شَعْرِي يَا فَتَى إِلَى مَتَى تُشْرِكُنِي مُعَلِّقاً فِي مَخْنَتِي

فقلت له: أخبرني أين محل الحب منك، وأين مسكن الشوق فيك؟

فقال: مسكن الحب سواد القلب.

قلت: فما الذي تبعه في خلواتك.

قال: الحق سبحانه.

قلت: كيف تحبه.

قال: بحيث لا حيث.

ثم قال يا ذا النون أعجبك كلام المجانين.

قلت: أي والله وأشجائي، ثم قلت له: ما صدق وحدانيتك للحق تعالى.

فصرخ صرخة ارتج لها الجبل ثم قال: يا ذا النون هكذا موت الصادقين، ثم سقط إلى الأرض ميتاً فتحيّرت في أمري لا أدري ما أصنع به، وإذا به قد غاب عني فلا أدري أين أذهب به؟!

انظر. ما أحسن هذا الجواب على الوحدةانية، فإن حقيقة ذهاب الكون عند التجلي إليه من حيث هي.

فأجاب بالغناء الكلي جواب حال ثم تمّم ذلك بمغيب الجسد عن ذي النون، فكان فناً بالكلمة.

ولقد أشرنا إلى هذه الحالة من جملة ما أشرنا إليه في قصيدة مكية تحوي على أسرار. فقلنا:

وَإِذَا أَرَدْتُ تَمَعاً بِوُجُودِهِ قَسَمْتُ مَا عِنْدِي عَلَى الْغُرَمَاءِ
وَعِدَمْتُ مَنْ عَيْتِي فَكَانَ وَجُودُهُ قَطْلُهُورُهُ وَقَفْتُ عَلَى إِخْفَاءِ

إني أغطيت كل جزء من الكون ما يتاسبه مني فتحللت حتى ما بقي إلا الشئ الزباني. فدخل في حضرة فلم أكن أنا فظنّ لنفسه بنفسه ولنا، إلى هذه الحالات إشارات كثيرة في عدّة مواضع من منطق مثلاً لو رآها من تقدّم من أصحابنا لورّاده معرفة بفضل الله وسعة جوده فاسألوا الله لي أن يجعل ما أعطاني من المعرفة به حجة لي لا حجة علي، فإني ضعيف أضعف الضعفاء بالأصالة ما لم يقوّني، ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

ومنهم رضي الله عنهم زهراء الوالهة^(١) في حب الله تعالى المهمة فيه لقيها في جبل من جبال بيت المقدس

أخبرنا محمد بن إسماعيل أنبا محمد الرحمن بن عبي أنبا أبو بكر بن حبيب أنبا ابن أبي صادق، أنبا ابن باكويه قال: سمعت الحسن بن أحمد القارمي، ثما أحمد بن عيسى الأنصاري، ثما محمد بن مسلمة قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

(١) زهراء الوالهة، يقول عنه: كانت من دعائه المحبين، وكانوا يعرفون أنه ذكر دعاءه الذي قاله في لقاءه بذي

القدس ما قبل موته بوقت قريب

نص: سمعت الكواكب الدرية: ١٠٥٠

بينما أنا في بعض أودية بيت المقدس إذ سمعت صوتاً يقول: يا ذا الأيدي التي لا تحصى،
ويا ذا الجود والبقاء؛ متع بصر قلبي في الجولان في يساتين جبروتك، واجعل همتي متصلة بوجود
لطفتك يا لطيف، وأعدني من مسالك المتجبرين بجلال بهائك يا رؤوف، واجعلني لك في
الحالات خادماً وطالباً، وكن لي يا مُؤزّر قلبي وغاية طلبتي في الفضل صاحباً.

قال ذو النون: فطلبت الصوت حتى ظهر لي، فإذا امرأة كأنها العود المحترق، وعليها درع
من الصوف، وخمار من الشعر، أسود، قد أضناها الجهد وأفناها الكمد، وذوئها الحب، وقتلها
الوجد.

فقلت لها: السلام عليك، فقالت: وعليك السلام يا ذا النون.

فقلت: لا إله إلا الله، كيف عرفت اسمي ولم تريني؟

قالت: كتمت عن سرّي الحبيب فرفع لقلبي حجاب العمى فعرّفني اسمك.

فقلت: أرجعي إليّ مناجاتك.

فقالت: أسألك يا ذا انبهاء أن تصرف عني شر ما أجد فقد استوحشت من الحياة، ثم خرت
ميتة، فبقيت متفكراً متحيراً، فأقبلت عجز كالمالهة فنظرت إليها.

ثم قالت: الحمد لله الذي أكرمها، فقلت: من هذه؟

قالت: ألم تسمع بزهاء الوالهة؟

هذه ابنتي توّهم الناس عشرين سنة أنها مجنونة، وإنما قتلها الشوق إلى ربها.

باب جامع ومنه خاتمة الكتاب خبر نبوي

قال ذو النون: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا خرجتم في حج أو عمرة فتمتعوا للنلّا تتكلموا، وأكرموا الحبز، فإن الله سخر له بركات السماء والأرض، فلا تسندوا القصعة بالحبز، فإنه ما أهانه قوم إلا ابتلاههم الله بالجوع»^(١).

حكاية في حب الله تعالى

قال ذو النون: لقيت بعض السباحين، فقلت له: من أين أقبلت؟ فأنشد يقول:
 من عند من غلق القُؤاذ بذُكره فشكا إليه بخاطرٍ مُشتاق
 يبكي الوصال بعبرة مسفوحة فيها الشفاء لرامقٍ تواق
 ثم تركني ومضى.

دعوة عارف ممنون عليه

قال ذو النون: مررت بجبل اللكام على رجل ساجد وهو يقول في سجوده: إلهي بك عرفتك، فما هي حاجتي إلى غيرك.
 سمعت شيخنا ابن الصائغ^(٢) يقول: سمعت محمد بن رزق^(٣) يقول: مررت في سباحة

(١) حديث: (إذا خرجتم من حج أو عمرة...) رواه أبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة رضي الله عنه بدون الشغار الأخير من الحديث، هكذا رواه السيوطي في جامع لأحكامه ٤٢٧/١، حديث رقم (٢٢١٥).

(٢) ابن الصائغ هو الحسن بن الصائغ، وقدمت ترجمته.

(٣) محمد بن رزق هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رزق البزاز بن رزويه، كان في عصره محدثاً في مكة مرموقة، وهو سيد الفقهاء وأول مشايخ الخطيب البغدادي، توفي سنة ٤٩٢ هـ.
 انظر: سير أعلام النبلاء، تاريخ التراث العربي، ٣٧٣/١.

أض كتاب الكوكب الدُّرِّي في مناقب ذي النون المصري

برجل على جبل مساجد فدنوت منه أسمع ما يقول: اللهم كما صُنْتَ وجهي عن السجود
لغيرك فَصُنْ يدي عن مذهبها إلى غيرك.

كتاب اعتراف

كتب رجل إلى ذي النون يسأله عن حاله فكتب إليه:

ما لي حالة أرضاه، ولا حال لا أرضاها كيف أرضى حالتي لنفسي وأنا لا أفي بما أريد مني
إلا ما أريد من الأحوال فليست أدري أيما أحسن. حسن حالتي فمن حسن إحسانه إليّ، أمّ حسن
حالتي في سوء حالتي إذ كان هو المختار لي غير أنني في عافية ما دمت في العافية التي أظن أنني
عافية إلا أنني أجد طعم ما عنده للذي تقدم من مراده القديم.

وما حاجة إلى أن أعلم ما هو إذ كان هو قد علم ما هو كائن وهو المكوّن للأشياء وهو الذي
اختاره لي.

هبة شريفة

قال أبو الحارث الأوسي^(١):

قصدت ذا النون في مسائل أريد أن أسأله عنها، فلما وصلت قيل لي: إنه مات بالأمس
فجئت القبر فصليت عليه، وقعدت عند قبره فغفوت، فرأيت في المنام، فسألت عن المسائل
فأجابني عنها.

معرفة كشفية بطريق السعادة

قال ذو النون: علامة السعادة للعبد ثلاث:

- متى ما زيد في عمره، نقص من حرصه.
- متى ما زيد في ماله، زاد هو في سخائه وبذله.
- ومتى ما زيد في قدره، زاد في تواضعه.

(١) أبو الحارث الأوسي، (الأولاسي)، أورده ابن الجوزي في صفة الصفوة؛ باسم (أبو الحارث الأوسي). وقال: اسمه فيض
ابن الحضر. كذا تنبأ يعني في أول أمره وقال: تنبأ أنا في غفني رأيت عملاً مصروحاً على فارة الطريق، فدنوت منه
فقتل. قال انتهى شهادته قال: نعم، رمتاً فجلته برمان فلما وضعته بين يديه رفع يديه وقال: تالله عليك وما
أعجب حتى معي فلي عفا كنت عليه. توفي أبو الحارث بطبرستان سنة ٣٩٧هـ.

أض ابن الجوزي: صفة الصفوة، ١٦١/٢، عند الرحمن الجمي. نقحاح الأنس، ١١١، ابن تيمية: البرهان
الزاهر، ١٣-١٧.

عَلَّمَ عَرَفَانِي بِطَرِيقِ الشَّقَاوَةِ

قال ذو النون: وعلامة الشقاء للعبد ثلاث:

• متى ما زيد في عمره، زاد في حرصه.

• ومتى ما زيد في ماله، زيد في بخله.

• ومتى ما زيد في قدره، زيد في تجبره، وتكبره.

أخيراً يهذين الخبرين عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأُسدي الحلبي بجامع حلب قراءة عليه وأنا أسمع قال، ثنا أبو بكر بن محمد بن علي بن ياسر الأنصاري ثم الحياني^(١)، ثنا محمد بن الفضل بن أحمد بن صاعد القراوي^(٢)، ثنا شَيْخُ الْإِسْلَام أَبُو عَثْمَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّابُونِيِّ^(٣) قال:

سمعت أبا عمرو الحيري^(٤) يقول: سمعت أحمد بن محمد بن إبراهيم الشَّروطِي يقول: سمعت أبا الحسن المهَلَّبِي يقول:

قال ذو النون وذكر: تذكرة منظومة لذي النون

أَنْتَ فِي غَفْلَةٍ وَقَلْبُكَ سَاهٍ ذَهَبَ الْغَبْرُ وَالذُّنُوبُ كَمَا هِيَ
جُمَّةٌ خَضَلَتْ عَلَيْكَ خَمِيْعاً فِي كِتَابٍ وَأَنْتَ عَنْ ذَلِكَ لَا بَهِي
لَمْ تُبَادِرْ بِثَوْبَةٍ مِنْكَ حَتَّى صُرْتَ شَيْخاً فَجَعَلَكَ الْيَوْمَ وَاهِي

(١) محمد بن عبي بن ياسر الأنصاري ثم الحياني، الأندلسي (أبو بكر) محدث، رحل إلى المشرق، وسافر إلى بغداد وبنسايور وأقام بالموصل وتوفي بحلب سنة ٥٦٣هـ. له مؤلفات منها: كتاب الأربعين من رواية الخليلين.

انظر: كحالة: معجم المؤلفين، ٢٤/١١، الزركلي: الأعلام، ٦٦٦/٧، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ٦٤٥/٣، الطبعة العربية بإشراف أ.د. محمود فهمي حجازي.

(٢) محمد بن الفضل بن أحمد بن صاعد القراوي البصايري، الشافعي (أبو عبد الله) أخذت الواعظ الفقيه المعروف، ولد سنة ٤٤١هـ. وتوفي سنة ٥٣٠هـ بنسايور، له مؤلفات منها: المجالس من الوعظ والتذكير، أربعون حديثاً.

انظر ترجمته في: كحالة: معجم المؤلفين، ٢٧/١١، البغدادي: هدية العارفين، ٨٧/٢، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ٥٥٢/٣، الطبعة العربية بإشراف أ.د. محمود فهمي حجازي القاهرة.

(٣) أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني بن إبراهيم بن عامر البسايوري الفقيه أخذت المفسر سمع بنسايور وهرقة، وسرخس وثقل وتترك مؤلفات منها دم الكلام، القلوق من الصفات، الفصول في الأصول، منازل السائرين وغيرها، توفي سنة ٤٤٩هـ لأربع ليال يقين من الخرم.

انظر كحالة: معجم المؤلفين، ٢٧٥/٢، ابن العماد: شذرات الذهب، ٢٨٢/٣.

(٤) أبو عمرو الحيري محمد بن أحمد بن حمدان بن عتي الحيري، المتوفى سنة ٣٧٨هـ، كان من أكابر الصوفية، سمع من أبي عثمان وغيره.

انظر سركين: تاريخ التراث العربي، ٤٨٦/٢، ابن العماد: شذرات الذهب، ٨٧/٣.

فاجتهد في فكاك نفسك واحذر يوم تبدو السمات فوق الجباه
قال: حدثنا به الأستاذ إلى الصابوني قال: أنشدنا أبو القاسم بن حبيب المفسر قال: أنشدني
أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم البلاذري الطوسي^(١) قال: أنشدني بكر بن عبد
الرحمن، لذي النون المصري، الأبيات المذكورة.

ضمان دلال وحسن ظن يني على صلاح بال

قال محمد بن زيد التميمي: كنت مع ذي النون فظفر إلى دار تبني، شاهقة في الهواء، وبنا
شباب في ظل قنائها، يأمر وينهى، فقال له ذو النون:

أيها المغرور، بدار الغرور اللاهي عن دار البقاء والسرور، كيف لا تشتري من مولك داراً من
دار الأمان، لا يضيق فيها المكان، ولا يترعج منها السكان، ولا يشعنها حوادث الزمان، ولا
يحتاج إلى بناء وطمان.

وتجمع هذه الدار حدود أربعة: فالحل الأول: ينتهي إلى منازل الراجين، المخزيين.

والحل الثاني: ينتهي إلى منازل الخائفين.

والحل الثالث: ينتهي إلى منازل الخبثين.

والحل الرابع: ينتهي إلى منازل الفائزين.

ويشرع لهذه الدار، شارع إلى خيام مضروبة، وقباب منصوبة، على شاطئ أنهار الجحيم.
في ميادين قد أشرقت، وغرف قد رفعت منها سرور، قد صفقت عليها فرش، قد تغطدت فيه
أنهار، من ألباك غلاسه كثبان مسك وزعفران، قد عانقوا خيرات حسان.

قال الفتى: ومن لي بها؟

قال: أنا أضمنها لك، على الله ذلك، وأكتب لك ضماناً على نفسي، بشرط أن تخرج في
سبيل البر، ما أعددته من المال لمنفعة في هذه الدار.

فقال الفتى: أكتب.

فكتب ذو النون: هذا ما اشتري العبد الخبور من الملك الغفور، اشترى منه هذه الدار يلتحق
من ذل المعصية، إلى عز الطاعة، فمد أدرك هذا المشتري قيمة اشتراه من ذك، فينقض عهود
وحل العقود، والشروط عن المعهود، وشهد على ذلك البيان، وما نطق به القرآن.

(١) أبو محمد أحمد بن إبراهيم البلاذري الطوسي، حدثنا حافظ البنا الذي استشهد بالطبراني، وهي نسخة من
مساويده، خرج صحيحاً على وضع كتاب مسند، توفي سنة ٣٣٩هـ.

انظر كتابه: معجم المؤلفين، ٢/٢٠٦، صفحته: ٢٠٦، ذكره الحفاظ، ١/١٠٦، ابن العماد: شذرات الذهب، ٢/٤٩٠.

يقول الملك الديان:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْحَيَاةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِندَ اللَّهِ عَلَيْهِ حَقٌّ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾^(١).

فلو نظرت إليها، وقد برزت من قصور الدر والمرجان، والزبرجد، والعقيان، وقد خطرت في رياض المسك والزعفران، وهي تنادي بصوت حسن رقيق، من يخطيني في الظلام، من الحي الذي لا ينام، نحن اشاعمت، نحن الشكالات، نحن الذي لا نموت، وخاطبتنا لا نموت، فيتلذذ بنا من لا يموت، في حوار من لا يموت، بقدرة من لا يموت، ثم تمسحاً جميعاً في رياض الورد والريحان، والشقائق.

فيقول له: أأنت كنت تحسن تقرأ القرآن، فيرفع صوته، فيقرأ على شاطئ أنهار الجنان، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(٢) إلى قوله: ﴿كَانَ هُنَّ لِيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانِ﴾^(٣).

ثم يقول: يا من حصننا في الظلام، من الحي الذي لا ينام، سألتك بالذي جمع بيني وبينك، في غبطة وسرور، هل نقص لك مولاك شيئاً مما ضمن لك؟

فيقول: لا.

قال ذو النون: فإن المطيعون يصل جنوبي، مع قرب سيدهم الأعلى.

أدب وعلم بمعرفة ذاتية وتسليم

قال ذو النون: بينا أسير في بعض مياباتي، فإذا أنا بصوت حزين، كئيب، موجه القلب، أسمع الصوت، ولا أرى الشخص، وهو يقول:

سبحان مغي الدهور، سبحان مخرب الدنيا، سبحان مميت القلوب، سبحان باعث من في القبور، فاتبعته الصوت، فإذا أنا بنقب، وإذا الصوت خارج من النقب وهو يقول: سبحان من لا يسع الخلق إلا ستره، سبحانك ما أظفك بمن خالفك، وأدناك بعهدك، سبحانك ما أحلمك على من عصاك، وخالف أمرك.

ثم قال: سدي تحملك نصقت، وبفضلك تكلمت، وما أنا والكلام، إلا بين يديك بما لا

(١) سورة انفص، الآية ١١٠ من ١١١.

(٢) سورة رحمن، الآية ١٠٦ من ١٠٧.

(٣) سورة رحمن، الآية ١٠٦ من ١٠٧.

نص كتاب الكوكب القوي في مناقب ذي النون المصري

يستأمله قدرتي، فيا إله من مضى قبلي، ويا إله من يكون بعدي، بالصالحين فأخفني، ولأعمالهم فوفقتي.

ثم قال: أين التزهد والعباد؟ أين الذي شدوا مطاياهم إلى منازل معروفة؟ وأعمال موصوفة، نزل بهم الزمان فأبلاهم وحل بهم البلاء فأفناهم.

فهو أنتظر إلا مثل الذي نزل بهم، ثم أقبل على ما كان فيه.

فقلت: رجل قد عرفت نفسه عن كلام الناس، فأنصرف وتركته باكياً رضي الله عنه.

(معارضة حال ومقام)

قال ذو النون: تيقن أسير في جيل أنصاكية، فإذا أنا بجارية كأنها مجنونة، وعليها حبة من صوف، فسلمت عليها، فردت السلام.

ثم قالت: ألسنت ذا النون المصري.

قلت: عافاك الله، كيف عرفتني؟

قالت: فتى الحبيب بيني وبين قلبك، فعرفتك بال اتصال معرفة الحبيب، ثم رفعت رأسها إلى السماء.

فقلت: يا من بها قلوب أوليائه شوقاً إليه، فقلوبهم مربوطة بسلاسل الأنس ينظرون إليه بمعارف الأبواب. ثم قالت: أسألك عن مسألة؟

قلت: سأليني.

قالت: أي شيء السخاء.

قلت: البذل والعطاء.

قالت: هذا السخاء في الدنيا، فما السخاء في الدين؟

قلت: التسارعة إلى طاعة المولى.

قالت: فإذا سارعت إلى طاعة المولى تحب منه جزاء؟

قلت: نعم للواحدة عشرة.

قالت: مَرُّ يا بطلان هذا في الدين قبيح، ولكن التسارعة إلى طاعة المولى، أن يطلع على قلبك، وأنت لا تريد منه شيئاً بشيء، ويحك يا ذا النون، إني أريد أن أقسم عليه في طاب شهوة منذ عشرين سنة، فأستحي منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجر، ولكن عمل تعظيماً لحيته وعز جلاله، ثم قرأت وتركتني.

حال من لم يتخذ من دون الله وكيلاً

قال ذو النون: ركبت البحر، ومعنا مجنون أسود ذاهب العقل، فلما توسطنا البحر، قال الملاح:

زنوا الكرا فوزنا، حتى بلغوا إلى الأسود.

فقال له: زن فأنشأ يقول:

أنس القلوب، بقرب أنس أنسبها فتحررت بين الخبة والهوى

فقال له الملاح: زن

قال: قد بعثنا إلى الخازن ليزن لك.

قال: وفي البحر صيرفي خازن.

قال: فظننا أنه يستقرض منه.

قال: فبينما نحن كذلك، إذ هاج موج عظيم، فخرجت سمكة الله أعلم بعظمتها فاتحة فاهها، مملوءة دنائب، فجاءت حتى وقفت بقرب الأسود، فقال الأسود: يا ملاح، خذها إليك، وإياك أن تُشرق قتهالك، فأخذ منها ديناراً، فلما خرجنا منها سألت عنه، فقيل: هذا مجنون لم يقطر منذ خمسين سنة، لم يطعم في كل شهر إلا مرة.

(شكر عارف ملك أزمة المواقف)

قال ذو النون: بينما أنا أسير في بلاد الشام، إذ أدركني المطر، فإذا أنا بأسود، فدنوت منه، فرفع رأسه إليّ.

فقال: يا ذا النون، اعرف قدر الله لك، يكن لك مؤيداً، وسمعاً، وبصراً.

ثم قال: إلهي وسيدي ومولاي، إن عرفتك فبمواهبك، وإن شكرتك فبعطيتك.

ثم قال: يا مأوى همه العارفين، رُدْ قلبي إلى الإقبال إليك، واجعل بدني فيمن ينصب بين يديك.

سؤال شاهد وحكمة عارف^(١)

قال ذو النون: خرجت في سفر، فبينما أنا أسير في بادية، وقد اعتكر الليل، وتغشت ظلمة

(١) هذا العنوان غير واضح وصريحاً كافياً في نسخة الكتاب المخطوطة شأنه شأن كثير من العاوين، فكانا بلجاً إلى داخل النص لنقرأ عليه النعمان أو بلجاً إلى مصادر أخرى.

الأفق، وسكنت حركات البشر، إذا أنا بشخص مارّ بين يدي، فلحقته، فإذا رجل كهل حسن الوجه، طيب الريح، فصيح اللسان، عذب الكلام، عليه بزة مُحَسَّنة، فسلمت عليه، فردّ عليّ السلام فقلت: يا شيخ، ما الذي دعاك إلى الوحدة والانفراد في هذا المكان القليل الآلاف البعيد من الناس؟

فقال: طلب الظفر بمن يملك رق البشر، وهو على كل شيء مقدر.

قلت: فعلام أنت مقيم يومك هذا؟

فقال: قد كادت عيني أن ترى أعلام المستأنسين وروحي أن تشرب بكؤوس المحبين، وقلبي أن يخامرهُ قلق المشتاقين.

فقلت: ما الذي قطع بك عن الوصول إلى ما هناك؟

فقال: يا ذا التون هذا أنا دائم القلق، أتضرّع إليه في الراحة، وأسأله بلوغ الأمنية. وهو العليم بما يصلح به النفوس.

قلت له: أفتجد على قلبك من الخلوة شدة؟

فقال: ما أظن أن أحداً عرف ربه عزّ وجلّ، يحتاج مع أنسه رؤية الأهلين، ولا من انقطع إليه يكله^(١) إلى أحد من المخلوقين.

قلت: هل من وصية وعظة؟

فقال: نعم.

قلت: وما هي رحمك الله؟

قال: مبادرتك إليه إذا دعاك، وترك التخلف عنه إذا ناداك، ودوام الإقبال عليه مع كثرة المبادرة إليه، تخلع الراحة من نفسك.

وحذفت كل ما دعاك إلى ما يبعدك منه، ويحول بينك وبين الظفر بالمراد، حتى لا يفقدك من عند نفعلك، ولا يجدك عند مضارك.

قلت: زدني.

قال: أراك أن تترك حالة لحالة، حتى تنفذ ما أتت عليه من مرادك، فإن للعدوّ ها هنا مجالاً.

(١) في المخطوط (يكله).

قلت: زدني.

قال: تعلم تمقله، فإن لتمقله^(١) غداً فرحة، تستوعب جميع الأحزان، وتظفرهم بدار الكرامة والأمان.

قلت: زدني.

قال: حسبك يا ذا النون إن عملت بما أخبرتك ومضى.

اعتراف وتسليم وأنصاف

أملئ عليّ الشيخ الفاضل، أبو غانم، محمد بن هبة الله، بن محمدين، أبي جرادة بمنزلي، بحلب قال: حكى عن ذي النون المصري رحمة الله عليه قال: بينما أنا في بعض سياحتي إذ رمثني المرامي إلى أن دخلت وادياً قد جفت أشجاره، ونشقت أنهاره، وشردت أطياره كأنه في أبواب ثكلي، فبينما أنا متعجب من ذلك إذ حان مني التفاتة، فنظرت إلى صخرة عالية، ليس لها من الأرض مصعد ولا من السماء مهبط، وعليها رجل قائم عليه مدرعة من الشعر فأثبت إليه وسلمت عليه.

فقال: وعليك السلام يا ذا النون.

فقلت: حبيبي ومن الذي عرفك أنني ذو النون.

فقال: يا بطل، جالت روحي وروحك في الملكوت فعرفت بيننا الحي الذي لا يموت.

فقلت: يا حبيبي ما هذا المقام؟

فقال: يا ذا النون هذا مقام المهجورين.

ثم أنشد:

يا مَنْ يَمُتُّهُ قَلْبِي فَأُحْسِبُهُ مَتِي قَرِيباً وَلَكِنْ عَزَّ مَطْلَبُهُ
وَأَنْ كُنْتُ تُشْكِرُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ كَلْفٍ وَمَا تَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِي مَعْدَبُهُ
فَشَرُّ بَعُودٍ مِنَ الْكِبَرِيَّتِ نَحْوُ قَمِي وَانْظُرْ إِلَى زُفْرَاتِي كَيْفَ تُلْهِبُهُ
ثم صاح ذا اليمين وذات الشمال فاجتمع إليه من الوحوش أصناف شتى تثارث شعورهم، وجفت جلودهم، وفقت عيونهم، وتشوه خنقهم.

فقال: يا ذا النون، وهؤلاء أيضاً من المهجورين حل بهم ما ترى وأنشد:

(١) تمقل: كثرة عمل شيء، أي المجهود والكثرة. وتمقل: اتقن عمله. قاله ابن العربي. فالتصاق قبح إلا مع الله فهم ضروري، قال ابن العربي: بعد ما جئت ولا يصعد عليّ حرم.

أَهْلُ الْغَرَامِ تَجَمُّعُوا الْيَوْمَ يَوْمَ عَثَانَا
 إِنَّ الَّذِينَ نَجَّيْنَاهُمْ قَدْ وَكَّلُوا بِغَدَابِنَا
 نَعَى الْغُرَابِ بَيْنَنَا فَغَرَابِنَا أَغْرَى بِنَا
 فَبَيْنَمَا أَنَا أَحَاطِيهِ وَهُوَ يَخَاطِبُنِي إِذْ صَاحَتْ
 فَأَخَذَهَا وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَهَاتِفَةٌ فِي الْبَنَانِ تَشْكُو غَرَامَهَا
 عَجِيزٌ لَهَا تَشْكُو الْغَرَامَ جَهَالَةً
 فَلَوْ صَدَقْتُ فِيمَا تَقُولُ مِنَ الْهَوَى
 تَذِيبُ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ بِنُوحِهَا
 وَتَنَلُو عَلَيْنَا مِنْ صَنِيعِهَا طُحْفًا
 وَقَدْ جَاوَيْتُ فِيمَا تُنَاجِي بِهِ أَلْفًا
 لَمْ أَلْبَسْتُ طَرِيقًا وَلَا خَصِيْبَتُ كَفًّا
 وَمَا فَهِمُوا بِمَا تَغْتَثُ بِهِ حَرْفًا
 ثُمَّ قَالَ: خُذْهَا يَا ذَا النُّونِ، فَمَا رَأَيْتُ مُدْعِيًا كَذَّابًا، يَشْبِيهِكَ إِلَّا هَذِهِ الْحَمَامَةُ؛ فَأَخَذَتْهَا
 وَانْتَصَرَفَتْ، وَهَذَا أَعْجَبُ مَا رَأَيْتُ فِي سِيَاحَتِي، وَلَمْ أَمْلِكْ عَلَيْنَا هَذِهِ الْحِكَايَةَ.
 وَانْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ فِي الشُّعْرِ:

فَشَرُّ بَعُودٍ مِنَ الْكُبْرِيَّتِ نَحْوُ قَمِي
 وَانْظُرْ إِلَى زُفْرَاتِي كَيْفَ ثَلْثُهَا
 قَالَ: حَدَّثَنِي الشَّيْخُ الْعَالِمُ هَارُونَ بِسُجَّارٍ^(١) قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي دِكَانِي، وَكَانَتْ
 لَيْلَةٌ بَارِدَةٌ مَطِيرَةٌ، فَلَمْ أَشْعُرْ إِذَا رَجُلٌ فِي دِكَانِي، كَأَنَّهُ الْحَبَّةُ فِي الْمَقْلَى مِنَ الْقَلْقِ وَالْإِحْتِرَاقِ،
 فَقَالَ لِي: يَا هَارُونَ^(٢) قُمْ فَأَتِي بَعْدَ بَيْتِي شَيْئًا.
 قَالَ هَارُونَ: فَتَكَاسَلْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَقُومَنَّ وَلَأُخَالِفَنَّ نَفْسِي، فَقُمْتُ، فَجِئْتُ بِجَمَاعَةٍ
 مِنْ أَصْحَابِيَا، وَقَوْلًا قَالَ: وَكَانَ عِنْدَنَا فِي الدِّكَانِ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ: «حُسَيْنُ» كَانَ يَرْمِي
 بِالْحِجُونِ.

فَقَالَ الْقَوْلُ وَطَابَ وَقَفْنَا، فَقَالَ لَنَا حُسَيْنُ:

- (١) سُجَّارٌ مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بِأَرْضِ الْخَزِيرَةِ بِقَرَبِ الْمَوْصِلِ وَبَصْرِيَّةٍ، فِي لُجَّةِ جَبَلٍ عَالٍ، وَهِيَ طَلِبَةٌ جَدًّا كَثِيرَةً الْمَاءِ وَالنَّسَابَةِ
 وَالْعِمَارَاتِ الْحُسْنَى، كَأَنَّهَا مَحْصَرٌ دَمَشَقِ.
 انظر القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٥٣
 (٢) هَارُونَ الْعَالِمُ هُوَ هَارُونَ بْنُ زَيْدِ الْأَمِيدِيِّ، أَبُو بَكْرٍ وَيُقَالُ: أَبُو أَحْمَسَ الْعَالِمُ الْمَصْرِيُّ. انخفض لإهداه الموفى لعينده،
 كَانَ يَسِيرُ الْقَصْدَ، وَلَيْسَ يَصْدُوقُ تَحْتَ ثِيَابِهِ، وَكَانَتْ يَقُولُ: (أَوْحَى إِلَهُ إِلَى بَعْضِ أَسْبَاطِهِ أَنَّ أَحْمَرَ قَوْمِكَ أَنَّهُمْ مَعْرُوفُونَ
 بِثِيَابِهِمْ، وَخَزِيرُونَ قُلُوبِهِمْ، وَسَمِعُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا يَسْمَعُ الْحُزُورُ لِيَوْمِ نَحْرٍ، فَنَظَرَتْهُمْ فَقُلُوبُهُمْ وَدَعَايَ فَلَمْ أَسْلُجْ إِلَيْهِمْ)
 مَقَالٌ عَنْ أَمْرِ بْنِ مَالِكٍ وَمُعَيْدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّجَّادِيُّ، وَحَمَّادُ بْنُ إِدْرِيسَ، وَغَيْرُهُمْ
 انظر المصنف: الكواكب النورية ٣١٥/١ من حَجَرٍ تَهْدِيهِ الْقَهْدِيَّةُ ٥٤/١١، تَهْدِيَةُ الْكَمَالِ ١٩٠/١٩،
 حَمَّادٌ مَوْ ١١٥/١٥٦

أنشدوا لي ما أقول:

حَرَجَ كَنَابِكَ مِنَ الْعَنَابَةِ

تَرَكَ عَنكَ الْفَنَى عَمَابَةِ

وأبيات من هذا القبيل من قبله يخاطبُ بها نفسه، فما زال القَوَالُ يرددها حتى قال لنا وهو هائج:

- احترقت الجُبَّةُ، احترقت الجُبَّةُ.

ثم نزعها ورمى بها.

قال هارون فعندما ألقاها رأينا والله الدخان صاعداً منها.

فعندما حدثنا «أبو غانم» بهذه الحكاية تصديقاً للبيت تذكرت ما حدثنا به الثقة عندي؛ قال: كنت عند الشيخ العارف أبي إسحاق إبراهيم بن طريف^(١) بالجزيرة الخضراء بالأندلس ليلة وواحد من أصحابنا قد تقدم يصلي، فمرَّ بآية فما زال يرددها فهاج واحد من المصلين، وأخذته القلق والاحترق فشمع به الشيخ فركض برجله الأرض وتلا: ﴿إِزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾^(٢)، فوقع مثل الخشبة فاجتمعنا حوله، فَرَفَرُ رَفَرَةً شَمِمْنَا منها رائحة الكبد المشوية بالنار.

قُرْبَةُ مَشْهُودَةٍ بِحَقِّ

بلغنا أن أبا الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الواعظ ببغداد، سئل عن قولهم: ﴿يَقَالُوا بَلَى﴾.

قال رحمه الله: قالوا بلى ثم يجحدوا. وفرعون قال بلى، ثم قال: ما قلت.

وذو النون قيل له: أين أنت من قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^(٣). قال: كانه الآن في أذني. تلك الحالة كانت حال اقتراب بالهيبة، وليس عليها عمل.

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن طريف، شيخ العارف الكبير ابن عربي رضي الله عنهما. كان يقول: إن الله تعالى يعبد من يركب الحركات الظواهر على البواطن ما يكون سبباً في تنويرها وصلاحتها، حتى إذا صفت السرائر وتخلصت من شوائب الكدورات عادت بالصلاح على أعمال الظواهر فركبت الأعمال وارتفعت الأحوال بظاهرة أصولها وثبات أساسها. انظر: المناوي: الكواكب الدرية، ٦٤٢/١.

(٢) سورة ص، الآية رقم (٤٢).

(٣) سورة الأنعام، الآية رقم (١٧٢). كل ما أنكره فرعون، وجحد الكفار، وآمن به المؤمنون مترتب على الاعتراف الأول في قول: «يَسْمِعُ» يا رب أنت ربنا ولكن أنكر من أنكر، وجحد من جحد، وآمن من آمن، ونص الآية كاملاً هو: ﴿يَوْمَ أَجْزَأْنَا مِنْ بَيْنِ أَقْدَمٍ مِنَ الْمُبْرِرِينَ فَذُكِّرْتَهُمْ وَأَشْفَعْنَاهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَأَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافلين﴾.

وقد قيل في معنى (بلى) ما أشار إليه ذو النون وفرعون في قصيدة، فلنذكرها بكمالها.
لأنها تحتوي على لطائف وإشارات ومعارف وتببيها، واستماعات.
وهي:

إِنَّ فِي الْأَمْرِ اتِّسَاعًا عِنْدَ مَنْ لَا يُسْتَشْطَاغُ
فَلْيُحَقِّقْ نَاطِقُ قَوْلِهِ: لَوْلَا دِفَاعُ
لَمْ يَكُنْ فِي كَوْنِهِ بَيْنَ شَخْصَيْنِ بَزَاغُ
كَتَبَ الْجُودَ عَلَى قَفِيهِ إِلَّا ارْتِدَاعُ^(١)
لَا بِحَرِيٍّ لَّا وَلَا بِبَيِّنٍ، وَإِسْرَاعُ
فَإِذَا تَنَشَّدَنِي فِي رُجُودِي فِي السَّمْعِ
وَإِذَا يَسْطَنِي فَأَزْتِيحُ، وَاتِّسَاعُ
وَإِذَا يَفْطَنِي فَأَنْكِمَاشُ، وَازْتِياعُ
أَنَا مِنْ هَذَا وَذَا، فَهِيَ وَهَادٍ وَتِلَاعُ
فَكَيْفَ بَازِلٍ، وَلَطِيفُ، فِي ارْتِفَاعِ
لَبَّى بِالشَّيْرِ اخْتِصَاصُ، كَمَا اخْتَصَّ بِبَاعِ
فَافْتَرَقْنَا هَاهُنَا، وَاجْتَمَعْنَا فِي الدَّرَاعِ
مَا لِسَمْسِ الْكُونِ فِي حَضْرَةِ الشُّورِ شِعَاعِ
أَتَمَّا إِشْرَاقُهَا خِثُّ نِسْوَدُ الْبِقَاعِ
لَيْسَ لِزَاهِبٍ أَنْ حَصَلَ الْوَقْبُ انْتِزَاعِ
هَبَّةٌ مِنْهُ بَلَى عِنْدَ قَوْلٍ وَاسْتِمَاعِ
إِنَّمَا قَالُوا: «بَلَى» لِحُطُولِ الْإِنْتِفَاعِ
حَضْرَةُ الرَّبِّ لَهَا بِضَافَا الطُّبْعِ انْتِطَاعِ
فَبِلَذَا قَالُوا بَلَى لَمْ يَكُنْ بِإِلَاخِيَرَاعِ
ثُمَّ لَمَّا خَرَجُوا لِشَرَى كَتَبَ الطُّبْعِ
أَظْهَرُوا مَا كَانَ فِي النَّفْسِ مِنْ شَرِكِ قَدَاعِ
وَمَشَى الْأَمْرُ عَلَى مَا مَشَى فِيهِ، وَتَسَاعِ
خَبِيرَ الْحَقِّ أَمْرًا، تَبَرَّكَ الْحَقُّ، وَضَاعِ

(١) غير واضحة في المخطوطة.

رُبَّ حَقٍّ أَمَرُوهُ، أَشْتَرَى الرُّشْدَ وَبَاعَ
لَمْ يَجِدْ شَيْئاً فُشِيَ مَالُهُ عَنْهُ أَنْجِلَاعُ
كَأَنْجِلَاعِ الْخَيْبِ الْمَضْطَفِي زَبَّ الصُّوَاعِ
مَا حَيَاةُ الْجِسْمِ فِي ذَوْجِهِ إِلَّا مُشَاعُ
مُزْتَضَى كَمَا كَانَ لَهُ فِي الْمَعَارِجِ انْدِفَاعُ
فَلَمْ يَغْدِ الْخُلُوعَ لَا يَدَ مِنْ حَالِ الزُّجْجَاعِ
جَلَّ لَا يُرَى فَمِيزُهُ فُطْرٌ وَازْتِجَاعُ

[٣] (١) قرية مقدّس

قال ذو النون: حقائق القلوب نسيان حفظ النفوس.

توحيد معاملة تجمع بين فضله ومفاضلة

قال ذو النون: من شغله في ظاهره أغفله عن عواطر باطنه.

روى هذين الخبرين عنهما بكران بن أحمد (٢) عن يوسف بن الحسين عنه.

خرّجه «ابن ياكويه» في جامعته لحكايات الزهاد والعباد والعارفين (٣).

تحليل عرفاني ونعت مقدس

قال محمد بن داوود السّمْنَانِي، ثنا عبد الله بن سهل الرازي (٤)، عن يوسف بن الحسين عن

ذي النون المصري قال:

إن الله تعالى خص أهل ولايته بالانقطاع ليعرفهم فضله وإحسانه، فأنصرفت هموم الدنيا
عن قلوبهم، وعظم شغل الآخرة في صدورهم، لما ركبها من هيبة ربهم فألزموا قلوبهم العبودية
وطرحوا أنفسهم في شراع التوكل.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٥) الآية. فالتوكل على الله قد اكتفى

(١) ما بين المعقوفين من العنوان غير واضح بالخطوط.

(٢) بكران بن أحمد، الصحيح هو بكر بن محمد بن أحمد بن سهل الخداد، يقال: اسمه أحمد ولقبه بكبر، سكن مكة
شرفها الله تعالى وحديث بناء ولم تعرف تاريخ وفاته.
انظر: تاريخ بغداد، ١١٢/٧، طبقات الصوفية، ١٥٦.

(٣) تذكر المصادر أن له كتاب (أخبار العارفين والزهاد والعباد)، بجانب كتابه «بداية حال الخلاص ونهايته»، وهو مشهور.

(٤) عبد الله بن سهل الرازي، عبد الله بن سهل بن يوسف الرازي مفرقة مجوّد للقرآن، وله بعض التوايف في القراءات،
توفي في سنة ٤٨٠ هـ.

انظر: كحالة: معجم المؤلفين، ٦٢/٦.

(٥) سورة الطلاق، الآية رقم (٣).

بعلمه بالله عن الاشتغال بغيره حتى اتصل خوفه ورجائه بالله، فإنه لا مانع ولا معط إلا الله، فلا ترغب عن الله بجهلك فتخضع لمن دونه عند تخويف الشيطان واعلم أن أخص المتوكلين عليه يحجب عنهم كل آفة فهم ينظرون إلى الله تعالى ولا يؤملون غيره فقد حجب قلوبهم عمّن سواه بما يرجون من إحسانه، واستغنوا بذكره عن ذكر غيره.

واعلم أنك لا تكون متوكلاً^(١) حتى تصفو من كل ملك، ولا ترى إلا الله، ولا تقدر أن تفر من رزقك، كما لا تقدر أن تفر من الموت أمّا سمعت الله يقول: ﴿اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتَكُمْ﴾^(٢).

فاقطع الاشتغال بذكر الأسباب من قبلك واعلم أن الله تعالى يرزقك بسبب، وبغير سبب ألا ترى أنه وعدك أن يرزقك وغيب عنك علمه ولو احتلت بكل حيلة. أن يأتيك قبل وقته أو بعد وقته ولم يقدر على ذلك فيما قسم لك لا يمنعك غيره، والتوكل يزيد وينقص مثل الإيمان.

مكاتبه عرفانية

قال محمد بن فارس الصوفي^(٣): سمعت أبا القاسم عبيد الله بن عبد الله الرقعي^(٤) قال: كنت عند أبي عبد الله بن الجلاء وكتب إلى ذي النون كتاباً يذكر فيه: ذلني على أفضل من بقي في الوقت، فكتب إليه ذو النون: هو الذي فئت إرادته واحترقت جفونه فكتب إليه تعرف من هو أفضل من هذا، فكتب إليه هو من كانت له حال لا له ولا عليه فلا منه ولا إليه.

[ب] (٥) الحكمة المعشوقة

قال عبد الوهاب بن عبد الباقي الباخينسي الأبهري^(٦) قال: سمعت الحسن بن نصر، محمد بن علي المقرئ بطرسوس قال: سمعت عمر بن الحمال^(٧) وقال لأبي عبد الله بن الجلاء وأنا حاضر: يا أبا عبد الله، كان ذو النون يعمل الكيمياء؟

(١) في نسخة الأصل المخطوط (متوكل).

(٢) سورة الزوم، الآية رقم (٤٠).

(٣) (محمد بن فارس الصوفي) هو محمد بن محمد بن فارس بن سهل البغدادي، ولد سنة ٣٣٨ هـ ورحل وجمع وصنف. حدث عنه المالكي والشافعي، وأبى في جامع الرصافة، توفي سنة ٤١٢ هـ في شهر ذي القعدة.

انظر: السيوطي، طبقات الحفاظ، ٤١٢، الدهلي: تذكرة الحفاظ، ١٠٥٢/٣.

(٤) عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الأسدي أبو وهب الرقي، روى عن الأعمش، وأبوت وغيرهما، وردى عنه زكريا بن عدي، وبغية وغيرهم، قال عنه ابن سعد خديق، مات بأثرقة، سنة ١٨٠ هـ.

انظر: السيوطي، طبقات الحفاظ، ١٠٣، الدهلي: تذكرة الحفاظ، ٢٤٢/١.

(٥) ما بين المعقوفين غير واضح بالمخطوط فقد كتب في الأصل بحر أحمر ولم يظهر التصوير بعض أجزاءه هكذا.

(٦) عبد الوهاب بن عبد الباقي الباخينسي الأبهري، له ألف عبد.

(٧) عمر بن الحمال عنه عمر بن حفص الجلاء.

فقال له أبو عبد الله: نعم، ولكنه كيميائي كيمياء صبيح الأسود.

فقال له عمر: ومن صبيح الأسود.

قال: إنسان صلي العتمة ببغداد، والغداة بمكة.

قال ابن باكويه إشاراتنا كانت آيات.

جواب في التصوف

قال أبو علي مشاد بن الحسن التبريزي:

سمعت يوسف بن الحسين يقول: سئل ذو النون عن اسم التصوف هل هو مشتق من معنى أو لقب على غير عمل فأجاب بأجوبة منها قال: قيل: كانوا في الأصل صُفِيَّة مأخوذ من أهل الصُفَّة، وكان ليُسمَّهم الصوف، لأنه دأب إلى التقشف، وأشبهه بلباس الصالحين، وكان التصوف سمة المجتهدين التاركين للتصرف في الأكتساب قال: وقيل إنه اسم لزمه على غير اشتقاق وإنما هو لمن تبتل منقطعاً إلى الله تعالى من العباد وأخلص له المجاهدة.

قال وقيل: إنه علم لا مشتق من نسبة ولا عمل، وهو يقع على من يكن من لنشر المقام واتصل بما يحمله من القوام.

قال: وقيل: إنه اسم لمن مُكِّن من الإيثار وجعل من قضية الاعتبار غائب بها عن واقعة الأكدار.

قال الحسين بن إسماعيل البلخي بجند نيسابور، ثنا العباس بن يوسف الشطي، ثنا أحمد بن موسى بن الحكم. قال: سمعت ذا النون يقول: قلب العارف أسرع إلى الله من الرياح والعواصف.

ذو النون سيد الحكماء

قال محمد بن عبد الله بن علي السمناني قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول: وأخي أخوان على عهد ذي النون فقال أحدهما لصاحبه اطلب لنا أستاذاً تتأدب به فنقصده فقال له: عليك يا أخي بأحمد بن أبي الخواري^(١) فإنه لقي أبا سليمان

(١) أحمد بن أبي الخواري) كنيته أبو الحسن، وأبو الخواري اسمه: ميمون من أهل دمشق. صاحب أبا سليمان الداراني وغيره من المشايخ مثل سفيان بن عيينة، ومروان بن معاوية الفزاري وغيرهما توفي رحمه الله سنة ٢٣٠ هـ. له أخ يقال له محمد ابن أبي الخواري يجري مجراه في الزهد والبوع، وأيضاً ابنه عبد الله بن أحمد بن أبي الخواري من الإقلا، وأبوه كان من العارفين.

انظر: السني - طبقات الصوفية، ٩٨، أبو نعيم: حلية الأولياء، ٥/١، ابن العماد: شذرات الذهب، ١/٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٤٨/١٠، الرسالة القشيرية، ٢١.

الرازي^(١) ونرجو أن نصل به إلى بعض ما نريد.

فقال له: لا عليك بالقصد إني ذي النون المصري فإنه قد ساد الحكماء في وقته.

فقال له: اقصد بنا إليه، فخرجنا فلما كنا في بعض الطريق اعترضهم واد فقال أحدهما لصاحبه: قف حتى أنزل فأعرف مقدار الماء فلما كان في وسطه غلب عليه الماء فأخذه.

فقال له الآخر من الشط البعيد: من نجا بغيره قال: فشال رأسه من وسط الماء. فقال: ليس كذا يا أخي لكني ظننت أنني أنت.

قال: فنزع الآخر ثيابه ودخل الماء لينقذه فماتا جميعاً.

تحذير

قال عمر بن عبد الله الأصبهاني، ثنا الحسين بن أحمد الأصبهاني حدثني محمد بن عبد الله الأردبيلي عن ذي النون المصري أنه قال: من مال إلى الجنائيات وقعت به المبادئ.

نصيحة ووصية

وبالإسناد قال ذو النون:

أصبح الدنيا بما يضرك تلقى في القيامة ما يسرك.

نعت المحب الصادق

قال بكران أحمد بن الحلي، ثنا يوسف بن الحسين الرازي قال سمعت ذا النون المصري يقول: اعلموا أن المحب لله لا يعظم عنده الإيثار لله لأنه ليس شيء أعظم عنده من الله، فينفي له أن يرى عليه أثر ذلك من رفض الدنيا لأنه من اشغال أن يجتمع في القلب محب الدنيا ومحب الله لأنه من أحب الله لم ينظر إلى غيره.

عرفان

وبالإسناد قال ذو النون: صلاح القلب ساعة أفضل من عبادة الثقلين.

(١) أبو سليمان الرازي يقصد أبا سليمان الداراني وهو: عبد الرحمن بن عطية وهو من أهل (داريا) قرية من قرى دمشق. مات أبو سليمان الداراني رحمه الله سنة ٢١٥هـ. وأسد الحديث ولقي مجموعة كبيرة من العلماء والزهاد. انظر ترجمته في: السلمي، طبقات الصوفية للسلمي، ٧٥: أبو عبد الله الأولياء، ٢٥٤/٩، القشيري: الرسالة، ١٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٥٥١١٠.

[-] (١) كلمة الحضرة

وبالإسناد عن أبي الحسين قال: سئل ذو النون وأنا حاضر عن قول الله عز وجل: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها﴾ (٢).

ترى كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يحتشم زيدا إذا رآه.

فقال ذو النون: أترى كان يزيد احتشم النبي صلى الله عليه وسلم، إذا قيم لالتماس شيء، كانت العاقبة قد حكمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عاجلاً، وإنما كانت عارية عند زيد.

قوله في تَعَوُّد البلاء

قال أبو الحسين الحنظلي: ثنا عبد الله بن سهل الرازي، ثنا سليم الحراني قال: قال ذو النون: قلوب أهل الهوى سُجون البلاء، فإذا أَرَاءَ الله أن يعذب البلاء، حبسه في قلوب أهل الأهواء، فيصيح إلى الله بالاستغاثة والخروج من قلوب أهل الهوى.

وقال ذو النون: في الحال التي استعبد بها العارف.

قال بكران بن أحمد الجيلي: يوسف بن الحسين الرازي يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: وسئل ما أغلب الأحوال، التي استعبد بها العارف قال: رؤية كل شيء منه ورجوعه في كل شيء إليه وسؤاله إياه كل شيء.

(تقاسم المعرفة)

وبالإسناد سئل ذا النون عن المعرفة فقال:

المعرفة على ثلاثة أوجه:

• معرفة بالوحدانية من طريق الخير على لسان الحجة بطريق الكتاب والسنة.

• ومعرفة بالفردانية من طريق العقل على لسان التوحيد بدليل الوجد.

• ومعرفة بالقدرة من طريق الاجتهاد على سباط الصفاء في ميزان الإحسان والنعيم.

(طبقات الموحدين)

وبالإسناد قال ذو النون:

طبقات الموحدين أربعة:

• طبقة نظرت في الطوارق.

(١) ما بين المعقوفين جزء من عنوان غير واضح تماماً بالخطوط.

(٢) سورة الأحزاب، الآية رقم (٣٧).

• وطبقة نظرت في العواقب.

• وطبقة نظرت في السوابق.

• وطبقة نظرت في الحقائق.

(دليل محبة)

قال أحمد بن عيسى:

ثنا أحمد بن عبد العزيز، ثنا أبو الفضل الخراساني، ثنا سعيد بن عثمان سمعت ذا النون يقول: من علامة الحب لله ترك ما شغل عن الله حتى يكون الشغل كله به وله.

(شعار أهل المعرفة)

قال أبو الحسن الخنظلي: سمعت عبد الله بن ميمون قال: سمعت ذا النون المصري يقول في شعار أهل المعرفة خصال ثلاثة:

• نشر آلاء الله في مجالس الذاكرين.

• وتفريج كرب التوايين.

• والدلالة على الله بلسان التوحيد لجميع العالمين.

(تفصيل وتبيان)

قال بكران بن أحمد الحلي: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول:

العطايا مواهب، والطاعات مكاسب، والناس رجالان: دارج، وواصل، فالدارج سائر على طريق الإيمان، والواصل طائر بقوة المعرفة.

ولكن دليل، فدليل الإيمان العلم، ودليل المعرفة الله عز وجل، فمتى يلحق السائر الطائر، وللعارف ثلاث حظّات:

• لحظ إلى ربه فافتخر.

• ولحظ إلى نفسه فاحتقر.

• وحظ إلى عمله فافتقر.

(ذكر العارفين وخدمتهم للمعرفة)

قال محمد بن أحمد بن ميمون: ثنا عبد الله بن ميمون قال: قال ذو النون: ما ذكر الله العارفين، إلا بالعقلة ولا خدموه إلا في الفترة.

(حكمة بالغة)

وبه قال قال بكران بن أحمد الجيلي: ثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول: من راقب العواقب سلم.

قال: وسمعته يقول: من تهاون بالمفاجأة عاقبه الله تعالى بالعمد.

(في الحياء)

وبالإسناد قال: قال ذو النون بن إبراهيم المصري رحمه الله: استج من الله أن تسأله ما تحب وتأتي ما يكره.

(منتهى المعرفة وكمالها)

قال محمد بن أحمد بن ميسون: قال ذو النون: أعرف الناس بالله أشدهم تحيراً فيه.

قال: وسئل عن كمال المعرفة بالنفس، فقال: سوء الظن بها.

(أدب وتحذير)

قال بكران بن أحمد الجيلي: يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول:

إن سرورك بالمعصية إذا ظفرت بها أشد من المعصية.

(اطلاع شريف)

قال عبد الواحد بن بكر: ثنا أبو بكر السائح، سمعت يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول:

من أطلع على الأسرار التي هي في المكنون فقد استشرف على بعض ما في الغيوب.

(شوق واشتياق)

قال إبراهيم بن محمد المالكي: ثنا أحمد بن يوسف قال: سئل ذو النون عن اشتياق الاشتياق فقال: إذا استحق الاشتياق، قرب من باب الخلاق، وشرب من كأس المذاق، فتأق واشتاق.

(حفظ إلهي بمعنى هو في الوقت على حال لا ترتضى)

قال بكران بن أحمد الجيلي: سمعت يوسف بن الحسين الرازي يقول: كنت مع ذي النون المصري على شاطئ غدير، واقفاً، فنظرنا، فإذا بضفدع خرج من الغدير، فركبه عقرب، وجعل الضفدع يسبح حتى غمره، فقال ذو النون:

إن لهذا العقرب ثشأناً، فامص بنا، فجعلنا نقيم على أثره، فإذا رجل نائم سكران، وإذا حية

قد جاءت، فصعدت من ناحية سرته إلى صدره؛ وهي تطلب أذنه، فاستحكمت العقرب من الحية فضربت بها، فانقلبت، فانفخست؛ ونزل العقرب، فرجع إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبت وعبرت، فحرك ذو النون الرجل النائم، ففتح عينيه فقال:

يا فتى انظر مما فجاك الله، هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أردتلك، ثم أنشأ ذو النون يقول:

يَا غَافِلًا وَالْجَلِيلَ يَحْرِسُهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَدُبُّ فِي الظُّلُمِ
كَيْفَ تَنَامُ الْعُيُُونُ عَنْ مَلِكٍ يَأْتِيهِ مِنْهُ قَوَائِدُ النُّعَمِ
فرفع الشاب رأسه ونهض وقال: إلهي هذا فعلك بمن عصاك، فكيف رفقك بمن يطيعك! ثم ولى.

فقلت: إلى أين؟

فقال: إلى العالية، والله لا عُدْتُ إلى المدن أبدًا.

[هَمَّةٌ عَالِيَةٌ]

حدثنا الثقة الإمام عبد الرحمن بن علوان، ثنا ابن ياسر الجبائي، ثنا محمد بن الفضل الفراوي، ثنا أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوتي، ثنا أبو سعد، ثنا أبو عبد الله محمد ابن أحمد الوشائري بمصر، ثنا الحسن بن رشيق، ثنا أحمد بن جعفر النمساري.

قال سمعت ذا النون يقول: دخلت إخميم الصعيد، فدخلت في بعض البراري؛ فسمعت صوتاً، ولم أر شخصاً وهو يقول: يا أبا الفيض أقبل عليّ، فاتبعت الصوت فإذا أنا بوجد قد خرج من موضعه، فقال لي: أنت ذو النون المصري؟

قلت: نعم.

فقال لي: أنت زاهد أهل زمانك.

قلت: يا عبد الله كذا يقال.

فقال لي: يا أبا الفيض، أليس يقولون: إن الدنيا ليس تسوى عند الله جناح بعوضة، فازهدوا في الآخرة خير لكم.

فقلت له: وكيف زهد في الآخرة؟

قال: تزهدون في جنتها ونارها، وترغبون إلى الله في النظر جلّت عظمته، ثم أمسك عني ورجعت.

(ظرف وأدب)

وبالإسناد عن الصابوني قال:

سمعت أبا يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبى يقول: سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن
ممشاد العدل يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: كان لي
عكازة مكتوب عليها:

سُرُّ فِي بِلَادِ اللَّهِ سَاحَاً وَاتَّكَّ عَلَى نَفْسِكَ نَوَاحَاً
وَأَمْسَ بِشُورِ اللَّهِ أَرْضَهُ كَفَى بِشُورِ اللَّهِ مَضْجَاحَاً
قال: وكان لي عصاً مكتوب عليها:

عِبْرَاتٌ تُكَيِّبُ فِي الْحَدِّ شَطَرَاً قَدْ قَرَأْتُ مَنْ لَيْسَ يُخَيِّنُ بَقَرَاً
إِنَّ مَوْتَ الْخَيِّبِ مِنْ أَلَمِ الشُّوْقِ وَخَوْفِ الْقِرَاقِ يُورِثُ عُذْرَاً
صَابِرَ الصَّبْرِ فَاسْتَعِثْ بِهِ الصَّبْرُ فَصَاحِ الْخَيِّبِ بِالْحُبِّ صَبْرَاً
قال: وكان له مخلاة مكتوب عليها:

لَا رُتْكَ يَنْتَسَاكَ وَلَا رَزْزُكَ يَغْذُوكَا
وَمَنْ يَرْغَبُ إِلَى النَّاسِ يَكُنْ لِلنَّاسِ ثُلُوكَا
لِيَكُنْ سَعْيُكَ لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِيكََا

وقال ذو النون:

مُتَافِئَةُ الْفَتَى فِيمَا يَزُولُ عَلَى نُقْصَانِ هَمِّهِ ذَلِيلُ
وَمُتَحَسِّرُ الْقَلِيلِ أَقَلُّ مِنْهُ وَكُلُّ فَوَائِدِ الدُّنْيَا قَلِيلُ

(تنبيه وإيقاظ)

حدثني محمد بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن ابن حبيب، عن أبي صادق، عن ابن
ياكوب، قال بكران بن أحمد الحلي: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول:
يسكن حب الله في صدرك، أما علمت أنه من قال: لولا لكان فقد ولا الأمر غير الله عز
وجل.

(وصية ونصيحة)

وقال: قال أبو القاسم السبكي: سمعت أحمد بن عبد الله السبكي يقول: سمعت يوسف
بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: من ما بدا لك من أمره ونهيه، تلقى ذلك بالسلامة والرضا.

والخضوع. ولا تتعب بعقلك، عما قد أخفى عنك من أسرارهِ، مثل القدر وغيره، فإن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

(ذوق وعرقان)

وبه قال: قال بكران بن أحمد الجيلي: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: إسكانك حب الله في صدرك يطلع ينابيع الحكمة من قلبك.

(دلائل محبة ورجاء)

وبه قال: قال محمد بن أحمد، ثنا يوسف بن الحسين الرازي: سمعت ذا النون يقول: لم يحب الله من لم يرض بقدره، ولم يرج الله من لم يتق بنفسه.

(متى يجاب الدعاء)

وبه قال: قال محمد بن رزك يسران لابن باكويه، سمعت علي بن أحمد الترمذي قال: سمعت أبا العباس العباسي، وكان قد أتى عليه مائة وسبعة وعشرين سنة.

يقول: وذكر حكاية السن الذي رده ذو النون في فم الرجل، كما تقدم في باب كراماته.

قال العباسي: فلما تفرق الناس عنه، ومشى غير بعيد تعلق به، وقلت: أرى معك اسم الله الأعظم.

فقال لي: يا هذا اتح عني.

فقلت: لا أفارقك أو تعلمينه فأقبل علي وقال لي يا هذا: إذا رق قلبك فادع بما شئت فذاك اسم الله.

وقد أخبرني:

بعض أصحابنا عن شيخ صاحب كرامات من أهل بلادنا ممن نعرفه، ولقيته يقال له: أحمد ابن ميبديون من وادي اشت من شرق الأندلس قال لي: جلت بين يديه.

وقلت له: ما هو اسم الله الأعظم، فأخذ حصاة من الأرض فرماني بها وأطرق، ففهمت منه أن العيد إذا صدق وكمل، فهو ذلك.

وقد حكى مثل هذا عن أبي يزيد البسطامي فقال: أرونا الأصغر حتى أريكم الأعظم، ثم وبخهم. وقال: أسماء الله كلها عظيمة، ولكن اصدق وحد أي اسم شئت. وقد أشار إلى هذا

النحو أبو العباس بن العريف الصنهاجي^(١)، وأبو مدين، وعبد العزيز المهدي، والجماعة كلها على هذا النحو، جماعة الخققين خاصة.

(مواطن القلوب)

وبه قال: قال عبد العزيز بن الفضل: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: قلوب أهل الخيبة محترقة بنار الخيبة وقلوب أهل المعرفة نازلة إلى ميدان المنة، وقلوب أهل الولاية تنظر إلى صاحب الولاية ثم أنشأ يقول:

الخَوْفُ أَمْرٌ ضَنَى، وَالشُّوقُ أَحْزَنُنِي وَالْحُبُّ يُحْيِيَنِي

وبه قال: وقال بكران بن أحمد الجيلي: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: إذا كان استغفارنا كلاماً، فطاعتنا مناماً وهذا شرط محقق.

ذوق وشوق

والذوق عند القوم أول مبادئ التجلي، كذا حكى عنهم دون زيادة.

والذي أقول به:

أن الذوق أول مبادئ تجلي الاتصال من مقام الأنس والجمال وهو الذي يورث الاشتياق، فإن التجليات على ضروب مختلفة، قد ذكرنا في كتاب (التجليات)^(٢) منها: نحو (مائة تجلي) وعشرة، متميزة بعضها من بعض.

وبه قال: قال إبراهيم بن محمد المالكي: ثنا أحمد بن يوسف البغدادي، سمعت ذا النون وسئل عن الذوق، وما معنى الشوق، فقال:

شَوْقٌ فاشْتِاقٌ، وَذَوْقٌ فَطَابَ لَهُ الْمَذَاقُ، فَهُوَ إِلَى تَوْقِهِ تَوَاقٌ، وَإِلَى حُلَاوَةِ الْاِشْتِاقِ تَوَاقٌ.

(حكمة)

قال محمد بن أحمد السراجاني بأرجان: سمعت قسيم غلام الزقاق^(٣) يقول: سمعت

(١) أبو العباس بن العريف الصنهاجي. هو: أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء بن الصنهاجي الأندلسي المزني، المعروف بابن العريف (أبو العباس) الصوفي، صاحب القراءات وله غذاية بها. ولد في ٢٠ من شهر جمادى الأولى سنة ٤٨١ هـ، وتوفي بمراكش سنة ٥٣٦ هـ. له مؤلفات منها مجالس الجالس، ومطالع الأنوار ومنابع الأسرار، وغيرها. انظر: ابن حلكان، ٦٧/١، ابن العماد، شذرات الذهب، ١١٢/٤، كتحالة: معجم المؤلفين، ١٦٤/٢.

(٢) كتاب التجليات، طبع عدة طبعات وهو كتاب هام وشعوري، ومن مؤلفات ابن عربي الذي له شهرة واسعة.

(٣) (الزقاق) هو: أبو بكر أحمد بن عبد الزقاق الكسري، كان من أقران الجليل، من أكابر مصر. سمعت محمد بن الحسين السلمي: رحمه الله يقول سمعت الحسين بن أحمد يقول: سمعت الكتاني يقول: لما مات الزقاق انقطعت حجة الفقراء في دولتهم مصر. أورد المشاوي في الكواكب الدرية، اسمه (أبو علي الزقاق) هكذا فقط. انظر: الإمام القسري: الرسالة ٢٣، المشاوي: الكواكب الدرية، ٣٠/١ هـ.

فضيل بن عبيد يقول: سمعت ذا النون المصري يقول:

الرفق والحيلة إلى كل نجاح وسيلة.

(نعت عارف مع الله واقف)

وبه قال: قال: سمعته يقول: إن العارف استغنى بربه، فمن أغنى منه وورثه ذكره وأتاهه بفناؤه، فاستأنس به وفي مقابله.

وبه قال: قال: سمعته يقول: من استأنس بشيء من الدنيا لم يجد صافي لذة ذكر مولاه. وقال: من عرف قدر الدنيا كلها لم يكن للدنيا عنده قدر أنس الوحيد بربه. وبه قال:

عن محمد بن البوار يحيى، ثنا محمد بن أحمد بن الحسن البغدادي قال سمعت أبا جعفر المغربي^(١)، سمعت ذا النون يقول:

رأيت فتى من المتعبدين على شط النيل واقفاً يصلي في موضع مسبح، فتقدمت وجلست إليه، فلما انفتل من صلاته، قلت له:

يا أخي هل خرجت من هذا المكان قط؟

قال: نعم، ليلة كانت كثيرة الرعد والبرق، ففرغت قليلاً، فناداني هاتف يقول:

عبدي لا تفرغ من غيري فإني أنا مؤنس كل وحيد.

(كرامات الخواص)

وبالإسناد قال ذو النون:

إذا أكرم الله عبداً ألهمه ذكره، وألهمه بايه، وآمنه به، يصرف إليه بالبر والقوائد، ويمده من عنده بالزوائد، ويصرف عنه إشغال الدنيا والبلايا، فيصير من خواص الله، وأحيائه، فطوبى له حياً وميتاً.

لو علم أبناء الدنيا بحظ المقرين، وتلذذ الذاكرين وسرور المحبين لما توار كمدماً.

(١) أبو جعفر المغربي) محمد بن إسماعيل المغربي، عمدة الصوفية، وأستاذ إبراهيم الخواص. انتهت إليه رئاسة الصوفية وتربية المريدين، وبعث بكمال الزهد. وكان يقول: أفضل الأعمال عبارة الأوقات في المواقفات. توفي: رحمه الله سنة ٢٩٩ هـ. عن نحو مائة وعشرين سنة، على جبل طور سيناء.

انظر ترجمته في المناوي: الكواكب الدرية، ٤٨٥/١، الشعري: الطبقات، ٧٩/١، ابن كثير: البداية والنهاية، ١/١١٧.

(صفة المحزون)

وبه قال:

قال أحمد بن الحسين: سمعت الحسن بن بشر بن سعيد^(١) قال: قلت لذي النون المصري: صف لي ذوي الأحزان فقال:

لو رأيت ذا الحزن، رأيت ذا روح قلقة وعين أرقّة، وقلب قريح، وطريف جريح، وجسم نحيل، وداء دجيل، لا يطيق الرقاد، ولا يعرف غير الشهاد، قد سامه طرفه، ودنا منه حتفه، فروحه محتبس، ولبه مختلس، كثير الهموم، جم الغموم، مستوحش من ذكر المخلوقين، آنس بذكر رب العالمين، ثم بكى حتى غشي عليه.

(صفات المختصين)

وبه قال:

قال عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا محمد بن أحمد الدينوري، ثنا محمد بن أحمد الشمشاطي سمعت ذا النون يقول:

إن لله عبداً، جعلوا القرآن درساً لأحزانهم، وأحزن نوح أشجانهم، وجعلوا المواعظ مراهم، جراحاتهم، والموت نصب أعينهم، وقيام الليل روح أسرارهم، وجعلوا الصيام غذاء أبدانهم، وجعلوا الصدق لفظ ألسنتهم.

(شرح أعلام الفتح)

وبه قال:

قال وسمعت ذا النون يقول:

- « من أرسى على ساحل الأحزان ورث دلائل الإقبال.
- « ومن شرب من عين الظمأ سلم من عثرات العمل.
- « ومن استعمل معول الفهم قوي على حفر معادن الكمد.
- « ومن ركب مراكب الخوف مرّ في حملة البستان.

(١) الحسن بن بشر بن سعيد الجوهري، صوفي فضائله كثيرة، وله كرامات متعددة منها: أنه رجل ملهوف فقال له: أنا كاتب وضاع مني دفتر الحساب وأنا عند أمير جائز وقد دلوني عليك. فقال له: اذهب اشتر يدركم حلاوة والتفتي به قمضتي واستبصري الحلاوة فإذا هي في دفتره. فقال له من أين لك هذا قال يقال: اشتريته الساعة، فأخذه منه وأتى به إلى الشيخ فقال له: كُلْ حلاوتك فلا حاجة لنا بها. مات رحمه الله أواخر القرن الخامس ودفن بالقرافة عند أبيه. انظر السابري: الكواكب الدرية، ٦٢٦/١، السبائي: جامع كرامات الأولياء، ٣٩٠/١.

« ومن قطع شكوى الهمة سار في بحر اللطف.

(وصية ونصيحة)

قال بكران بن أحمد الجميلي:

سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول وقد سأله عند مفارقتي إياه من
أُتخِذت من الناس، وإلى من أسكن؟

فقال: عليك بمحادثة من لا تكتمه ما يعلمه الله منك، واجعل للناس ظاهرك ولله باطنك،
وعاشرهم بالتي هي أحسن.

(ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل)

وبه قال: قال أحمد بن عطاء^(١): أخبرني هبة الله بن صالح قال: قال يوسف بن الحسين
الرازي: تذكرنا عند ذي النون أشياء فتسببها، فقال لنا ذو النون: دعوها فلا علينا ما ذهب منا
إذا بقي لنا ربتنا.

قيل له: وما علامة من بقي له ربه؟

قال: أن يبقى لربه.

قيل له: وما علامة من يبقى لربه.

قال: يذهب ذل حسنته ويبقى مع ذل سيئاته.

(عناية وأدب)

قال علي بن عبد الله ثنا أحمد بن علي القرشي القزويني قال: سمعت ذا النون يقول:
ذكر أبي عن بعض أهل الأحران شيئاً يتعجب منه، فبينما أنا أسير، فإذا أنا بفتى حسن
الوجه، طيب الرائحة، سمين البدن، يرى صدق الأحران في سره وديب البكاء في باطنه.

فقلت له: إني أرى فيك عجباً!

فقال لي: وما ذلك؟

قلت: لك باطن بخلاف ظاهرك.

(١) أحمد بن عطاء، الروضباري، ثم التصوري العالم الطريف، والناسك الشريف النظيف، له اللسان المبسوط والبيان الذي بالحق
مربوط. كان يقول: «الذوق أول التواجد، وأهل الغيبة عن الله إذا شربوا طامشوا، وأهل الخضوع إذا شربوا عاشوا، توفي
سنة ٣٦٩ هـ. وقبل غير ذلك.

انظر: المناوي: الكواكب النورية، ٥٢٣/١، الرسالة القشيرية ٣٩، السمي: الطبقات، ٤٩٧، ابن كثير: البداية
والنهاية، ٢٩٦/١، ابن العماد: شذرات الذهب، ٦٨/٣.

فتبسم وقال لي: إني سترت أحزان قلبي من نفسي صوناً لها، فأسلمت روحي إلى البلاء والحزن وبقيت جسمي للغذاء والسمن، فجسمي ليس يعلم ما ألقى.
فقلت: وهل يمكن هذا.

فقال: ولم لا يمكن، ألم تسمع قول الأول:

وَقَابِلُهُ مَا بَالُ جِسْمِكَ سَالِمٍ وَغَلْبِي بِأَجْسَامِ الْحَبِيبِ تَشَقُّمٍ
فَقُلْتُ لَهَا قَلْبِي بِحُبِّي لَمْ يُبَحْ جِسْمِي فَجِسْمِي بِالْهَوَى لَيْسَ يَغْلَمُ
ثم قال: أما علمت أن من صان شيئاً أخفاه كما قال الأول:
وَلَهَا سَرَائِرُ فِي الظُّمِيرِ طَوْنُهَا كَثُمَ الظُّمِيرِ بِأَنهَا فِي بَاطِنِهَا
وإلى هذا أشار الآخر بقوله:

أَحَبُّ قَلْبِي وَمَا دَرَى بَدَنِي وَلَوْ دَرَى مَا أَقَامَ فِي السَّمَنِ
نعت أولياء الرحمن:

﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١).

وبالإسناد قال عمرو بن يحيى الأردبيلي^(٢) ثنا العباس بن يوسف الشكلي، ثنا سعيد بن عثمان الخياط قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

إن أولياء الرحمن نظروا إلى حسن صنعة ربهم، فوردوا على بحر محبته، فاغترفوا منه ري الشراب، فسهّل عليهم كل عارض عرض دون لقاء ربهم، فألفت القلوب بترك الراحة، فهم المحزونون المغمومون والمكروبون المهمومون، فعجنوا بماء اليقظة فهطلت عليهم سحب الأشجان، فكان مطالبهم قد فطر بهم لا تفارقهم العبادة ولا يفارقونها، أول أنفاسهم سموم وآخرها روح، وأول كلامهم حزن وآخره رجاء، قد سكنت منهم النفوس فرضوا بالفقر وبالبؤس قد تناولت عليهم الأحزان فخشعوا لهيبته قطوبى لهم.

(نعت المستهام)

وبالإسناد قال بكران بن أحمد الجيلي: سمعت يوسف بن الحسين الرازي يقول: سمعت ذا النون المصري يقول:

(١) سورة الفرقان، الآية رقم (٦٣).
(٢) عمرو بن يحيى الأردبيلي، هو الحافظ، المقيد، الرمال أبو القاسم حفص بن عمر سمع أبا حاتم ومه ابن لال وصنف مع الثقة والفهم، مات رحمه الله سنة ٣٣٩ هـ.
انظر: طبقات الحفاظ، ٣٥٢، السوحي.

إن لله عبادةً ذابت قلوبهم كما يذوب الآلث^(١) لأنه ذوبها، فذهب بها ولكن غَضِرَ فيها
جمرة الهوى فتغضِرت فهي متغضِرة بالاشتغال.

إن الجمرة التي توقد تذهب فتطفئ فتضمحل وجمرة الهوى لا انطفاء لها ولا انقضاء في
كل وقت بالشوق والحب مشتعلة، اشتعل الجوى فانحط على الضمير، فغضِرَ المكنون، فهو
اختفاء خفي للاختفاء في الكمين بين الجوى والضمير حتى جذب جمرة الهوى، فأفاق
فأوقدها، فلما استوقدت رماها بسهمه فقدحها، فاشتعل الجوى بالاشتعال واشتعل الضمير
فتغضِرت الجمرة بالتقادها، فحمى سطوة الصفاء عليها فوقع الجمرة على الجوى والضمير،
فهما جميعاً إلى الفوران والغليان أقرب إلى السكون والهدوء، وأي راحة يكون لقلب قد
تغضِرَ فيه جمرة الهوى.

يا أهل الهوى اشتغلتم وإلى القليل تقرّبتم.

وبقربه تزلّم اتعبوا فغداً الراحة كُذِّوا فغداً تتنعمون

ابكوا إن شئتم واكثروا فغداً بقرب الجليل تفرحون

إذا قيل لكم: ارتقوا، وبقرّب عرش فانزلوا، وإلى وجهي فانظروا، هنالك تفرحوا وتتمنّوا،
أنكم قد ازددتم تعباً. ثم بكى وقال: طوبى لهم، طوبى لهم.

أيها الأدب المنتقد الواقف مع وزن الألفاظ، وتناسب الحروف، ليس هذا عشك، هذا كلام
الحال وعليه سلطان الوجد والمقام، المعاني موزونة إن كنت ذا فكر صحيح، وفطرة سليمة،
وإيمان نوراني، وعقل ملكوتي، ولولا التطويل لأوضحنا لك حسن ما أتى به في هذه الألفاظ
الوعرة، وهذا التخطيط الظاهر هو نسج يناسب بيته ومنواله، لا نفس كل نسخ بمنوالك يا
ظاهري، فتتعجب وتتعب، سلم تسلم، والنزم التواضع تغنم، والسلام.

كلام حال مرتضى فيما يتعلق بالحبّة والرضا

بالإسناد قال: قال إبراهيم بن محمد المالكي: ثنا أحمد بن يوسف البغدادي قال: سمعت
ذا النون، وسئل عن الحبّة والرضا، فتنفّس الصعداء، زرع قلوب المحبين ترزع الرضا، فيجرح
القلوب حتى قرحت، ثم ألقي بها الحزن فأكمدها، فجعل مع الكمد داءً دقيقاً داخلًا، فأكمد
كمد الكمد جلباب الحزن، فأذهب بالهموم حتى أفرجها، ووقع فيها معمة الرضا مع معمة
الحبّة، قطارت بينهما جليراً أشد خفقاناً من خفقان أجنحة الطير، فشكى الجوى إلى الضمير
وشكى الضمير إلى المكنون، فيكى، وشكى وتشكى تشكياً إلى المشتكى، فأظهر الشكوى،

(١) أي: الرصاص المغلي.

فألبسه الجليل موضع الشكوى، فرحاً وترحاً، فاهتز القلب بين المحبة والرضا اهتزازاً، وطفقت النفس متململة تهش إلى القلب ليكبّخه فوق وقع وثاق القلب في لجام النفس، فكبحها وطردها، فاستنار القلب بنور العز، فاعثر بالرضا والمحبة، فطرد استحواذ الشيطان عنه طرداً، وطرده النفس مع الهوى. ثم أراد أن يهدي للقلب هدية، كلا كيف يهدي إلى قلب قد استنار بنور العز، ولئلا وفي كل يوم، من عند الجليل تحفه فيستبشر بما أتحف، فأميط عنه الظلام وأتاه فأخرج ثماره منه، فصفا ورق وزال عنه الكدر وصار مسروراً بالرضا والمحبة، فهذا هذا لا كغيره.

تسامت الأرواح في عالم الانفتاح

وبالإسناد قال: قال بكران بن أحمد الجيلي: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون يقول: خرجت إلى بيت الله الحرام، فلقيت في الطريق شاباً، فقلت: السلام عليك يا حبيبي.

فقال: وعليك السلام يا ذا النون.

قلت: ومن أين عرفتني؟

قلت: عرفت نفسي نفسك.

قلت: من أين وقعت بينهما المعرفة؟

قال: وقعت بينهما المعرفة يوم ورودهما على شاطئ نهر القلق، فسقيت النفوس بكأس الومق، فلا تعرف الأرواح إلا الشوق والأرق، فغمست حبه قلوبهم في الحجج الاشتياق، وأمزجت نفوسهم في رياض الاحتراق، فعند ذلك النفوس عارفة بأرواح العارفين، وتأنس إلى أخواتها لما وقع بينهما المعرفة في ساحة المفاوضة، والركض في ميادين المحبة.

فقلت: حبيبي متى ينال العبد الإخلاص.

قال: إذا خشي الحساب والقصاص، يوم يؤخذ بالحق والنواصي.

قلت: فما علامة الوجد والتلق؟

قال: أن تكون ليلك ساهراً باكباً، فإنه من كان عني ما ذكرت لم يتهن بنوم، ولم يأكل ولم يشرب، لاحتراق قلبه، فإن الأعين لا تنام لما في صدورهما من ليران الصباية، وتركني ومضى.

(حكمة ومعرفة)

وبه قال وسمعه يقول: كنت جالساً عند ذي النون، فسأله سائل، يا أبا الفيض، من أذل خلق الله؟

فقال: الفقير الطمع، والمحب لمحبوبه، والضيف في بيت اللئيم.

يقول: دخلت ياذنٍ وخرجت ياذنٍ، ولعمري هذا في غاية الذل، في لسان الظرف، فأنا في لسان الجدد.

فقال: من أذل من هو أوله نطفة وآخره جيفة، وقد أُلزِمَ الحجة، وعري من القدرة، ومن يأكله في حياته أذل من الذباب، وهو القمل، وفي مماته أضعف من الدواب، وهو الدود من يدري أين ولد، ولا يدري أين يموت.

(تذكرة مشاهد)

وبه قال: قال أحمد المهلبى^(١) الفارسي: ثنا علي بن محمد المروزي^(٢)، حدثنا أبو الحسن ابن محمد الزاهد^(٣) قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

الدنيا دنية وحُجَّتْها خطية، والدنو منها بلية، الدنيا يكفي صفتها من وصفها، وإنما يعتبر بها من عرفها، من طلب الدنيا سيقته، ومن هرب منها لحقته، ومن عصى الدنيا أطاعته، ومن أطاعها عصته، الدنيا فاعلة بك ما فعلت بأبيك وزائلة عتلك، كما زالت عن أخيك.

(مكاتبة ناصح مشفق)

وبه قال: أبو الربيع الصفيار البجلي^(٤) سمعت أبا بكر بن أبي عبيد اللؤلؤي^(٥) يقول: كتب ذو النون المصري إلى أخ له:

- (١) أحمد المهلبى الفارسي، أورده صاحب معجم المؤلفين باسم حسين بن أحمد المهلبى. المتوفى سنة ٣٨٠ هـ له كتاب المسالك والممالك المشهور بالعزيز بالله. انظر: كحالة: معجم المؤلفين، ٣/٣١٣.
- (٢) علي بن محمد المروزي، هو عبد الرحيم بن سليمان الكندي، أبو علي المروزي الأشجلى روى عن عاصم الأحول وهشام ابن عمرو وطبقتهما، وروى عنه أبو بكر بن أبي شيبة وغيره. انظر: السيوطي: طبقات الحفاظ، ١٢٦.
- (٣) أبو الحسن بن محمد الزاهد، (كان يقول رضي الله عنه) كما عصى الله سراً تطعه سراً، حتى يدخل إلى قلبك لطائف السر، وكانت له كرامات ظاهرة، توفي رحمه الله سنة ٣١٣ هـ في شهر ربيع الأول. انظر ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ١/٥٨٨.
- (٤) أبو الربيع الصفيار البجلي، هو: سليمان بن موسى الكلاعي، ومثاني له ترجمة بعد صفحات قليلة انظرها.
- (٥) أبو بكر بن أبي عبيد اللؤلؤي، هو: أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن أبي عاصم اللؤلؤي القرواني النحوي، اللغوي، أقبل على الحديث في أواخر عمره، من تصانيفه: كتاب في الطاء والصاد، توفي رحمه الله سنة ٣١٨ هـ. انظر كحالة: معجم المؤلفين، ١/٣٥٩.

يا أخي أوصيك بتقوى العظيم والمراقبة له، حيث لا يراك أحد إلا الله، والاستعداد لما ليس لأخيك فيه حرجة، فاحسر رأسك عن قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموت وشمر للسباق، فإن الدنيا ميدان السابقين، ولا تغتر بمن أظهر النسك، وتشاغل بالوصف عن العمل، فإن لي ولك مقاماً بين يدي الله، يسألنا فيه عن الدقيق والخفي والحليل الخافي، ولا تأمن يا أخي، فإنه يسألني ويسألك عن وسوس الصدور ولحظة العيون وإصغاء الأسماع.

(يقين صادق)

وبالإسناد قال: حدثنا أبو الربيع قال: حدثنا بكران بن أحمد الجيلي، سمعت يوسف بن الحسين الرازي، قال ذو النون:

من المحال أن تذكره ثم لا يوجدك ذكره، ومن المحال أن تحب طعم ذكره، ثم لا يشغلك به عما دونه.

(علم العاقل)

وبالإسناد قال: حدثنا علي بن أحمد التميمي، ثنا موسى بن أحمد بن عمران^(١)، سمعت أبي يقول: سئل ذو النون متى يصح للعاقل حقيقة اسم العلم فقال:

إذا فقه قلبه، وخبرت جوارحه بالعمل، ووافق باطنه ظاهره، عند ذلك يستحق اسم العلم.

(علماء هذه الأمة أنبياء بني إسرائيل)^(٢)

رُوي هذا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وسمعت عبد العزيز المهدي بتونس عام تسعين وخمسة مائة يقول: علماء هذه الأمة أنبياء، سائر الأمم، وبالإسناد قال: حدثنا أحمد بن محمد الوراق، حدثني إبراهيم بن شيبان^(٣)، سمعت أبا عبد الله المغربي، سمعت ذا النون المصري يقول:

(١) موسى بن أحمد بن عمران، تقدمت له ترجمة.

(٢) حديث: «علماء هذه الأمة أنبياء بني إسرائيل». قال السيوطي في النور لا أصل له، وقال في المقاصد قال شيخنا يعني ابن حجر: لا أصل له. وقيل للمصيري والزر كشي وزاد بعضهم ولا يعرف في كتاب معين، وفي حديث: «أكرموا حملة القرآن كاد حملة القرآن أن يكونوا أنبياء إلا أنهم لا يوحى إليهم»، ولأبي نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنه رفعه: «أقرب الناس من درجة النبوة، أهل العلم والاجتهاد»، وأنكره أيضاً الشيخ إبراهيم الناجي وألف في ذلك جزءاً وقال النجاشي: «وما نقله حازماً بأنه حديث مرفوع الفخر الرازي، وموفق الدين بن قدامة، والأمنوي، والبارزي، والسقفي، وأشار إلى الأحمد جماعة النظار، وفتح الشهيد وأبو بكر الموصلي، والسيوطي في الخصائص وله شواهد الظم المتخولون كشف الحقائق، ٦٤/٢، حديث رقم (١٧٥٤).

(٣) إبراهيم بن شيبان، سمعت له ترجمة.

في هذه الأمة في كل مائة سنة فترة يموت العلماء والحكماء، ثم يبعث الله على عدد الأنبياء حكماء، فيردون الخلق إلى الله وهم بمثابة أنبياء الزمان، وقد اجتمعت الجماعة من أصحاب القلوب والكشف والاطلاع، والمحدثين وبعض علماء الرسوم على أنه لا بد من قائم بالحق في رأس كل مائة سنة.

(مناجاة نفسية)

وبالإسناد قال: حدثنا محمد بن أحمد بن محمد، عبد الله بن محمد بن ميمون، سمعت ذا النون يقول في مناجاته:

سيدي زمان نكيد، وبلاء عتيد، وجهد جهيد، وأمل بعيد، وشيطان مريد، وعيش كدود، وعدو حسود، وخلف موجود، ووقاء مفقود، فكيف النجاة إلا بعصمتك أيها المعبود.

(ظرف وتذكر)

وبالإسناد قال: حدثني بكران بن أحمد الجيلي، وأحمد بن محمد البرزعي، قال الجيلي يوسف بن الحسين الرازي: سمعت ذا النون يقول:

كان لي منديل عليه مكتوب:

مَدَامَعِي فِيكَ قَرِيحَاتُ	وَفِي الْحَشَا مِنْكَ سَرِيرَاتُ
طَوْبَى لِمَنْ بَاتَ وَأَجْفَأَتْهُ	مِنَ الْمُعَاصِي مُشْتَرِيحَاتُ
وَقَالَ الْبَرْدَعِي: حدثنا ابن الحسين الرازي قال: قرأت على عكاز ذي النون المصري:	
وَأَشْفَقَ خَشْيَ لَا يَرَى فِي ثِيَابِهِ	سِوَى أَجْلَدٍ قَدْ رَتَبَتْ بِعِظَامِ
تَزْوُجُهُ الْأَحْزَانُ خَشْيَ كَأَنَّمَا	سُقِيَ خَنْظَلًا فَازْدَادَ طُولَ سِقَامِ

(سؤال الصادق مؤثر)

وبالإسناد قال: سمعت الحسين بن أحمد الرازي يقول: سمعت أبا العباس الرازي يقول: سمعت يوسف بن الحسين الرازي يقول: سمعت ذا النون يقول:

إذا سألتني السائل، وكان مستحقاً للجواب استفتدت نصف الجواب من مسألته.

(أنا وصدق المريد)

قال: حدثنا بكران بن أحمد الجيلي، ثنا ميسرة بن علي الإمام^(١) سمعت يوسف بن

(١) (ميسرة بن علي الإمام)، لم نقف له على ترجمة.

الحسين، سمعت ذا النون يقول:

إن المرید إذا صدق سعيه بينه وبين الله حلا في صدور المؤمنين، وحلا ذكره في أفواه المریدین، شغلهم به شغل يغلب على جميع الأشغال، وحيهم له يحول بين الأهل والمال.

تناسب النفوس

وبالإسناد قال: حدثنا أحمد بن محمد بن علي، أخبرني عثمان بن نصر القرشي^(١)، ثنا علي بن الموفق الزاهد^(٢) قال: سمعت ذا النون يقول:

إذا نفذ حكمك في نفسك حرّك أنفك العامة إلى عدلك، هذا يدل على أنهم المنظور إليهم بين الخلق وهم عين الجمع والوجود. يؤيد هذا ما روي عن بعض الرعاة في خلافة عمر بن عبد العزيز^(٣) رضي الله عنه، أن ذئباً تعدى على شاة من غنمه، فصرخ الراعي وقال:

مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فأثني البلد، فوجد نعي أمير المؤمنين فقبل له في ذلك فقال: سرى عدله في نفوس السباع فلم يتعد سبع منهم على غنم، فلما رأيت السبع تعدى، علمت أن أمير المؤمنين مات رحمه الله.

حال المحبة لله

وبالإسناد قال يوسف بن عمر، ثنا محمد بن أحمد بن سهل، ثنا سعيد بن عثمان، ثنا سمعت ذا النون يقول:

إن أحب لله لا يعظم عنده الإيثار لله، لأنه ليس شيء عنده أعظم من الله، فينبغي أن أحب لله أن يرى عليه أثر ذلك من رفض الدنيا، لأنه من الخيال أن يجتمع في القلب حب الله مع حب الدنيا.

(١) عثمان بن نصر القرشي، أورده النجاشي (ابن مرقا) العالم العابد الزاهد. من مشاهير مشايخ مصر، انتهت إليه الرياسة في الطرق الصوفية، وقصد لكشف المتارلات. توفي رحمه الله سنة ٥٦٦ هـ عن سبعين عاماً ودفن بالقرافة. انظر النجاشي: الكواكب الدرية، ٦٨٥/١.

(٢) علي بن الموفق الزاهد من قدماء مشايخ العراق، وكان ساحراً رأى ذا النون المصري، حج رضي الله عنه أربعاً وسبعين حجة، وبعد الحج تسلل وقال: أذهب إلى الحج وأرأع وما لي قلب ولا وقت. توفي رحمه الله سنة ٢٦٥ هـ. انظر: الحاملي: لفحات الأنس، ٣٦١، أبو نعيم: حلية الأولياء، ٣١٢/١٠، ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٨/١٦.

(٣) عمر بن عبد العزيز هو: أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، القرشي، حليقة أموي، ويلقب بخامس الخلفاء الراشدين لعدله، وورعه. تولى الخلافة لإمارة المسلمين بعد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ هـ، وكانت مدة خلافته ثلاث سنوات. توفي سنة ١٠١ هـ. روى الأحاديث، وأخبار كثيرة في كتب التاريخ والسيرة.

انظر ترجمته في: أبو نعيم: حلية الأولياء، ٢٥٣/٥، ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز، ١١، فنقد القسطنطيني: كتاب الوفيات، ١، ٣، الذهبي: الكاشف، ٣١٧/٢، ترجمة رقم ٤١٥١، ابن فتيبة: المعارف، ٣٦٢، المزي: تهذيب الكمال، ١١٥/١٤، ترجمة رقم (٤٨٦١)، محمود خفاج السبكي: مختصر أعذب المسالك المصنوعة، تحقيق، هامش ١٢٤.

عن كتاب الكوكب الدرري في مناقب ذي النون المصري

وقال: حدثني يوسف بن عمر، أبو الفضل الخراساني، سعيد بن عثمان الخياط قال: سمعت ذا النون يقول:

ويحك لو أدخل الله الحب له النار ثم عذبه بأشد العذاب، ما نقص في قلبه من حبه شيئاً، بل يزداد في حب الله تعالى.

وصية ونصيحة

وبه قال: حدثنا محمد بن الوراق، ثنا الحسين بن إسماعيل، ثنا إسماعيل بن عيسى، عن سليمان بن موسى^(١) قال: قال ذو النون:

إن حقوق الله أثقل من أن يقوم بها العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا ثوابين، وأمسوا ثوابين.

جواب عارف بما ثم [-] ^(٢)

قال: حدثنا عبد الواحد بن بكر، سمعت محمد بن عبد الله الجوال^(٣) يقول:

سمعت يوسف بن الحسين الرازي يقول:

سئل ذو النون عن قول النبي (صلى الله عليه وسلم) «أشد الناس بلاءً الأنبياء»^(٤).

قال: لأن منهم يوجد ابتلاؤهم أهل الصفاء والبلاء للاستصفاء، فإذا استوفته أحوال الشهود لقيام الواجب، اعرضوا عن النفوس وجعلت النعم بلاءً.

(١) سليمان بن موسى (علاء): سليمان بن موسى عن عماله بن حسان بن سليمان الحميري الكلاعي، النسبي، أبو الربيع، التحدث الحافظ، المتوفى سنة ٦٣٤هـ، وله مؤلفات في السيرة النبوية، وكتاب في معرفة الصحابة والتابعين وغير ذلك. انظر كحالة: معجم المؤلفين، ٤/٦٧٧، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ٣/٦٤٨، الضعة العربية، بإشراف أ. د. محمود فهمي حجازي، القاهرة.

(٢) غير واضحة بالخطوط.

(٣) محمد بن عبد الله الجوال: تقدمت ترجمته وهو التحدث النسبي المعروف كما ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ، وتقدم.

(٤) «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجه وابن حبان، وإسحاق عن سعد بن أبي وقاص. قال: قلت يا رسول الله «أي الناس أشد بلاءً»، قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فينبلي الرجل على قدر دينه، فإن كان صديقاً أشد بلاءً، وإنه كان في دينه رقة اض على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة. ورواه النسائي، وابن ماجه، والدارمي، وأحمد، وابن ماجة، وأبو يعلى عن حديثه عندهم، ومالك وأحمد.

انظر تفاصيل ذلك في العجلوني: كشف الحقائق، ١/١٣٠، حديث رقم (٣٧٢).

موافقة المألوف

وبالإسناد عن عبد الواحد بن بكر، أخبرني منصور بن أحمد الهروي^(١)، ثنا أبو الحسين الخوارزمي قال: قال ذو النون المصري:

بينما أطوف بالبيت إذا أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة، وهو يبكي وينتحب فدنوت منه فقلت: ما يبكيك، فقال: إليك عني يا ذا النون أحداق ياكيات، ودموع ساكيات، وأجفان قريحات، وأقدام متورّجات، وعقول طائشات وقلوب مطهرات. أما علمت أن لله عبداً عرفوه فألفوه قأنفوا أن يخالفوه.

(نعت أهل الوقت وعدول ظريف)

وبالإسناد عن عبد الواحد، أبو بكر الجوال أخبرني الحسين بن محمد قال: دخلت على ذي النون فقلت له: أوصني فقال: نعم.

ثلاث موجودة، وثلاث مفقودة، العلم موجود والعمل في العلم مفقود، والعمل موجود والإخلاص في العمل مفقود، والحب موجود، والصدق في الحب مفقود وأنشأ يقول:

أما الثَّهَارُ فَأَنْتَ زَوْجُ قُلُوبِهِمْ	وَاللَّيْلُ تَسْمَعُ فِيهِ مَنْ يَتَخَشَّعُ
جَزَعْتَ إِلَيْكَ هُمُومَهُمْ فَقُلُوبُهُمْ	مَرْفُوعَةٌ مِثْلُهُمْ إِلَيْكَ تَطْلُعُ
وِعِصَابَةٌ مِثْلُ الْقِدَاحِ تَلْبَسُوا	تَوْباً مِنَ الضَّرَاءِ مَا يَشْقَطُغُ
أَنْلَيْتَ مِنْ أَحِبَّتِهِ خُسْنُ الْبَلَا	وَتَخَضَّضْتَ بِالْبَلْوَى رِجَالاً تُخْشَعُ
أَحْبَبْتَ نَجْوَاهُمْ وَطَوَّلَ حَبِيثَهُمْ	وَأَطْلَتَ بَلْوَاهُمْ لَكِي يَعْضَرُغُوا
عَافَيْتَهُمْ مِنْ بَعْدَمَا أُنْلَيْتَهُمْ	فَهُمْ شُرُورٌ فِي أَجَالِسِ ثَرْتِغُ

(تجريد كلي ومعرفة أديب)

وبالإسناد قال: حدثنا محمد بن أحمد الزاهد بنوقان^(٢)، ثنا يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول:

أقسمت بفعلك الخمود وعقلك المفقود لا أتحذ دونك خليلاً إلا أن لا أجد إلى ذلك سبيلاً.

(١) منصور بن أحمد الهروي، انظر ما أورده الذهبي في: تذكرة الحفاظ، ٤/٤٣٣.

(٢) أبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان بن علي بن عبد الله بن عثمان الزاهد الحيري، التيساري. ولد حوالي سنة

٢٨٥ هـ واشتهر بمحدث يسابور، وكان عالماً بالنحو والقراءات، كما اشتهر كعالم الحديث، توفي سنة ٣٧٨ هـ.

انظر: مزكين: تاريخ التراث العربي، ١/٣٣٣، الصفا: الوافي بالوفيات، ٢/٤٩٦، الذهبي: ميزان الاعتدال، ١/١٦٣،

السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٢/٧-١٠.

وصية ونصيحة وتذكير

وبالإسناد قال: حدثنا إبراهيم بن الفقيه بمكبر، يوسف بن أحمد البغدادي، سمعت ذا النون يقول وهو يودع الناس، ويريد الخروج من المعسكر فتبعته فقال:

أيها الناس، أدبوا الأنس، واتركوا الوحشة واجعلوه نصب عيونكم، وعاملوه واحذروا الخطرة يلذذكم ويكرمكم بالتوال، يا أيها الناس احذروا عثرة زلة القلوب، فإنها إذا عثرت سقطت وانجمدت، يا أيها الناس إن طلع على قلوبكم وهي تعثر في الظلم، وقد وقع عليها من حائل السواد فاضلمها حتى تتفخّم في الظلم، فلا تعرف الضياء أبداً.

أيها الناس، إذا قفل قلوبكم بقفل الظلمة عسر فتحها، ومكثت مقفلة إلى أن يقبضها، أيها الناس، ميلوا إلى قريبه، ودعوا الميل إلى غيره، إنه إن أمالكم إلى قريبه، أزال عن قلوبكم قفل العمى، وفتحها إلى نوره فأقامها بالنور حتى لا يلحقها شظية من الظلمة، أيها الناس، لقد لذ أقواماً بلذات أنس، فلم يسترحسوا حتى قبضوا، ثم قال:

اللهم أدم لأوليائك فرح روح راحبتك اللهم أطف عن قلوبهم ما يجدون وسكن موجودهم فأنت مانكهم.

يا أيها الناس استودع الله قلوبكم وأبدانكم ونفوسكم فإنه إن أودعها عنده، وكانت في ودائعها، تروحت بروح معرفته، ثم ولم يتكلم بعدها.

حال الخائفين الله ونعتهم

وبالإسناد قال: حدثنا إبراهيم بن محمد المالكي، يوسف بن أحمد البغدادي، سمعت ذا النون بن إبراهيم المصري يقول:

إن لله عبداً قطعهم الخوف أن يعرفوا ما في الدنيا من جلالها، ويعرفوا موضع الأقوات لأنهم لم يبالوا بالقرب بعد وسعهم من شدة الخوف، كانوا إذا جنهم الليل وإذا اشتد الظلام خافوا أن يغشاهم الرهق، فرهقهم رهق الإرهاق، فقاموا إلى سيدهم. والخوف محيط بهم، تزلزلت جوارحهم حين قاموا واصططكت حركات نظمها. فتزعزعت اضطراباً، فاضمححل عليهم اضممحلال إرهاق الخوف، فقدح قلوبهم فكاد أن يقصمها، ثم رهقت أفئدتهم خوف النار، لولا إرهاق الروحانيين الفؤاد والقلب إذا لانتقصت الخواارج جارحة حارحة ولكن أتاهم الرجاء حياءً فسكن موجود وجودهم، فأتاهم بعد الموجود تمة البقين، فسكن ما كان يجدون من إرهاق حيفهم. فلم يزلوا كئيبين خائفين من إرهاق خوفهم. خاضعين إلى أن زال الظلام، ورهقهم الضياء، واكشفت عنهم ما كانوا يجدون وأشرق نهم النهار، ورهقهم الفكر والأدكار

وخافوا أن لا يقبلهم الجبار، فالتهار مأثم فكرهم والليل غرسهم، وإن كانوا خائفين فهم في العرس وهم لا يريدون، لأنهم إذا رهنهم الرجاء أتاهم العرس، أما لو حسوا بالعرس لسكن خوفهم ولكن يتركوا على حالتهم، لذلك خلقوا فسحاح من يفعل ما يشاء ويحكم فيهم ما يريد.

(ومن باب نعت أولياء الرحمن)

وبالإسناد قال: حدثنا عبد العزيز بن أحمد^(١)، ثنا العباس بن يوسف، سعيد بن عثمان الخياط قال: سمعت ذا النون ونعت أولياء الرحمن فقال:

قد تطاولت عليهم الأحران، وأذعنت لهم الجوارح في المبارزة في الأعمال، وليس يخرجون من طاعة ولا ينزلون من درجة إلى درجة، مشغولون بالبيت لمواصلة الحبيب، قد تردوا بالأسف، واستشعروا الكآبة، وتجللوا الفكر، وسلموا للرضاء عن الدنيا، وأقروا بالعبودية للملك الديان، فخشعوا لهيبته، واستوطنوا خشيته، فلم يستعذبوا الفتور، ولم يصحبوا الغفلة، فإذا خلوا فإخوان البكاء، وإذا عجل عليهم فعلماء، وإذا سئلوا فسمحاء، وإذا كلموا فحكماء، وإن جالسوا حذراً حذروا معه في حذره، وإن رأوا مشفقاً بكوا من حر شفقته، وإذا رأيتهم قلت:

عمار قصور في الحيام، من حسن تلك الوجوه والنضرة، وإذا كشفت كشفت عن قلوب منكسرة وبالذكر للمحيوب عامرة؛ قلوب لا تدنسها المطالع، طاهرة بيضاء نقية، قد أودع باطنها نور الحكمة، فهي تلوح للنظرين وقمر للسائرين.

فهذه صفة طائفة من المؤمنين، قد تقصر الألسنة عن وصفهم، وتذهل العقول عن مبلغ علمهم.

فلا يعرفهم حق المعرفة، إلا الرسل عليهم السلام، ولو صرخ بقلوبهم صاروخ، لبلغوا حيث لا مبلغ، ولاستوطنوا حيث لا مستوطن، فهم في الحجب مشهورون فطوبى لهم.

(نور إلهي مفهم)

وبالإسناد قال: حدثنا محمد بن أحمد البواريزي، ثنا محمد بن أحمد بن الحسين، ثنا محمد بن الحسين بن علي البلخي^(٢)، ثنا الحسن بن محمد، حدثنا أبو الفيض ذو النون قال:

(١) عبد العزيز بن أحمد الأرجي، تقدمت ترجمته.

(٢) محمد بن الحسين بن علي البلخي الحافظ، رخان. روى عن محمد بن المعافى الصدراوي، ويحده وحدث عنه الحافظ محمد بن أحمد الجارودي. وهو من صقة أبو السقاء الذي توفي سنة ٣٧٢ هـ.

انظر له في: تذكرة الحفاظ. ١٠٠٣/١.

خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فلما إن دخلت البادية، إذا أنا بصوت حزين من قلب قريح مشحون:

يَا مَاجِداً تَحِبُّ الْقُلُوبَ بِذِكْرِهِ وَالنَّاسَ كُلَّهُمَ عَلَيْهِ عُكُوفُ
مُتَحَيِّرِينَ كَأَنَّهُمْ قَدْ أَوْقَفُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْعِبَادُ صُفُوفُ
طَلَّ الطَّرِيقُ فَلَيْسَ إِلَّا مُذْنَبٌ أَوْ وَائِقٌ بِحَبِّهِ مَشْغُوفُ

قال: فنظرت، فإذا بغلام أسود عليه مرقعة صوف، مكتوب عليه من ورائه الأنس بالله، نور ساطع، والأنس بالخلقين هم واقع، ويده عكاز مكتوب عليها:

سَأُضِيرُ لِلْبَلَاءِ وَأَمُوتُ صَبْرًا وَأُضِيرُ لِلْبَلَاءِ كَمَا بَلَيْتُ
فَلَوْ ضُيِّبَ الْبَلَاءُ عَلَيَّ ضَبًّا لَصَاحَ الصَّبْرُ إِنِّي قَدْ غَيَّبْتُ
قال: فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام.

فقلت له: أين عزمت يا غلام؟

قال: إلى بيت الله الحرام.

فقلت له: بلا زاد ولا ماء.

فقال لي: بلا زاد ولا ماء يا بَطَّال، هل تحسن القرآن؟

قلت: بلى.

قال: اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿كهيعص﴾^(١).

قال: يا بَطَّال إذا كان معي كاف من كافي وهو كاف بخلقه، وهاء من هاد وهو هادي لخلقه، والياء يد الله فرق أيديهم، وهو عاطف على عباده بالرزق، وعين من عالم بخلقه، وصاد من صادق وهو صادق وعده، فما أصنع بزداد ومزود ثم ولَّى عني وأنشد يقول:

فَتَى كَاسٍ فَلَمْ يَأْسَ عَلَى مَا غَطَّفَ النَّاسُ
فَتَى أَخْلَصَ فِي الصَّدَقِ فَلَمْ يَخْدَمْ النَّاسُ
فَتَى أَلْبَسَهُ الْكُلَّ الْغِنَى وَالزَّهْدَ وَالْيَاسُ
فَمَا يَغْلِقُ حَانُوتاً وَمَا يَخْتِمُ الْيَاسُ
وَقَوْمٌ جَمَعُوا فَصَّازَ الْقَوْمُ حُرَّاسُ

(١) سورة مريم، الآية رقم (١).

وَقَوْمٌ تَزَكَّوْا الدُّنْيَا فَكَانَ الْقَوْمُ أَكْبَاسَ

نَراه في غَدِ الْغُرَسِ فَلِذَ زَافَقِي الْيَاسَ

ما لا يضر الحب الصادق استعماله إذا رقت حواشيه ولطف معناه ولطفة العقل

وبالإسناد قال: حدثنا يكران بن أحمد الجيلي، ثنا يوسف بن الحسين، ثنا ذو النون المصري قال: سمعت أستاذي يقول:

إِنْ أَحْبَبَ إِذَا تَنَاهَتْ بِهِ حَالُهُ، تَجَفَّوْا عَلَيْهِ الْأَشْيَاءَ، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَعَاشِرَ جَافِيًا، وَلَا يَتَنَاوَلَ الْجَافِي مِنْ الطَّعَامِ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا يَلْبَسُ إِلَّا نَاعِمًا وَلَا يَضُرُّهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ حَالِهِ إِذَا بَلَغَ هَذَا الْمَبْلَغَ، هَذِهِ حَالَةُ تَسْلِيمِ لِمُصَاحِبِهَا، وَمَقَامِ الْإِخْتِصَاصِ غَيْرِ مَكْتُونٍ عِنْدَنَا.

وقد قال: ﴿هَذَا عِظَافُونًا، فَاغْنِ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١)، وَلَكِنْ مَقَامُ الْحَكِيمِ أَعْلَى مِنْ هَذَا هُوَ مَقَامُ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، أَكْمَلَ إِنْسَانًا، وَأَلْطَفَهُ مَعْنَى، وَأَصْفَاهُ سِرًّا، وَأَرْقَهُ قَلْبًا، وَأَكْمَلَهُ حَالًا، وَأَعْلَاهُ مَقَامًا، وَكَانَ يَأْكُلُ الْجَافِي، وَيَحْتَمِلُ الْجَافِي لِقُوَّةِ حَالِهِ، وَرَقَّةٌ لَطَافَتِهِ وَاتِّسَاعِهِ وَالسَّلِيمَانِي لَهُ مَقَامٌ مَعْدُودٌ وَرِزْقٌ مَقْسُومٌ، فَهَذِهِ حَالَةُ تَسْلِيمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَاحِبِهَا، وَسَلَّمَ بِنَا عَنْهَا إِلَى الْمَقَامِ الْكَامِلِ، الْوَرِثِ الْحَمْدِي الشَّرِيفِ.

قال وسمعته يقول: مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ، جَعَلَ فِيهِ لَطِيفَةً، فَتِلْكَ اللَّطِيفَةُ تَمِيلُهُمْ إِلَى كُلِّ حَمِيلٍ، وَإِنِّي كُلُّ مُسْتَحْسِنٍ فِي الشَّاهِدِ.

صَدَقَ وَاللَّهِ هَذَا الشَّيْخُ فِيمَا قَالَهُ، غَيْرَ أَنَّ أَحَدَ الْأَمْتَحَسَانِ، وَالْمِيلَ مِيزَانًا دَقِيقًا، رُوحَانِيًّا لَطِيفًا، وَإِلَهِيًّا إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ هَذِهِ الْحَالَةِ. عَامًّا قَوْلًا فِي ذَلِكَ الْمِيزَانِ، وَإِلَّا هَلَكَ بِمَلَأَمَةِ الطَّبْعِ، وَمُنَاسِبَةِ الْعَرَضِ فِي الْجَمَلِ الْعَرَضِيِّ الَّذِي لَا تَعْرِفُ النَّفُوسُ الْعَامِيَّةُ غَيْرَهُ، فَاحْذَرِ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الصُّوفِيُّ مِنْ كَلَاهِ هَذَا الشَّيْخِ، فَإِنَّهُ سَمِعْتُهُ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ غُورَهُ، وَلَا حَيْثُ ذَهَبَ بِهِ وَمَا أَصْعَبَ، يَنْجُو بِهَا غَيْرُكَ وَتَهْلِكُ بِهَا أَنْتَ.

وَذَلِكَ أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى فَيْهَتِكَ، فَاللَّهُ يَعْصِمُنَا وَإِيَّاكُمْ وَلَوْلَا مَا وَقَعَ أَكْثَرُ أَهْلِ زَمَانِنَا فِي هَذِهِ الْوَرِطَةِ مَا تَبَهَّنَا عَلَيْهَا وَذَلِكَ لِقُبَّةِ الْقَهْمِ وَغِيَةِ الطَّبْعِ.

وبالإسناد قال: وسمعت ذا النون يقول: ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الصَّفَاءِ: رَقَّةُ الْقَلْبِ، وَسُرْعَةُ الدَّمْعِ، وَالْإِنْتِفَاعُ بِالْمَوْعِظَةِ.

(١) سورة النحل الآية رقم (٤٣٩).

ولية عارفة مُحجة

وبالإسناد قال: حدثنا أبو سعيد الحسن بن محمد البيلقاني^(١)، ثنا محمد بن إسماعيل قال: سمعت يوسف بن عبد الله المذكر قال: سمعت ذا النون بن إبراهيم يقول:

كنت ماراً في رستاق الفرماء فأدركني الليل وجلست على شط نهر بقرب قرية، فإذا أنا بامرأة هو ذي تجيء بعد العتمة بساعة ومعها قرية فأسبغت الوضوء، ورفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: يا من ينه من أراده كم تنومني؟! لا حاجة لي في النوم، هل يكون محباً من يعلم أن أحببته لا ينام ولا يأخذ النوم؟ ثم ملأت القربة لتذهب.

فقلت: السلام عليك.

فقالت: وعليك السلام، ما أحملك! ما أجهلك! يا ذا النون، تعترض على النساء وظننت أنني لا أراك. لقد شَمَّ قلبي قلبك ولكن اشتغلت بمن هو خير لي منك.

فقلت: أنا ضيفك.

فقالت: قم، فحملتني إلى قصر عظيم فقرعت الباب، فلم تجاب.

فقالت: يا رب أئمت القوم، فسمعت خشمخشة القفل من داخل، وانفتح الباب ودخلت.

وقالت لي: ادخل، وإذا ببيت في الدهليز فأجلستني، وقالت: اعلم أن لي سبعة من الأولاد، وهم أمراء هذه الضياع، وأنا لا أكل لهم شيئاً، ولكن أكل من كسب يدي فقلت: ليس بعملين!؟

قالت: أغزل الصوف وأبيعهُ من الجمعة إلى الجمعة وأغزل رأس المال وهو درهم، وأتقوت بالباقي فحملت قرص شعير وكف عدس، وكف حمص، فأكلت وكان أطيب شيء.

ثم قالت لي: يا ذا النون أنت الذي تنصدر في المجالس وتتكلم على الناس، ولو قدرت لأخذت لك سوطاً.

فقلت: استسلمت.

فقالت: كذبت قم والخرج ولا تشغلني عن وردي. وأعطتني أقراصاً تزودتها.

قلت: وصية.

(١) أبو سعيد الحسن بن محمد البيلقاني، والبيلقان مدينة إيران كبيرة مشهورة حصينة ذات سور عال بناها قيادة الملك، ينسب إليها عدد كبير من العلماء منهم أبو سعيد.

(انظر: القزويني: آثار البلاد، ٥١٣).

قالت: تجعله نصب عينيك والسلام.

وبالإسناد قال: حدثنا عبد الله بن سعد السلمي، ثنا يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون المصري يقول:

خرجت إلى مقابر الإسكندرية، فلما صرت في بعض الطريق، إذا أنا بجارية سوداء عليها مدرعة من الشعر، وخمار من الصوف، وفي عنقها سبحة، وهي تمشي وتبختر وتدل في مشيتها على ربها، فقلت: يا سوداء من أين أقبلت؟

قالت: من عند اللطيف الخبير كنت أناجيهِ.

فقلت لها: وأين تريدن.

قالت: إلى عند اللطيف الخبير ثم مضت وأنشأت تقول:

سَلِ اللَّيَالِي غَمًّا بَاتَ ذَا سَهَرٍ القَاعِدِينَ بِلَا لَهْوٍ وَلَا سَمَرٍ
الزَّاحِلِينَ عَلَى الْأَكْبَادِ أَيْدِيَهُمْ شَدُّوا الرَّجُلَ وَهَيَّأُوا لَهُ الشُّقْرَ

وبالإسناد قال: ثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد النسفي بسيراف، حدثني محمد بن موسى بمكة، قال: سمعت ثوبان بن إبراهيم وهو ذو النون، قال: بينما أنا في سياحة إذ رأيت امرأة قد خرجت مزاحمة، فقلت: كيف أنت يا ذا النون.

فقلت: كيف عرفتني وما رأيتني قط؟

قالت: أما تعلم أن أرواح المؤمنين تشام^(١) كما تشام الخيل وأنشأت تقول:

مُجِبُّ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا غَلِيلٌ تَطَاوُلُ سُقْمُهُ قَدَوَاهُ ذَاهُ
سَقَاهُ مِنْ مَخْبِيئِهِ بِكَأْسٍ فَأَزْوَاجُ الْمُتَّيِّمِينَ إِذْ سَقَاهُ
فَهَامَ بِخَبِيئِهِ وَتَسَمَا إِلَيْهِ فَلَيْسَ يُرِيدُ مَخْبُوءاً سَوَاهُ
كَذَلِكَ مَنْ ادَّعَى لِلَّهِ خَبَاءً يَهَيِّمُ بِخَبِيئِهِ خَشْيَ يَرَاهُ

وبالإسناد قال: حدثنا عمر بن يحيى الأردبيلي، ثنا محمد بن هارون الصوفي، ثنا محمد ابن الحسين المصري، قال: قال ذو النون: بينما أنا أسير بمصر على شاطئ النيل فإذا أنا بجارية تمشي بلا خمار فتأديت يا جارية أين خمارك؟ ما لك قد أسفرت عن وجهك؟

فقلت: ما يصنع بالخمار وجه قد علاه الصفار.

فقلت: ومما علاه الصفار؟

(١) أي يشم بعضها بعضاً.

فقلت: لما بي من الخمار.

فقلت: فهل تناولت شيئاً من الشراب.

قالت: أي والله سقاني الجبار طول ليلتي بكأس محبته فبت مسرورة، وأضبحت من حبه محمورة، ثم أقبلت على اليكاء والشهيق.

فقلت: ولم تبكين فأنشأت تقول:

نسبت ألكي فراق عتي بعيني إنما خشي لي لأن لا أراكا
(فصل وهو في الحقيقة وصل)

فإن الفصل ليس من مذهبنا بل طريقنا طريقة الجمعية والوجود، وهو طريق الرحمة الربانية لأهل الشهود.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ﴾ فلا خلاف عندهم ﴿ولذلك خلقهم﴾^(١).

أي: للرحمة خلقهم فسبقت لهم العناية قبل وجودهم كما أن للطائفة المخالفة شرباً. في قوله:

﴿ولذلك خلقهم﴾ لما سبقت الرحمة عنهم جعلنا الله من الطائفة المحمودة والعصابة فهو على الحقيقة هذا الفصل.

مقالة وتتميم وتكملة نعيم

قال أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري رحمه الله إذا رأيت الله يُنطق العبد بالحكمة، ويخذه في العمل فاعلم أنه يريدك للنار.

وقد أجمعت الطائفة على أن الله تعالى، إذا أراد بعبد سوءاً رزقه ثلاثاً، وحرمه ثلاثاً، رزقه: العلم وحرمة العمل، ورزقه العمل وحرمة الإخلاص، ورزقه صحبة الصالحين وحرمة احترامهم. وقال ذو النون:

تطقت ألسن المدعين بالدعوى وكلت ألسن المحققين عن الدعوى، وأن يكون الرجل واحداً لمنازل الإشراف من الأبرار بهيمته ويشير في كلامه إلى أدنى منازل المبتدئين أير له وأبقى من إشارته في ظاهرة إلى أعلى منازل الصديقين مع تخلفه من معاملته لربه.

وقال: وقد قيل له: بم وصلت إلى ما وصلت؟

(١) سورة هود، الآية رقم (١١٩).

قال: بقطع العلائق، وبذل الخيوط، وإسقاط الحماة. إذا طلب العارف المعاش فهو لاش.
وقال: أول الطريق إلى الله المحبة وعلامة المحبة لله إعطاء القياد ببذل الأرواح، والتلذذ بالتلف في محابه وموافقته.

قال: من لم يذق مرارة الكفر لم يجد طعم الإيمان وحلاوته ومن لم يذق طعم ذل المعاصي لم يجد حلاوة الصيانة.

وقال: من علامة المعتزين اعتمادهم على رحمة الله ومغفرته.

وقال: مكاشفات القلوب بالاتصال ومكاشفات النفوس بالإبعاد.

وقال: لو علم منك التحقيق لوسع عليك الطريق ولو أشرت إليه في أول المنصائب لأبدي لك من لطفه العجائب.

وقال: يهيج عليهم البلاء ليضجوا له بالدعاء فيرجعوا عن الحق إلى الخلق فيحجبون عن الحق والخلق.

وقال: ينبغي للعبد أن لا يشرك في همه أحداً.

وقال العارف: يتقلب في ليله ونهاره في أربع روضات أنس الوحدة، وسرور المعرفة، وحلاوة الخدمة، وخوف الفرقة.

وقال: إن الله لعبده في أوان معاصيه وإعراضه عنه أشد نظراً أو حُباً له من العبد في أوان تبليغ نعمه وجماله.

ثم قال: وهل يليق به إلا ذلك.

وقال: علامة القلب المريض أربعة أشياء:

« لا يجد للطاعة حلاوة.

« ولا يخاف من الله.

« ولا ينظر إلى الأشياء بالعبرة.

« ولا ينال من العلم ما يتأدب به.

وقال: من نظر إلى الدنيا بغير عين العبرة انطمس قلبه بمقدار تلك الغفلة.

وقال: وزن ذرة من الاشتياق أثقل على الجوارح من قنطار من الخوف، لأن الشوق يخرج من الأبدان خفي الراحة.

وقال: إذا استيقنت أنك لا تنجو منه إلا به يورثك نعيماً، يعلم أنك لا تصل إليه إلا به، فإذا

كنت كذلك استرححت عن طلب الحالات وافتقرت إلى المقامات.

وقال: المجنون في الدنيا على أربع طبقات:

« منهم إذا ذكر حبيبه أن »

« ومنهم إذا ذكر حبيبه حزن »

« ومنهم إذا ذكر حبيبه رن »

« ومنهم إذا ذكر حبيبه جث. »

وقال: إذا طلبت الله من نفسك بنفسك، فإنك منه بعيد، وطلبه عليك عسير، وإذا طلبته به كان وصولك، ووجودك في طلبك، وطلبك همتك، وكل من تقرب إلى الله بغير الله فذلك الذي به انقطع عن الله.

وقال: إذا أحب الله عبداً استعمله بالضحية واثمنه عليه، وإذا ائتمنه عليه ارتضى أنيته، وإذا ارتضى أنيته أثره على سره، وإذا أثره على سره حكمه عن الله في غيبه، وإذا حكمه عن الله في غيبه تاب في خلقه.

وقال:

« لا يجد السبيل إلى الله من لم يتأدب بنور المراقبة.

« ولم يستحق الولاية من لم تكشفه الكفاية.

« ولم يرتفع في رياض أنسه من لم يعبر بحار عظمته.

« ولم يلج قباب الوصول من لم يسر إليه على أقدام الهيبة.

وقال:

« إنك إن أظعته أفادك حبه وأدناك إلى قربه.

« وإذا أدناك إلى قربه أسس عليك حجاب هيته ثم لذلك بمناجاته وآنسك بذكره.

فإذا آنسك بذكره أقعدك على موائد سره، ثم رَوَّحَكَ وَفَضَّلَكَ وَحَكَمَكَ وَأَيْدَكَ، ثم أوصلك بوصاله إلى موصله، فاتصلت بلا وصل، ووصلت بلا فضل، وهذا المقام العالي والمرتبة العظمى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقال:

« من لا يعلم علم التوحيد لا يفهم التشبيه من التعطيل.

« ومن لم يعلم علم انظاھر لا يفهم اخلال من الحرام.

« ومن لم يعلم علم الباطن لا يصفو له العمل ولا يقدر على الإخلاص والتوحيد.

« أن يعلم النفع والنصر، والعطاء والمنع، والعز والذل بيد الله.

وقال: فساد القلب فساد النية، وإذا فسدت النية وقعت البلية.

وقال: لو لزمنا الحياء من الله ما ذكرنا الحية، وقد شربنا من كأس الدنيا.

وقال: من أحب الله استقل كل عمل بعمله.

وقال: يحشر الله من هذه الأمة طائفة من بين التنور والكنيف، لقولهم: إيش أكل بالغداة

إيش أكل بالعشي، وهذا يدل على قلة معرفتهم بالله عز وجل.

وقال: عليك بمحادثة من لا تحتاج أن تكتمه ما يعلمه الله منك، وإلا فاجعل للناس ظاهرك،

ولله عز وجل باطنك، وعائشهم بالتي هي أحسن.

وقال: الراضي بالمتسوم أقهر الناس لنفسه.

وقال: المعرفة خطرات، واليقين وطنات.

قال يوسف بن الحسين: كنت جالساً عند ذي النون المصري إذ دخل إنسان ومعه جام

خبيص، فترك بين يديه وأخذ يأكل فدخل بعض المريدين ورآه فقال: أيها الشيخ تأمر يأكل خبز

الشعير والملح وتأكل أنت الخبيص، إيش علم هذا.

فقال له: خذ القصعة إلى أقصى البيت.

ثم قال ذو النون: أيتها القصعة إليّ فجاءت القصعة إليه.

فقال: يا بني إذا وصلت إلى هذا المقام فكل الخبيص فإنه لا يضرك وأخبرنا رضي الله عنه

فقد أذى ما عليه ونفع وتركها سنة وحجة على كل متشيخ مدع، يشير إلى الحقيقة وهو عارٍ

عنها مع أنها ما عمله ولا طيبه، وإنما كان قد فتح به عليه ولو أمر به لكان برهانه عليه أقوى من

هذا مما يناسب حالة الأمر.

دخل ذو النون على مريض يعوده فرآه يئن، فقال: ليس بصديق في دعواه من لم يصبر على

ضربه، فأجاب المريض ليس بصديق في حبه من لم يتلذذ بضربه.

فقال ذو النون: ولا صدق في حبه من رأى حبه لربه.

قال ذو النون: عليك بصحبة من تسلم منه في ظاهر الغيب كسلامتك منه في المشاهدة.

أخبرنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبيد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا أبو بكر بن حبيب

العامري، أخبرنا علي بن أبي صادق، أبو عبد الله محمد بن ياكويه الشيرازي، أبو الفضل،

التقاش، يوسف بن الحسين قال سمعت ذا النون يقول: كنت بالعلافية فإذا ثلاثة عليهم العباءات القطوانيات ويبد كل واحد منهم ركوة وعكازة فلما رأوني قال بعضهم لبعض اعدلوا إلى أبي الفيض ذي النون فعدلوا إلي وبديروني بالسلام.

فقلت لهم: من أين القوم؟

فقال أحدهم: من زهرة رياض الأنس.

قلت: بمن؟

قال الآخر: بالله ذي المواهب.

قلت: فما صنعتكم في تلك الزهرة وما ساعدكم على شربكم؟

فقال الثالث: زفرات وعبرات فحسر عنا بشر بنا ظلام العقالات، وفق لنا شربنا رتق غواشي العسى.

ثم قال بعضهم لبعض: هذا ذو النون المتكلم في المحبة والمدعي في الله قربه فهم في هذا الكلام حتى هبت ريح عظيمة. وإذا أنا بمائدة عليها من كل لون كأنها رُئيت فلما رأيت ذلك، قلت: سبحان الله مكرم أوليائه.

فقالوا: يا ذا النون أنت لله ولي.

فقلت: أحقر نفسي أن أكون ولياً له، فنظروا إلي كالمفترسين في.

فقلت: توصوني بوصية وتحصوني بدعوة. فإذا بفتيان قد انحدروا من جبل العلافية فسلموا.

ثم قالوا: يا إخواننا ما بال البطال ذي النون لا يجيب جواباً ولا يفي به، ثم جلسوا إلى تلك المائدة فأكلوا ولم يدعوني إليها.

فقالوا لي الفتيان: يا ذا النون إنك ضيعت اليقين، لم تحظ في مواطن أهل الحق، فأكلوا وانصرفوا، وبقيت كالمتهجين.

روينا عن ذي النون: أنه قال: أوقفني المتوكل بين يديه فقال لي: إنك مليح العباد، وظريف الزهاد أخبرني أحسن ما سمعت به وأعجب ما رأيت.

فقلت: يا أمير المؤمنين إني كنت جازياً في بعض سياحاتي في أرض الشام إذ مررت بنهر يقال له نهر الذهب فمررت بقرية وفي طرف القرية صومعة راهب فناديت به يا راهب أجبني فلم يجبني فناديت الثانية يا راهب أجبني فلم يجبني، فناديت الثالثة يا رباني فاطلع فرآني.

فقال: ما حاجتك وما الذي تريد.

فقلت: عظة أنتفع بها.

فقال لي: أو تركت الدنيا.

قلت: نعم.

قال لي: كل القوت، والزم السكوت، وعلل النفس بأنها تموت، وذكرها الوقوف بين يدي
الحي الذي لا يموت، ثم أنشأ يقول:

وَلَوْ قَنَعْنَا لَكَفَانًا مِنْكَ يَا دَارَ السَّيْرِ أَتَيْتَ نُحُمَاكَ قَلِيلٌ وَبِلَايَاكَ كَثِيرٌ
وَقُبُورٌ تَتَلَاشَى حَيْثُ لَا تَنَاشِي الْقُبُورَ يَا مُبْهَرَجٌ لَا تُبْهَرِجْ إِنَّمَا الثَّاقِدُ بِصِيرٍ

قال: فتركته ثم بت ليلتي فلما أصبح عدت إليه وناديته يا راهب زدني من تلك الحكمة.
فقال لي: كل مما كسبته يمينك وعرق فيه جبينك فإن ضعف نفسك ييقينك فاسأل ربك أن
يعينك.

ثم أنشأ يقول:

إِذَا اقْتَرَبَتْ سَاعَةٌ يَا لَهَا زَلَزَلْتَ الْأَرْضَ زَلْزَالَهَا
فَلَا بُدَّ مِنْ سَائِلٍ قَائِلٍ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ مَا لَهَا
تَحَدَّثَ أَحْبَابُهَا رِبَهَا وَرَبِّكَ لَا شَكَّ أَوْحَى لَهَا
وَتَغَطَّرَ الْأَرْضَ عَنْ سَاعَةٍ تَشِيبُ الْكَهُولَ وَأُطْفَالَهَا
تَرَى النَّاسَ سَكْرَى بِلَا قَهْوَةٍ وَلَكِنْ تَرَى الْعَيْنَ مَا هَالَهَا
تَرَى النَّفْسَ مَا قَدِمَتْ مُحَضَّرًا وَلَوْ ذَرَّةٌ كَانَ مَثْقَالَهَا
ذُنُوبِي بِلَاتِي فَمَا حِيلَتِي إِذَا كُنْتَ فِي الْحَشْرِ حِمَالَهَا
يَحَاسِبُهَا مَلِكٌ قَادِرٌ قَائِمًا عَلَيْهَا، وَأَقَامَلَهَا

قال: فتركته وبت ليلتي فلما أصبح عدت إليه وناديته يا راهب زدني من تلك الحكمة.
فقال لي: كل الفرض، واذكر العرض ولا تطلب من أحد صلة ولا قرض. ثم أنشأ يقول:

مَتَى تَهْجُرَ الدُّنْيَا وَتُنَوِّي لَهَا يُغْضَى وَتَرْكُكَ لِلْبَعْضِيَانِ حَتَّى مَتَى يُقْضَى
مَتَى يَا ضَفِيقَ الرُّوحِ تَنْوِي بِشَوْتَةٍ وَغَمْرُكَ لِلدُّنْيَا يُشَاقُّ بِهَا زَكُضَا
قَلَا بُدَّ تَعْدُ الْمَوْتَ أَنْ تَسْكُنَ الْبَلَى وَيَرْضُكَ ثَقُلَ اللَّيْنِ تَحْتِ الثَّرَى رَضًا
وَتُغَطِّي كِتَابًا فِيهِ كُلُّ فَضِيحَةٍ وَتَشْهَدُ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ وَالْعِزَّ رَضًا
فَقُمْ فِي ذِياجِي اللَّيْلِ لَكَّه طَائِعًا لَعَلَّ الَّذِي أَسْحَطَتْهُ لَعْسَى يَرْضَى

قال: فتركته وبت ليلتي فلما أصبح عدت إليه، وناديته: يا راهب زدني من تلك الحكمة.

رسائل ابن عربي

الكوكب الدري في

مناقب ذي النون المصري

هذا الكتاب هو المرجع الكامل عن حياة وأعمال وأقوال ذي النون المصري، وليس بين أيدينا في تراث الصوفية مرجع مثله عن ذي النون المصري، إذ تنافرت الأخبار عنه في عدد من الكتب مثل حلية الأولياء. من دواعي تأليف هذا الكتاب - كما يقول مؤلفه ابن عربي - أنه عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة،

«إذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم فما ظنك بمواطن اجتماعهم على ربهم، ويوم قدومهم عليه، بالخروج من هذه الدار، وهو يوم وفاتهم وقبائرتهم فيه نهضة لهم، وتعرض لما يتجدد من تفحات الرحمة عليهم فهي إذا مستحبة، إن سلمت من محرم ومكروه بين في أصل الشرع».

800 35 91 2290 95

AXIELL

